

عصره . سيرته . ادبه . فلسفته . رباعياته

تأليف وترجمة

المحامي

احمد حامد الصراف

طبع بنفقة : نعمان الاعظمي
صاحب المكتبة العربية ببغداد

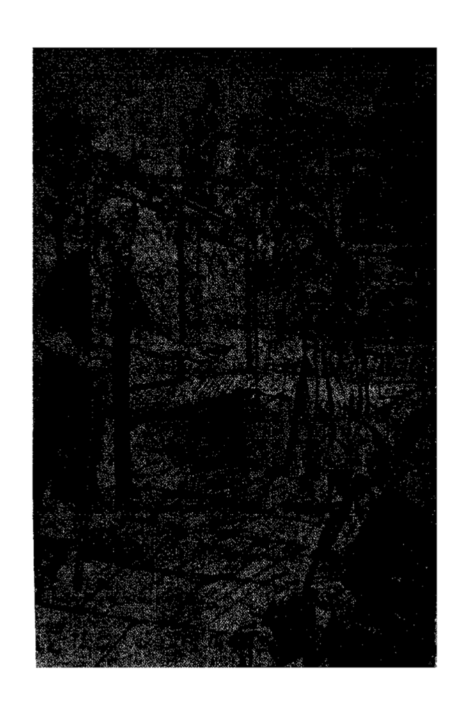
مطبعة دار السلام

١٣٥٠ هـ — ١٩٣١

اهداء الكتاب

الى السادة الجهابذ ابناء عبد الشمس والى دمشق الجميلة التي عطفت على
اهدى كتابي

احمد حامد الصراف



شیخی بزن فاحشه گفتا مستی،
هر لحظه بدام دگری پابستی؛
گفتا شیخا هر آنچه گوئی هستم.
اما تو چنانچه مینمائی هستی؟

قال شیخ لفاحشة: انت سکری وفی کل لحظة متعلقة بشخص. فقالت ایها الشیخ ان الذی قلته فیّ صحیح. لکنك أأنت انت کما تظهر للناس؟

مقدمة المؤلف

غياث الدين ابو الفتح عمر بن ابراهيم الخيّام هو احد النابغين فى الشرق ، ولد فى نيسابور فى اواسط القرن الخامس هـ وتوفى فيها فى اوائل القرن السادس هـ وكان رجلاً ذكى الفؤاد ، حاد الذهن ، عصبى المزاج ، متشائماً ، يحمل بين جنبيه نفساً ثائرة متمردة على الحياة وما فيها من عقائد وتقاليد ونظم ، وقد درس العلوم الشائعة فى عصره فاتقنها ، وبرز بالفلسفة والفلك والرياضيات ، والطبيعيات ، وقد الف رسائل وكتباً جليلة فى مختلف العلوم دلت على صفاء ذهن ، وسعة اطلاع ، ومع انه كان نابغة المفكرين فى عصره ، مقرباً من الملوك محترماً من الامرآء فانه لم يشتهر اشتهاراً متناسباً مع مكانته العالية كأشتهاره بعدوفاته خصوصاً فى القرون المتأخرة وبين الفرنجة على الاخص . وعلة اشتهاره هى رباعياته التى اختفت اجيالاً ثم طلعت اخيراً كما تطلع الشمس من وراء السحب ، وذلك ان الشاعر الأنكليزى المبدع « فتيز گرالد » كان اول من لفت انظار الغربيين اليها فنقلها الى الانكليزية باسلوب رائع جميل ، وحلّت الترجمة محلاً عالياً من قلوب الانكليز والاميركان ، وبذلك ذاع صيته وشاع اسمه فى الغرب ، وكان الخيام غير معروف عند العرب الا القليل منهم ممن اطلع على الأدب الفارسى ، واول من اهتدى الى نهج الهم الأديب الشاعر وديع البستانى ولم يكن الخيام المع عبقرية من ابى العلاء ، والمتنبى ، وابن الرومى ، وابى نؤاس ، وحافظ ، وسعدى ، والخاقانى ، والنظامى ، ولكن الخيام اسعد

منهم حظاً اذ انيح له من اشاد بادبه والدنيا حظوظ وقسم . واذا افتخر الفرس بالخيام فللعرب حق و نصيب بالافتخار به ، لأنه تفقه بدينهم واعتز بسلطانهم، وتأدب بآدابهم ، وتهذب بعلومهم، فهو ربيب عبقريتهم، وثقافتهم وان شعره العربي وتآليفه بالعربية اسطع دليل على ما ادعيه ، ومع ذلك فقد انجبت الجزيرة افذاذاً من الشعرآء والفلاسفة والمفكرين وحسب العرب فخراً ان منهم المعرى الذى كان قدوة للخيام فى الشعر والتصوير وامامه بالفلسفة والتفكير ، وعلى كل فكلاهما مفخرة من مفاخر الشرق والمسلمين ، والعرب ، وكلاهما حكيم ، وكلاهما عظيم .

الكتاب

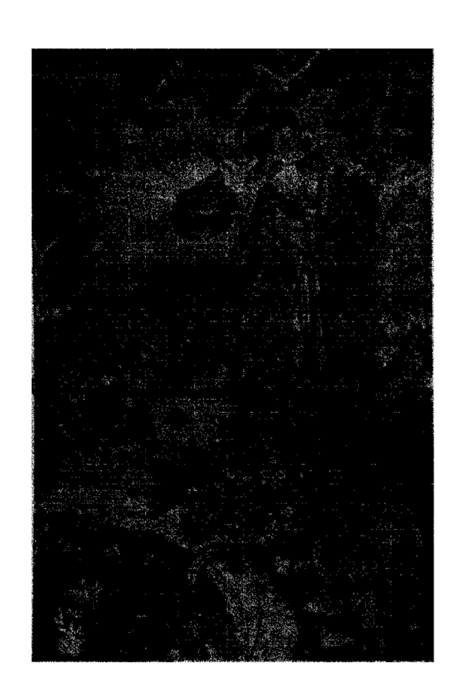
وهذا الكتاب الذى اقدمه الى القرآء هو مختصر كتاب وضعته في نيف والف صفحة فى درس حياة الخيام وادبه وقد تصدى لطبع الكتاب المختصر صديقنا نعمان افندى الأعظمى صاحب المكتبة العربية الذى خدم النهضة الادبية بطبع انفس الآثار .

ولا اكابر فادعى باننى احسنت فى البحث واجدت فى الترجمة وانما اقول هذا كل ما قدرت عليه . وقد عرضت الكتاب والترجمة على حبر العراق وعالمه الأستاذ فهمى بك المدرس فاستحسن البحث والترجمة ، وحسبي فخراً اننى خدمت شاعر العرب وفيلسوفهم شيخ المعرة بمقارنته بالخيام ، والله يشهد اننى اديت الأمانة ، فلم اتعصب لأحد بالباطل ، وآثرت الحياد خدمة للحقيقة . ولست مؤملاً ان اسمع ثناء ومن ألف فقد استهدف ومع ذلك فحسب المقل جهده .

فى دمشق

وقد اسعدنى الحظ بزيارة دمشق فى صيف سنة ١٩٣٠ م فتمكنت طيلة بقائى فى مدينة العطر والشعر مشمولاً بعطف ابنائها الطيبين، وقد نعمت عدة شهور فى المدينة التى انعمت عليها يد الله المحسنة بجلائل الآلاء مكرماً بين ابناء العم وقد هون على لطف اولئك المهذبين لوعة الشوق وألم الحنين الى وادى الرافدين الى الوطن الحزين. ولم اشعر فى دمشق بوحشة الغربة وهل بغداد ودمشق الا كجناحى النسر الصاعد اذا هيض احدهما خفض الآخر، وهل ابناء بغداد الا ابناء دمشق ؟

وقد نلت الشرف العظيم بالقاء محاضرة فى المجمع العلمى يوم ٦ حزيران ١٩٣٠ فى المقارنة بين الشاعرين الحكيمين المعرى والخيام، وانا فخور اذ كنت اول من انتصف للمعرى، وقد تنازل اعيان المدينة الفاضلة فاستحسنوا المحاضرة، وكان من دلائل تقديرهم ان اقترح رئيس المجمع العلمى منحى وساماً عامياً، فانعمت الحكومة السورية علىّ به، وانى لقاء ما لاقيته من اكرام وحفاوة من ابناء دمشق وفى مقدمتهم علامة دمشق وحبرها الجليل محمد كرد على بك رئيس المجمع العامى، ونائبه الجليل الاستاذ المغربى، والالمعيان الشاعران شفيق جبرى وخليل مردم، والكاتب العبقرى معروف الارناووط وغيرهم من الفضلاء اهديت كتابى اليهم وحسبى بذلك اظهاراً لشعورى.



می خوردن وشاد بودن آیین منست ؛
فارغ بودن ز کفر ودین دین منست ؛
گفتم بعروس دهر کابین تو چیست ؟
گفتا دل خرّم تو کابین منست .

عادتي ان اشرب الحميّا واسرّ بها . وديني ان اهجر الكفر والدين
قلت لعروس الدهر ما هو صداقك ؟ قالت قلبك الجذلان صداق .

القســــــم الاول

عصره . سيرته . ادبه . فلسفته

مدينة الاحزان

اقصد بمدينة الاحزان « كربلاء » (١) تلك المدينة الشهيرة فى التاريخ وقد عرفت وذاع صيتها بين المسلمين بمأساتها التأريخية التى ما دون تاريخ الانسانية حادثة افجع من حادثتها المؤلمة . وقد كان من سوء حظ العرب والاسلام وقوع تلك الفاجعة التي سببت الويلات الكثيرة والمصائب الجمة لما حصل لابى عبد الله الحسين وآله من القتل والتنكيل والعذاب والاسر وقد ولدت تلك المأساة الواناً من الاحقاد والضغائن فى القلوب واوجدت الشقاق والاختلاف بين العرب والمسلمين وما زلنا نحن الاحفاد نقاسى الامرين ونعاني من نتائج هذه الوقعة ما نعاني ونحن القاتلون ونحن المقتولون .

---

(١) اختلف فى لفظة « كربلاء » فقيل انها منحوتة من كلمة « كوربابل » وهى مجموعة قرى بابلية منها نينوى والغاضرية وكربله والنواويس والحائر وهو موضع القبر الى رواق البقعة الشريفة ، وقيل انها مركبة من (كرب) اى حرم و (ايل) الله ومعناها (حرم الله) وهناك اقوال كثيرة لا تخرج عن دائرة الاحتمال والظن .

وتبعد كربلاء الحالية عن بغداد ٦٤ ميلا وهى مدينة واسعة كثيرة الرياض والغياض ، تحيط بها عرائس النخيل ، وفى جنانها الوان واصناف من الفاكهة اللذيذة . وهى الى ذلك ذات شوارع مستقيمة وابنية فخمة وعمارات جميلة .

وقد اصبحت كربلاء بعد ذلك المصاب الجلل مزاراً مقدساً يؤمه المسلمون من كل صوب وحدب ولا اغالى اذا قلت انها المدينة التى يحج اليها فى كل عام مائة الف فارسى ونصف هذا العدد او اكثر من الأقوام الاخرى كالهنود والافغان والتركان وغيرهم ولا يقنع هؤلاء الزوار وفيهم العالم والغنى والعامل بالمكوث فيها بضعة ايام بل فيهم من يفضل البقاء فيها اعواماً طويلة. ومنهم من ينقل اليها تجارته واعماله متخذاً اياها موطناً ثانياً له، وعلى مرور الايام غمرتها العجمة واصبح كل من ولد او سكن فيها يتكلم الفارسية و يلم بها على اختلاف لهجاتها .

وقد شاءت ارادة الله ان اشم نسيم الحياة فى هذه المدينة التى لا ينقطع فيها النواح والبكاء والعويل لحظة واحدة فهى جديرة بان تسمى « مدينة الاحزان »

* * *

بى بى جان

ولما علا بي شبابي واستوت قامتي وجدت انني اتكلم الفارسية العامية مثل سائر الصبية من اهل المدينة بيد اني وجدت في بيت ابي عجوزاً شمطاء فارسية قد طحنتها كلاكل الايام وتركت الحوادث فى وجهها غضوناً وفى سحنتها شحوباً ينم عن ألم عميق وقد أشعلت المصائب رأسها شيباً كأن بياضه صفحة قلبها الطيب الودود ووجدت كل من فى البيت يحفظ لها حباً كثيراً ويحترمها احتراماً عظيما فكانت

« بي بي جان » الآمرة الناهية في طول البيت وعرضه بل كانت ربة الدار وقهرمانة البيت تؤدب الصغير وترشد الكبير وتحنو على من فيه كأنهم فلذات كبدها غير اني كنت اجهل علاقة هذه الفارسية ببيت والدي وقد حدثتني امي عنها حديثاً شجيا اقصه عليك :

كانت « بي بي جان » زوج سري فارسي من مدينة شيراز وهي من حفيدات « فتح علي شاه » الملك القاجاري وقد هجر زوجها مدينة شيراز وشد الرحال الى كربلاء زائراً فطاب له العيش فيها فاصبح بها مقيما الا انه ما عتم ان ابتلى بالافيون فاجتاحت هذه الافة امواله حتى قضت على الدانق الاخير فهجره اعوانه وتركه خدامه فاملق مثقلا بالديون الى ان هاجمته الاوجاع والامراض ثم حفر له الضنى حفرة طمه فيها فكان اثراً بعد عين فبقيت بي بي جان الاميرة البائسة وحيدة فريدة لا ركن لها تأوي اليه ، ولا والد يحميها ولا شقيق تعتمد عليه ، وقد عضها الحزن وآلمها الفقر والذل فوقعت مريضة . ولما بلغ جدي ما جرى لها — وكان خطيب المدينة وواعظها — هزته مروءته العربية فجاء اليها بمن حملها الى بيته واحضر لها الاطباء وبذل في سبيل نجاتها المجهود الى ان عادت اليها العافية وشفيت من مرضها وقوى جسدها فجعلها مربية لاولاده وبناته فكان يجلها ويحسن معاملتها ويوصي بها خيراً متبعا القول المأثور « ارحموا عزيز قوم ذل » وكانت بي بي جان على جانب عظيم من الفضل والادب والاخلاق . ناسكة زاهدة لبيبة فطنة . وكانت تجيد النظم والانشاء في الفارسية وتستظهر اروع الشعر واحسنه وكانت

تلم بتراجم الشعراء ونكاتهم ونحفظ الشيء الكثير من الامثال الفارسية والعربية فتولت تعليم امي واخوانها واخواتها وقد ادركتها ولم يبق فى فمها الا ناب وقد انحنى ظهرها وضعف بصرها . وكنا اذا اجتمعنا فى غرفتها ليالى الشتاء للسمر حدثتنا حديثا لذيذاً عن نكات الشعراء والادباء من الفرس والعرب الى ان يتغشانا النعاس فتصرفنا عندئذ واحداً اثر واحد وتشيعه الى مضجعه .

وقد توفاها الله فى صيف سنة ١٩١٩ فشيعناها بالعبرات والحسرات تغمدها الله برحمته .

اول عهدى بالخيام

أسطورة

فى احدى ليالى الشتاء عام ١٩١٧ م اجتمعنا فى غرفة المرحومة صغاراً وكباراً وهى تدير علينا اكواب الشاى وتسقينا من حديثها الجميل ماهو احلى من رحيق الراح ، فابتهجت النفوس وطربت الارواح ، وقد أمسكت غليونها الطويل — وما زلت محتفظاً به — تبلع دخانه وتمتصه كما يمتص الطفل ثدى امه وقالت، وعلى فمها ابتسامة تشف عن نفس كريمة وقلب طهور ،

احدثكم الليلة عن احد القلندرية واسمه عمر الخيام . قالت : —

صعد ذات يوم على قمة الجبل واخذ معه ابريقاً مترعاً بالمشعشعة وبينما كان يحسو الكؤوس هبت ريح شديدة فحطمت ابريقه نفاسكبت الخمرة

فهاجت ثائرته وغضب غضباً شديداً فخاطب الله بهذه الرباعية :

ابريق مى مرا شكستى ربي
بر من در عيش وابستى ربي
برخاك فكندى مي گلگون مرا
خاكم بدهن مكر تومستى ربي

اى — حطمت يا آلهى ابريق خمرى واوصـــــدت باب الطرب فى وجهى، وسكبت على الارض خمرتي اللاز وردية . تراب بفمى فهل انت سكران مثلى ؟ ! !

ولما اتم انشاد هذه الرباعية اسود وجهه على الفور حتى لكأنه فحمة ففزعت ابنته وقالت له يا ابتـــاه قـد اسود وجهك وناولته مرآة فلما نظر الى وجهه فى المرأة والفاه اسود فاحماً بكى بكاءاً شديداً وندم على ما فرط فى جنب الله وعلم ان الله قد غضب عليه فاستغفر الله عن هفوة اللسان بهذه الرباعية :

ناكرده كنه در جهان كيست بكو
وانكس كه كنه نكردجون زيست بكو
من بدكنم وتوبد مكافات دهى
بس فرق ميان من وتو جيست بكو

اى — يا آلهى قل من الذى لم يرتكب خطاءً وكيف عاش انسان ولم يرتكب خطأً — اوذنبا — أنا اعمل سوءاً وانت تجاز بنى بسوء مثله اذاً ما الفرق بينى وبينك ؟

ولما انتهى من انشاد هـــذا الرباعى عاد وجهه كما كان اولا .

* * *

بهذا حدثتني « زن اغا » (١) عن عمر الخيام قبل اثنى عشرة سنة وانا يومئذ فتى يافع وقد بعثت فى هذه الاسطورة اللذيذة رغبة الاطلاع على شعره ومعرفة شخصه فطلبت اليها ان تدرسنى ديوانه فرفضت طلبى زاعمة ان فى شعره مالا يتفق مع الشرع ، فالححت عليها الحاحاً شديداً فأخذت تدرسنى رباعياته وفى مـــدة لم تتجاوز الشهرين استظهرت جميع رباعياته فوقفت على دقيق معانيها وعميق مغازيها فملت اليه كل الميل وشعرت بلذة نفسية من دراسة شعره وفى سنة ١٩٢١م فاتحنى صديقى الشاعر المبدع السيد محمد الهاشمى بترجمـــة الرباعيات فترجمت له مايقرب من ٣٠٠ رباعية وقدمتها فى قوالب عربية نفيسة مع المحافظة على الروعة والجلال والانسجام غير اننا لم نوفق لطبع الـكتاب فانفرد كل بمـــا لديه فاخـذت يومئذ ادرس ادب الخيام وحياته على الطريقـة العصرية فانتجت هذا الـكتاب الذى اقدمه الى قارئيه بيد مرتعشه بهزها الحياء والخجل .

---

(١) وكان هذا لقبها

من هو عمر الخيام؟

الوثائق التاريخية التي وردت فيها اخبار عمر الخيام وحوادثه

من اقدم الوثائق التاريخية التي وردت فيها اخبار عمر الخيام وحوادثه كتاب « جهار مقاله — اربع مقالات » لمؤلفه احمد بن عمر بن علي النظامي العروضي السمرقندي الذي تتلمذ لعمر الخيام وزار قبره في سنة ٥٣٠ وقد قيل له ان استاذه توفى منذ اربع سنوات.

— ١ —

النظامي

والنظامي هذا ذكر في المقالة الثالثة التي افردها لاخبار الفلكيين ما ترجمته (١) :—

في سنة ٥٠٦ ه في مدينة « بلخ » وفي صرح « امير بو سعد جره » حظيت بخدمة الاستاذ عمر الخيام والامام المظفر الاسفزاري (٢) وفي

---

(١) جهار مقاله ص ٦٢ — ٦٤

(٢) هو الفيلسوف ابو حاتم المظفر الاسفزاري كان معاصراً للفيلسوف عمر الخيام وبينهما مناظرات ولكن المظفر عنه بعيد والغالب على المظفر علوم الهيئة وعلم الاثقال والحيل وكان مرزوقاً بالمستفيدين على خلاف طبيعة الخيامي وللمظفر تصانيف كثيرة في الرياضيات والآثار العلوية وغير ذلك (تاريخ حكماء الاسلام في خزانة المجمع العلمي العربي في دمشق)

اثناء الحديث سمعت حجة الحق اى —عمر الخيام— ؛ يقول انني اذا مت فان قبري سيكون فى مكان تهب عليه نسائم الشمال وينتثر عليه الزهر والورد .

وقد تملكنى العجب من قوله لانى كنت اعلم ان خياماً لا يتكلم الا عن رو ية وفى سنة ٥٣٠ هـ دخلت نيسابور فبلغنى ان الـــتراب قد اخفى ذلك العظيم منذ اربع سنوات وترك العالم السفلى يتيما . ولما كان له حق التعليم ذهبت لز يارة قبره يوم الجمعة ومعى رجل ليدلنى على قبره فاخذني الرجل الى مزار (حيره) ولما وصلنا التفت الى اليسار فالفيت قبر عمر الخيام بجانب جدار حديقة مهجورة وقد احاطت بقبره اشجار المشمش المنورة وكان الزهر يتساقط على قبره حتى اخفى قبره وقد ذكرت ماقاله لى فى بلخ فبكيت ولم اجد فى هذا العالم نظيره اسكنه الله تبارك وتعالى جناته بمنه وكرمه .

— ٢ —

البيهقى

هو الشيخ الامام ظهـــير الدين ابو الحسن ابن الامام ابي القاسم البيهقى (١) المتوفى فى حدود ٥٧٠ هجرية فقد ذكر فى كتابه (حكماء الاسلام) (٢) مانصه : —

---

(١) بيهق بلدة من نواحي نيسابور

(٢) ظفر بهذا الكتاب الجليل علامة دمشق الاستاذ الكبير السيد محمد كرد على رئيس المجمع العلمي العربى بدمشق فى احدى مكتبات اور وبا الكبرى فصوره واهداه الى المجمع واضاف بذلك حسنة اخرى الى حسناته الجمة ادام الله حياته .

ولقد دخلت على الامام — اى عمر الخيام — فى خدمة والدى فسألنى معنى هذا البيت فى الحماسة :

ولا يرعون اكناف الهوينى اذا حلوا ولا ارض الهدون

فقلت له: الهوينى اسم تصغير كالثريا والحميا ومعناه أنهم من عزهم وجرأتهم لا يرعون النواحى التى اباحتها المسالمة ووطأتها المهادنة ولكن النواحى المتحاماة.

ثم سألنى عن أنواع الخطوط القوسية. فقلت : أنواع الخطوط القوسية اربعة منها محيط دائرة ومنها قوس اعظم من نصف دائرة . فقال لوالدى : « شنشنة أعرفها من أخزم » !

وحكى لى ختنه الامام محمد البغدادى انه كان يتخلل بخلال من ذهب ويتأمل فى كتاب (الشفاء) ولما وصل الى فصل الواحد والكثير قال لى : اطلب الاصحاب لاننى اريد ان اوصى ولما اجتمعوا طفق يصلى واعرض عن غيره ، ولما سجد كان يقول فى سجوده « اللهم اني عرفتك على مبلغ امكاني فاغفر لى فان معرفتى اياك وسيلتى اليك » ثم قضى نحبه . وكان آخر نظمه هذا الرباعى :

سير آمدم اى خداى از هستى خويش
از تنگ دلى واز تهى دستى خويش
از نيست جو هست ميكنى بيرون آر
زين نيستيم بحرمت هستى خويش (١)

---

(١) لم يذكر البيهقى هذا الرباعى فى كتابه « حكماء الاسلام » وانما ذكره؟ «

مللت يا إلهي وجودي ومن ضيق صدري وفراغ يدي يا من يجعل من العدم وجوداً اخرجني من عدمي بحرمة وجودك :

— ٣ —

خاقاني

وبعد جهار مقاله ورد اسمه في اشعار خاقاني الشيرواني الذي توفي سنة ٥٩٥ ه فقد قال في بعض قصائده

زان عقل بدو گفته كه اى عمر عثمان
هم عمر خيـــامي وهم عمر خطاب

— ٤ —

الرازي

وجاء ذكره في كتاب مرصاد العباد لمؤلفه الشيخ نجم الدين ابي بكر

واضع حواشي جهار مقاله راجع ص ١٢٨ — ٢١٩ وفي رواية اخرى انه انشد هذا الرباعي ومات

يا رب خردم درخور اسباب تو نيست
وانديشهٔ من بجز مناجات تو نيست
من ذات ترا بواجبى كى دانم
دانندهٔ ذات تو بجز ذات تو نيست

يا ربي ان عقلي قاصر عن معرفة اسبابك وما تفكيري الا مناجاة لك انا لا اعرف ذاتك حق المعرفة ولا يعلم ذاتك غير ذاتك

ذكر هذه الرواية حسين دانش في كتابه (سر امدان سخن) ص ١٨٧ نقلا عن كتاب (نزهة الارواح) للشهرزوري .

الرازى سنة ٦٢٠ ه ما ترجمته : « وما الحكمة فى جعل هـــذه الروح العلوية النورانيـة فى قالب سفلى أظلم متخذ من التراب ؟ ثم ما السبب فى التفريق بين الروح والجسد وقطع العلاقة بينهما ؟ لِمَ تتلاشى هذه الصورة وهذا الشكل ؟ وما السبب فى نشر جسد الانسان فى المحشر مرة أخرى ؟

اجل ، ان الذى خرج من زمرة (كالانعام بل هم اضل سبيلا) ووصل الى المرتبة الانسانية وخلص من قوله (و يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) وسلك بذوق وشوق عظيمين الطريق الحسن — علم ان ثمر النظر والقدم هو الايمان والعرفان .

ان الفيلسوف الدهرى الطبيعى محروم هذين المقامين حتى ان احد الفضلاء وهو المشهور بحكمته وكياسته (عمر الخيام) قـــد تاه فى بيداء الضلال بقوله :

در دائرهٔ کامدن و رفتن ماست
آنرا نه بدایت نه نهایت پیداست
کس می نزند دمی درین عالم راست
کاین آمدن از کجا ورفتن بکجاست

ان الدائرة التى فيها نجئ ونذهب ليست بذات بداية ونهاية ، لا احد يستطيع ان يقول من اين هذا المجئ والى اين هذا الذهاب .

— ٥ —

الشهرزورى

ويلى هؤلاء الشهرزورى شمس الدين محمد بن محمود فقد ذكر عمر الخيام فى

كتابه « نزهة الارواح وروضة الافراح » الذى الفه بين سنة ٥٨٦ — ٦١١ هـ (١)

فقال : عمر الخيام نيشابوري الاثار والميلاد كان تلو ابي على ابن سينا في اجزاء علوم الحكمة الا انه كان سيء الخلق ضيق العطن . تأمل كتاباً باصبهان سبع مرات وحفظه وعاد الى نيسابور فاملاه فقوبل بنسخته الاصلية فلم يوجد بينهما تفاوت، وله ضنة بالتصنيف، والتعليم وله مختصر فى الطبيعيات ورسالة فى الوجود ورسالة فى الكون والتكليف ، وكان عالماً بالفقه واللغة والتواريخ .

ودخل الامام عمر يوماً على شهاب الاسلام الوزير عبد الرزاق وكان عنده امام القراء ابو الحسن الغزالى وكانا يتكلمان فى اختلاف القراء فى آية فقال الوزير : على الخبير سقطنا ، فسئل الامام عمر عن ذلك فذكر وجود اختلاف القراء وعلل كلام كل واحد منهما وذكر الشواذ وعللها وفضل وجهاً واحداً . فقال الغزالى « كثر الله فى العلماء مثلك ، اجعلنى من بعض اهلك وارض عنى ، فاني ما ظننت احداً من القراء فى الدنيا يحفظ ذلك ويعرفه فضلا عن واحد من الحكماء » وأما اجزاء الحكمة من الرياضيات والمعقولات فكان ابن بجدتها .

ودخل حجة الاسلام الغزالى عليه وسأله عن تعيين جزء من اجزاء الفلك القطبية دون غيرها مع كونه متشابه الاجزاء ، فطول الخيامي الكلام وابتدأ من الحركة من مقولة كذا ، وضن بالخوض فى محل النزاع وكان من دأب ذلك الشيخ المطاع حتى اذن الظهر فقال الغزالى: جاء الحق

---

(١) پروفسور ساخائو فى مقدمة الاثار الباقية لابى الريحان البيرونى ص ٥٦

وزهق الباطل . وكان السلطان ملكشاه ينزله منزلة الندماء والخاقان شمس الملوك ببخارا يعظمه غاية التعظيم ويجلس الامام معه على سريره .

ودخل على السلطان سنجر وهو صبي (١) قد اصابه جدري فلما خرج ساله الوزير كيف داويته وباى شيء عالجته ؟ فقال عمر : الصبي مخوف . فرفع خادم حبشي ذلك الى السلطان ، فلما شفى السلطان أبغضه .

وحكى انه كان يتخلل بخلال من ذهب وكان يتأمل الالهيات من الشفاء فلما وصل الى فصل الواحد والكثير وضع الخلال بين الورقتين وقام وصلى واوصى ولم يأكل ولم يشرب ، ولما صلى العشاء سجد وكان يقول فى سجوده « اللهم تعلم اني عرفتك على مبلغ امكاني فاغفر لى وان معرفتى اياك وسيلتى اليك » ، ومات رحمه الله تعالى

وقد ذكر له شعراً فى العربية سنذكره فى بحث (اشعاره العربيه)

— ٦ —

ابن الاثير

وقد جاء ذكره فى كتاب كامل التواريخ لابن الاثير المؤلف سنة ٦٢٨ هـ فقد ذكر فى ذيل حوادث سنة ٤٢٧ هـ مانصه :

« وفيها جمع نظام الملك والسلطان ملكشاه جماعة من اعيان المنجمين وجعلوا النيروز اول نقطة من الحمل وكان النيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت وصار مافعله السلطان مبدأ التقاويم : وفيها ايضاً عمل الرصد للسلطان ملكشاه واجتمع جماعة من اعيان المنجمين فى

(١) راجع كتاب جهار مقاله لمؤلفه تلميذ خيام (العروضى السمرقندى)

عمله منهم عمر بن ابراهيم الخيامي وابو المظفر الاستفزاري وميمون بن النجيب الواسطى وغيرهم (١) وخرج عليه من الاموال شئ عظيم و بقى الرصد دائراً الى ان مات السلطان سنة ٤٨٥ ه فبطل بعد موته .

— ٧ —

القفطى

وممن ذكره من مؤرخى العرب الوزير جمال الدين ابو الحسن على ابن القاضى الاشرف يوسف القفطى المتوفى سنة ٦٤٦ه قال :

« امام خراسان ، وعلامة الزمان ، يعلم علم يونان ، ويحث على طلب الواحد الديان، بتطهير الحركات البدنية، لتنزيه النفس الانسانية ، ويأمر بالتزام السياسة المدنية، حسب القواعد اليونانية، وقد وقف متأخروالصوفية على شئ من ظواهر شعره فنقلوها الى طريقتهم وتحاضروا بها فى مجالسهم وخلواتهم، وبواطنها حيات للشريعة لواسع ، ومجامع للاغلال جوامع ، ولما قدح اهل زمانه ، فى دينه واظهروا ما اسره من مكنونه ، خشى على دمه ، وامسك من عنان لسانه وقلمه ، وحج متاقاة لا تقية ، وابدى اسراراً من السرار غير نقية ، ولما حصل ببغداد سعى اليه اهل طريقته فى العلم القديم، فسد دونهم الباب سد النادم لا سد النديم، ورجع من حجه الى بلده يروح الى محل العبادة ويغدو ، و يكتم اسراره ولا بد ان تبدو، وكان عديم القرين فى علم النجوم ، والحكمة ، وبه يضرب المثل فى هذه الانواع لو رزق

(١) قال مؤلف « سرامدان سخن » ان الذين عهد اليهم بناء الرصد كانوا ثمانية من الفلكيين ومنهم عمر الخيام ولم يذكر المصدر الذى نقل منه هذا الخبر

العصمة ، و له شعر طائر تظهر خفياته على خوافيه ، وتكدر عرق قصده كدر خافيه . فمنه :

اذا رضيت نفسي بميسور بلغة ... يحصلها بالكد كفي وساعدي
امنت تصاريف الحوادث كلها ... فكن يازماني موعدي اوموا عدي
اليس قضى الافلاك من دورها بان ... تعيد الى نحس جميع المساعد
فيانفس صبراً عن مقيلك انما ... تخر ذراها بانقضاض القواعد
ولي فوق هام النيرين منازل ... وفوق مناط الفرقدين مصاعدي
متى مادنت دنياك كانت بعيدة ... فواعجبي من ذا القريب المباعد
اذا كان محصول الحيـــاة منية ... فسيان حالا كل ساع وقاعد (١)

— ٨ —

القزويني

وممن ذكره من المؤرخين زكريا بن محمد بن محمود القزويني صاحب كتاب آثار البلاد واخبار العباد الذى الفه سنة ٦٧٤ ه قال فى بحثه عن نيشابور « ينسب اليها من الحكماء عمر الخيام كان حكيماً عارفا بجميع انواع الحكمة سيما النوع الرياضي وكان فى عهد السلطان ملكشاه السلجوقي . سلم اليه مالا كثيراً ليشترى به آلات الرصد ويتخذ رصد الكواكب فمات السلطان وما تم ذلك . وحكى انه نزل ببعض الربط فوجد اهلها شاكين من كثرة الطير ووقوع ذرقها وتنجس ثيابهم بها فاتخذ تمثال الطير من الطين ونصبه على شرافة من شرافات الموضع فانقطع الطير عنها .

(١) راجع اخبار العلماء باخبار الحكماء للقفطي طبع ليبسيك ص ٢٤٣ — ٢٤٤

وحكي ان بعض الفقهاء كان يمشي اليه كل يوم قبل طلوع الشمس ويقرأ عليه درساً من الحكمة فاذا حضر عند الناس ذكره بالسوء فأمر عمر باحضار جمع من الطبالين والبوقيين وخبأهم في داره فلما جاء الفقيه على عادته لقراءة الدرس أمرهم بدق الطبول والنفخ في البوقات فجاء الناس من كل صوب ،فقال عمر: يا اهل نيشابور ! هذا عالمكم يأتيني كل يوم في هذا الوقت ويأخذ مني العلم ، يذكرني عندكم بما تعلمون فان كنت انا كما يقول فلأي شيء يأخذ علمي والا فلأي شيء يذكر الاستاذ بسوء ؟ (١)

— ٩ —

رشيد الدين

ومن الذين ذكروه رشيد الدين بن فضل الله المتوفى سنة ٧١٨ هصاحب كتاب جامع التواريخ قال ما ترجمته :

ان اسباب العداوة والنفرة التي كانت بين سيدنا حسن الصباح وعمر الخيام ونظام الملك انهم كانوا في مدرسة واحدة وكان بينهم صفاء واخاء وصداقة عظيمة كما يحدث بين ابناء المدارس حتى وصلت الصداقة الى اوجها واتفقوا على الاخاء والمحبة ثم اتفقوا على ان من ينال منهم رتبة علمية يساعد الاخرين وبحسب الاتفاق اتفق ان وزر نظام الملك وزيرا كما هو مذكور في تاريخ ال سلجوق فذهب اليه عمر الخيام وذكره بالعهود والمواثيق في ايام الصبا . فتذكر نظام الملك الحقوق القديمة وقال له : وليتك نيسابور ونواحيها !

---

(١) اثار البلاد واخبار العباد طبع ووستفليه ص ٢١٨

وكان عمر حكيماً عظيماً فاضلاً عاقلاً فقال : « ليس لى طاقة بالسياسة وأمر العوام ونهيهم فأعطنى راتباً شهرياً بحسب الوظيفة » . فأعطاه نظام الملك عشرة آلاف دينار فى السنة من دخل نيسابور المحروسة بدون نقص ولا انقطاع ..... وكذلك سيدنا حسن الصباح ذهب من الرى الى نظام الملك ليحظى بخدمته ، وقال له : « الكريم اذا وعد وفى » فقال له نظام الملك « اختر بين ولاية الرى واصفهان » وكان سيدنا ذا همة عالية فلم يقنع بذلك ولم يرض به وكان يتوقع ان يشاركه بالوزارة . فقال له نظام الملك : كن ملازماً لحضرة السلطان مدة .

ان نظام الملك كان يعلم ان حسن الصباح كان طالباً لأن يحل محله فى الوزارة والرتبة فكان يتحذر منه ، وبعد سنين استوحش السلطان من نظام الملك ورفع الحساب من عهدته » .

— ١٠ —

الابرقوهى

وممن ذكره مؤلف « فردوس التواريخ » وهو مولانا خسرو الابرقوهى سنة ٨٠٨ ه قال ما تعريبه : — « خيام — وهو عمر بن ابراهيم الخيام — كان ذا باع طويل فى العلوم الخاصة ، وفى علم النجوم ، وله رسائل ذائعة الصيت واشعار لا نظير لها ، ومن اشعاره :

هر ذره كه در روى زمينى بودست

خورشيد رخى زهره جبينى بودست

كرد ازرخ نازنين بآزرم فشان
كان هم رخ و زلف نازنيني بودست

ان كل ذرة على وجه البسيطة هى وجه جميلة حسناء ، ياهذا انفض الغبار برفق فان هذا التراب كان وجه زهراء الجبين .

—١١—

حمد الله المستوفى القزوينى

وممن ذكره المؤرخ حمدالله المستوفى القزويني فى كتابه الذى أتمه فى سنة ٧٤٠ ﻫ (١) قال ما تعريبه :

« عمر الخيام بن ابراهيم كان متضلعاً من اكثر العلوم ولاسيما علم النجوم وبرز فيه على من كان فى عصره ، وكان من ندماء السلطان ملكشاه السلجوقى . له رسائل جيدة وشعر بديع ، ومن شعره هذه الرباعيـــة :

هر ذره كه بر روى زمينى بوده‌است
خورشيد رخى زهره جبينى بوده‌است
كرد ازرخ آستين بآزرم فشان
كان هم رخ خوب نازنينى بوده‌است

اى — ان كل ذرة على وجه الارض هى وجه زهراء الجبين ، ياهذا انفض التراب من اردانك بأدب لان ذلك ايضاً وجه جميلة فتانة .

(١) تأريخ كزيدة نقلاعن كتاب (عمر الخيام) لرضا توفيق وحسين دانش

خواندمير

قال صاحب كتاب روضة الصفا (ج ٤ ص ٦١) الشيخ مير خند وهو من علماء القرن الثامن للهجرة :

« قال الاستاذ نظام الملك أفاض الله عليه شآبيب الغفران : كان الشيخ موفق النيسابوري روح الله روحه من كبار علماء خراسان ، وكان محترماً يتبرك به وقد تجاوز من العمر الخامسة والثمانين ، وكان مشتهراً عنه أن من يتعلم عنده القرآن والحديث من التلاميذ ينالون الرتب العالية فعلى ذلك أرسلني أبي اليه مع الفقيه عبد الصمد للتعلم ، فذهبنا من طوس الى نيسابور للتشرف بباب مجلسه العظيم والتعلم ، فشرعت فى الاستفادة والتعلم عليه ، وكانت له عناية بي وقد أحببته واحترمته كثيراً ، وبقيت عنده أربع سنين ، واتفق أن رأيت عندمقدمى اليه تلميذين ذكيين أحدهما عمر الخيام والآخر الملعون حسن بن الصباح وكان على جانب عظيم من الذكاء ، وبعدقليل ارتبطنا بروابط الصداقة الخالصة فكانا يأتيان عندى بعد الدرس فنتدارس ونتذاكر فيه ، وكان عمر من نيسابور ، وحسن صباح الذى اسم أبيه على من الرى ، وكان أبوه رجلا سيء المذهب خبيث العقيدة ، وكان يقيم فى الرى ، وكان اذ ذاك ابو مسلم المروزى والياً على الرى وهو معروف بحسن العقيدة والاخلاق الفاضلة ، وكان حسن يعادى عادات أهل السنة ويظهر مفاسدهم ، ولكنه كان يدعى اذا حضر عند

أبي مسلم أنه بريء من بعض تلك الاراء ويحلف الايمان على ذلك . ولما
كان الامـــام موفق النيسابوري امام اهل السنة والجماعة في نيسابور
جاءه ذلك الملعون (حسن) وشرع في الدرس عليه دافعاً لشبهة الرفض
التي اتهم بها بطريقة الزهدواختار العزلة ، وكان تارة تروى عنه كلمات تدل
على الالحاد والاعتزال ، وتارة يتهم بالكفر والمروق والزندقة ، وكان
ينتسب الى العرب ويدعى انه من حمير من آل صباح وان والده من
الكوفة أتى الى قم ومنها الى الري ، وكان أهل خراسان — ولاسيما أهل
طوس — يكذبونه في ذلك ويقولون ان ابا حسن هو أحد قرويي
خراسان . قال نظام الملك — فقال لنا حسن يوماً: كانا تلاميذ للامام موفق
النيسابوري وسننال الرفعة والحظوة فمن يكون منا مظهر آ لهذا الفيض ،
ولابد ان يكون احد منا فماذا سيعمل لاخويه الباقيين ؟ فقلنا له: ليكن
كيفما تريد ! فقال: يلزم ان نتعاهد على ان كل من يصيب ذلك منا يشارك
اخويه الآخرين ولا يكتفي بمنفعة نفســـه . فقلنا : نعم فليكن ذلك ،
وثبتنا على تعهدنا ، فمضت السنون على هذه الحادثة وسافرت من
خراسان الى ما وراء جيجون وغزنه وكابل ، وبقيت مدة في غزنه وكابل
ولما عدت خولني السلطان الب ارسلان وظيفة خطيرة فجاءني عمر الخيام
وقضيت ما تعهدنا به من حسن الوفاء والقيام بالمراسم له واكرمته واعززته
وقلت له بعد ذلك: يلزم ان يكون مثلك من اهل الكمال ملازماً لمجلس
السلطان وقلت له: سأذكر فضلك للسلطان واذكر حالك وعلمك فأجعل
لك مكانة في نفسه حتى تكون مثلي. فقال لي الحكيم الخيام: ان عرقك

الشريف ونفسك الكريمة وطينتك الطيبة وهمتك العالية التي أظهرت بها هـــذه المطالب دعتني اليك والان فان رجلا ضعيفاً مثلي لا يكون مظهراً لتواضع وزير المشرق والمغرب ، ولا ريب في ان هذه التلطفات صادرة عن صدق لاعن تكلف وهي قليلة بالنظر الى مكانك وعلو شأنك لكن أياديك متكاثرة علي، ولو قضيت عمري بشكرك لما وفيت حق هذه المكرمة التي تفضلت بها علي، واني اتمنى ان اكون ابداً في موضع العبودية لدى مقامك ، وان ما امرت به يجب ان لا تكون عاقبته الكفران والجحود، والان انزوى جالساً في باب دولتك ومشتغلا بنشر العلم والفوائد والدعاء بالعمر الطويل لك . قال نظام الملك : وأصر الخيام على هذا الكلام لأني أعلم انه كان يتكلم بما في ضميره بدون تكلف فعينت له كل عام ١٢٠٠ دينار من املاك نيسابور ينفقها على معاشه ولكنه رجع بعد ذلك الى موطنه وأتم الفنون خصوصاً فن الهيئة ووصل في هذا الفن الى درجة رفيعة جداً . وفي عهد الملك العظيم ملك شاه جاء الخيام الى مرو وأخذ في تدريس علم الحكمة وكان مظهر عناية السلطان ووصل مقاماً كان فيه من كبار العلماء والحكماء» .

—١٣—

زوكوفسكي

ومن الوثائق التي عثر عليها المستشرق « زوكوفسكي » ما ورد في تاريخ الألفي الذي كتب في سنة ١٠٠٠هـ وهو مختصر « نزهـــة الارواح » للشهرزوري ، وقد ذكر له رباعية استدل بها على قوله بالتناسخ وهي :

اى رفته وباز آمده بل هم كشته
نـــامت زميان نا مهاكم كشته
نا خن همه جمع امده وسم كشته
ريش از بس كون در آمده دم كشته

يامن ذهب وجاء وصار ، بل هم كالانعام او أضل سبيلا ، لقد ضاع اسمك بين الاسماء واجتمعت أظافيرك وصارت ظلفاً وظهرت لحيتك فى عجزك وصارت ذيلا .



تحقيق ما جاء فى هذه الوثائق

الان۔ وقد انتهينا من استقصاء أهم الوثائق التأريخية عن عمر الخيام وما جرى له من الحوادث فى حياته وما كان يعتقده فيه معاصروه ــ يقضى البحث العلمى أن ننظر فيها نظرة انتقاد عامة فهو قد لايجوز قبول هذه الوثائق برمتها، وقد يبعث الشك فى صحتها، وقد ينكر ما جاء فيها . فتحتم علينا أن ننقد هذه الوثائق من الوجهة التأريخية ونزن ما جاءنا عنه من انباء الحوادث والوقائع حتى نستخلص الحقيقة بطريقة التعليل المستندة الى الاستقراء قياساً او اجتهاداً . فان ما أسند الى هذا الحكيم من غرائب الاخبار ومـــا عزى اليه من عجائب الحوادث يدفــــع الى الارتياب فى صحتها اذ سدلت على حياة الرجل غلالة من الغموض والابهام. فان ما كان عليه الخيام من مكانة رفيعة ومنزلة سامية ومن فضل وادب وتفكير صحيح يعارض ما ورد عنه وربما كان ما يقصه علينا المؤرخون من قبيل ما يلفق عن العظماء والمفكرين من الاخبـــار التى تختلق عادة اعظاماً لاقدارهم او حطاً لها .

ولست اجدفى نفسى ــ وقد بحثت طويلا فى تحقيق هذه الوثائق ــ ميلا الى الاعتقاد بسلامتها من شوائب الكذب والافتراء مستثنياً ما كتبه عنه تلميذه « النظامي » الذى درس عليه العلوم الشائعة فى عصره، والبيهقى الذى تحدث اليه مرة واحدة فى قضايا لغوية وفلكية .

وبعد فلنلق نظرتنا الى هذه الوثائق ....

رواية البيهقي — أما البيهقي فقد حدثنا عن كيفية وفاة الخيام فقال:
« حكى لي ختنه الامام محمد البغدادي انه كان يتخلل بخلال من ذهب و يتأمل «كتاب الشفاء» ولما وصل الى فصل الواحد والكثير قال لي اطلب الاصحاب لأنني أريد أن أوصى ، ولما اجتمعوا طفق يصلي وأعرض عن غيره ، ولما سجد كان يقول في سجوده « اللهم اني عرفتك على مبلغ امكاني فاغفر لي فان معرفتي اياك وسيلتي اليك » ثم قضى نحبه.

فالذي يتأمل في هذا الخبر لا يتردد في الحكم على عدم صحته. فاننا نجهل شخصية ختنه كما نجهل اصحابه ، ولم نسمع ولم نقرأ عن وفاة انسان على الصورة التي توفى فيها عمر الخيام ، فاذا كان يراد بذلك انه كان من اصحاب الكرامات والمعجزات ؟ ؟ ! فان الانبياء الذين يفضلون خياماً بما لهم من منزلة قدسية عند الله أولى وأجدر منه بهذه الميتة السهلة من غير معاناة ألم ومرض. واذا كان يراد بهذه الحكاية اظهار فضله والاشادة بزهده وورعه فاذا تكون قيمة هذه ازاء الشهادات القاسية التي طعنت في دينه وعقيدته؟ وكيف يمكن التوفيق بين هذا الادعاء العجيب وبين قول الشيخ نجم الدين الرازي صاحب كتاب مرصاد العباد الذي زعم أن خياماً كان من الفلاسفة الدهريين الطبيعين وانه قد تاه في بيدأ الضلال . ؟وقول القفطي في كتابه « اخبار العلماء بأخبار الحكماء » : ولما قدح اهل زمانه في دينه ، وأظهروا ما أسره من مكنونه ، خشى على دمه وأمسك من عنان لسانه وقلمه، وحج متاقاة لا تقية ، وأبدى اسراراً من السرار غير نقية؟ »

على أن رحمة الله تسع أوزار الورى ولعل الله قد غفر للخيام فى آخر ساعة من حياته بعد أن قضى دهراً طويلا يدعو الناس الى معاقرة بنت الحان مسفهاً رأى من يعتقد بالحشر والنشر ، ولله خوارق العادات ؟!

على أنني لاأتردد فى الحكم على هذه القصة المضحكة بأنها أسطورة اختلقها الناس .

رواية الشيخ ميرخوند — وأما الشيخ ميرخوند فقد نقل فى كتابه (روضة الصفا) وصايا نظام الملك الوزير وفيها خبر اجتماعه فى صغره مع عمر الخيام والحسن الصباح فى مدرسة واحدة . وقد توقف اكثر العلماء الباحثين فى قبول هذه الرواية واعتبروا هذا الخبر اسطورة ، وحجتهم فى ذلك أن نظام الملك ولد سنة ٤٠٨ هـ وقد ثبت أن وفاة عمر الخيام كانت سنة ٥١٧ هـ ووفاة الحسن الصباح سنة ٥١٨ هـ فعلى هذا يقتضى أن يكون قد عاش كل من عمر الخيام والحسن الصباح ١٢٠ سنة وهو احتمال ضعيف وعلى هذا نفى اكثر العلماء والمشتغلين فى هذا الموضوع اجتماع هؤلاء الثلاثة لتعذر المقاربة بين اعمارهم (١)

ولست اميل الى تكذيبها بتاتاً لأني لااستبعد وقوع ذلك وقد يجوز ان يعيش الانسان ١٢٠ سنة لكن الذى يدفع الباحث الى الارتياب فى هذا الخبر هو شيء واحد ، وهو أننا لوفرضنا أن عمر الخيام قد عاش هذا العمر اتفاقاً فهل يجوز لنا ان نفرض بأن الحسن الصباح قد عمر

---

(١) وممن ذكر هذا المستشرق الفرنسى لويز ماسنيون فى اثناء زيارته بغداد منذ اكثر من عامين ، وقد ضمنا واياه مجلس كان فيه الاستاذان الاثرى وعز الدين علم الدين .

بقدر ماعمر الخيام اتفاقاً أيضاً ؟ فى هذه الحالة أقف ازاء هذه القصة موقف المتردد الذى يشك تارة ويوقن اخرى .

رواية زكريا بن محمد بن محمود القزوينى — أما زكريا القزوينى فقد روى فى كتابه آثار البلاد واخبار العباد قصة غريبة عزاها الى عمر الخيام وتتلخص فى أن أحد الفقهاء كان يقرأ عليه درساً فى الحكمة كل يوم قبل طلوع الشمس فاذا حضر عند الناس ذكر الخيام بالسوء فأمر الخيام باحضار جمع من الطبالين والبوقيين وخبأهم فى داره فلما جاء الفقيه على عادته أمرهم الخيام بضرب الطبول، فجاءته الناس ، فقال الخيام : ياأهل نيشابور هذا عالمكم يأتينى كل يوم فى هذا الوقت ويأخذ عنى العلم ويذكرنى عندكم بما تعلمون فسبب بذلك فضيحة للفقيه ، الى آخر القصة

هذا مارواه القزوينى ونحن نعلم بأن عمر الخيام كان يجلس فى سرير واحد مع ملكشاه السلجوقى ، وكان ملك بخارى يعظمه كثيراً ، وقد علم الفلسفة فى نيشابور وبنى فيها الارصاد وكانت له منزلة رفيعة حتى ان الامام الغزالى قال له حين مواجهته له : اجعلنى من بعض اهلك فهل من المعقول أن يسف الخيام هذا الاسفاف الذى يترفع عنه الفتية لينتقم من شانئه بهذه الوسيلة المضحكة .

رواية المستشرق زوكوفسكى — وأما المستشرق زوكوفسكى فقد زعم انه عثر فى تاريخ الالفى الذى كتب فى سنة ١٠٠٠ ه على رباعية استدل بها على قوله بالتناسخ. وهذه الرواية لايعتد بها ايضاً لان من يهاجم عقيدة البعث بعد الموت فى اكثر رباعياته لا يمكن أن يعتقد بمذهب التناسخ الذى هو رأى الاقوام المنحطة فى التفكير .

مقام الخيام فى الاداب الحديثة

— ١ —

الرباعيات فى اللغات الاجنبية

لم يترك عمر الخيام بعده من الآثار غير رباعياته وبضع رسائل فى الفلسفة والطبيعيات والجبر والكيمياء. وقد وقف المتأخرون على رباعياته فوجدوا فيها من الحلاوة والروعة وبعد التفكير ما أثار فى نفوسهم الاعجاب الشديد بها، فافتتنوا بها اى افتتان وتهافتوا على ترجمتها الى اللغات نثراً ونظماً. واستظهروها وتحاوروا بها فى مجالسهم وأنديتهم. والذين تولوا الاشادة بذكر عمر الخيام ورباعياته واذاعة صيته هم بعض الافذاذ من المستشرقين الذين يعود اليهم الفضل فى بعث اسمه واعلاء شأنه ولولا هؤلاء الفطاحل لبقى الخيام خامل الذكر مجهولا عند الناس. ولست اريد ان ابحث فى السبب الذى ساق هؤلاء الى الاعتناء والرغبة فيها وانما يكفى ان اقول ان المعانى الجليلة التى تضمنتها الرباعيات صادفت هوى فى القلوب على اختلاف المشارب ولاءمت الاذواق والطباع فليس فى الرباعيات تلك المسحة الشعرية الآرية والخيال الوسيع وانما تجلى فيها الذوق الانسانى العام فكان خيام لمن ترجم عن احساس الناس وعبر عن شعورهم وشكوكهم وتخيلاتهم وآمالهم وآلامهم وباح بمكنوناتهم ودخائلهم.

هذا هو السر الذى اورث الميل اليه فى الناس. وها نحن اولاء نذكر أسماء الرجال الذين عنوا برباعياته .

* * *

اول من عرف الخيام من الفرنجـــة العلامـــة (توماس هايد Thomas Hayde) استاذ اللغتين العربية والعبرانية فى جامعة اكسفرد ومؤلف تاريخ اديان البرثيين والميديين ، وقد بحث فى شعر عمر الخيام وترجمه سنة ١٧٠٠م . ثم جاء من بعده فزكرلد Vitzgerald وهو اول من اشاد بذكر الخيام ورفع ذكره ومقامه فنظم فلسفته بالانكليزية رباعيات ضمنها روح الرباعيات الفارسية فخلد اسمه برباعياته التى صادفت قبولا عظيما من الانكليز والاميركان وهى آية فى السلاسة والرقة والاعجاز . وترجمة فزكرلد هى المشهورة المتداولة بين الناس .

واليك نموذجاً من نظمه : —

1

Awake for Morning in
the Bowl of Night
Has flung the Stone that
puts the Stars to Flight :
And Lo! the Hunter of
the East has caught
The Sultan's Turret in a
Noose of Light.

2

Dreaming when Dawn's Left
Hand was in the Sky
I heard a Voice within the
Tavern cry .
, Awake, my Little ones,
and fil the cup
,Bef re Life,s Liquor in its
Cup be dry

3

And, as the Coek crew, these
who stood before
The Tavern shouted-' Open
then the Door !
' You know how little
while we have to stay,
' And,once departed,may
return no more .

وفى سنة ١٨١٨م ترجم المستشرق النمساوى هـــامر برغستـــل Hammar Purgstal خمسا وعشرين رباعية ونشرها فى كتابه تأريخ الدولة العثمانية مدعياً أن هذه الرباعيات مخالفة للدين الاسلامى .

وفىسنة ١٨٥٧م ترجم المستشرق غرسن دوتاسى Gorcin de Tassy عشر رباعيات .

وفى القرن التاســـع عشر ترجم المستشرق الســـير كور أوزلى Sir Gore Ouseley رباعيتين وكان سفيراً فى طهران وتوفى سنة ١٨٤٤م .

وفى سنة ١٨٩٨ م ترجم المستشرق أدورد هـــيرن الرباعيات

الى الانكليزية نثراً معتمداً على النسخة التي اعتمدهـــا فز كرلد وبين ما راعاه هذا من الاصل فى ترجمته ومالم يراعه .

وترجمها الى الفرنسية نثراً المسيو نقولا Nicolas الذى كان مستخدماً فى السفارة الفرنسية فى طهران ، وقد ترجم هذا كل ما اشتملت عليه النسخة التى طبعت فى بمبى، ومن رأيه أن الخيــام شاعر صوفى مشغول بالعشق الالهى سكران بالخمرة المقدسة وشبهه بحافظ الشيرازى .

وترجمها الى الانكليزية كل من ونسفلد Whinfield وهالن Hallen وهرسن Hirson وريشرد لكلين Richard Le galliaun لكنهم لم يبلغوا الشأو الذى بلغه فزكرلد .

وقد ترجمها الى الفرنسية المسيو ت . هنرى T. Henry .

ومن الذين كتبوا عنه المستشرق الانكليزى الاستاذ العلامة دينسن روس Denison Ross .

وممن تتبع سيرته المستشرق والنتين زوكوفسكى Valantin Zhukovski فكتب باللغة الروسية أشـــياء ترجمها عن دينسن روس .

وبحث المستر براون E.G.Brown استاذ اللغتين العربية والفارسية فى كمبرج بحثاً مفيداً عن فلسفته وسيرته .

وممن بحث فى فلسفته الاستاذ جاكسن jackson الاميركى

وبحث المستشرق برتلمى ديربلو Bar helmgd' Herblot المتوفى سنة ١٦٩٥م فى كتابه «المكتبة الشرقية» عن الخيام .

* * *

الرباعيات فى اللغة العربية

واول من نقل الرباعيات الى العربية نظماً الشاعر الرقيق وديع البستاني فترجم اربعين رباعياً من الانكليزية من نظم الشاعر فزكرلد . وهذا لم يترجم الرباعيات بنصها وفصها وانما درسها درساً عميقاً حتى اذا تشبعت روحه بآراء الخيام أخرجها فى قوالب شعرية هى من نتاج قريحته وفيض شاعريته فجاءت بعيدة عن الاصل ولكن عليها مسحة من شاعرية خيام . والبستاني بترجمته أبعدها عن الاصل اكثر الا أن له فضل الاولية فى لفت انظار العرب الى رباعيات الخيام

وفى ترجمته من الرقة والاحساس والسلاسة والروعة الشعرية مايفتن اللب ويهيج الشجو . واليك نموذجاً من ترجمته :—

بت فى حانتى ضجيع المدام وقبيل انهزام جنح الظلام

راعني هاتف دوى فى المقام

صارخاً بالنيام : حتى الى ما فارشفوها وودعوا الايامـا

قبلما تجرعون كأس حمام راحها علقم أسيغ شرابا

* * *

وربيع الحياة عهد الصباء وحياني كهذه الصهباء

مرها الحلو فهى طبي ودائي

وبلخ او نيسبور سأقضى فدعونى بعض اللبانة أقضى
ودعوني اسقى المدام دعوني قبلما يدهم المشيب الشبابا

* * *

ومقامي غصن مظل بقفر ورغيفان مع زجاجة خمر
كل زادي والاهل ديوان شعر
وحبيب بهواه قلبي المعنى بشجى يذيبنى يتغنى
هكذا اسكن القفار وحيداً وارى هذه القصور خرابا

* * *

وأعقب البستانى الأديب المصرى السيد محمد السباعى فأخرج الى العربية مائة رباعى ورباعياً وقد ترجمها أيضاً عن الانكليزية البعيدة عن الاصل الفارسى وهى من حيث السبك والسلاسة والرقة والروعة دون ترجمة البستاني لان فيها من الالفاظ المهجورة والتعابير الثقيلة على الاسماع مايعافه الذوق ويمجه السمع ولهذا لم تشتهر كاشتهار ترجمة البستانى . وقد صدر النظم بهذا البيتين :

غرد الطير فنبه من نعس وأدر كأسك فالوقت خلس
سل سيف الفجر من غمد الدجى وتعرى الصبح من ثوب الغلس

وهذان البيتان من نظم الشاعر العربي (ابن وكيع) ولهما ثالث وهو قوله:

وانجلى عن حلل فضية نالها من ظلم الليل دنس

ولم يشأ السباعى ان يشير الى اسم ابن وكيع تحتهما وانما أغار على قوله فسباه ، وكان مقضياً عليه اجتناب هذا العاب .

واليك الان نموذجاً من ترجمته .

غرد الطير فنبه من نعس وأدر كأسك فالوقت خلس
سل سيف الفجر من غمد الغلس وانبرى فى الشرق رام أرسلا
اسهم الانوار فى هام القلاع

* * *

صاح بي فى النوم طيف هاتها املأ الاكواب من ياقوتها
فبما تنضب فى كاساتها خمرة الروح وترتد الى
منبع فى الغيب مجهول البقاع

* * *

واول من نقل الرباعيات الى العربية نظماً فى العراق الشاعر الاديب السيد محمد الهاشمى . وقد توليت ترجمتها من الفارسية نثراً وتولى نظمها فى العربية، فجاءت الترجمة طبقاً للاصل الفارسى وآية فى الرقة والسلاسة، وهى اصح ترجمة ظهرت الى الان فى العالم العربي . ومنها :

يا الهى اذا جنيت فأثمى يا الهى على شبابي وجسمى
وعلى نفسى الحزينة جرمي انا جان رجوت عفواً وصفحاً
منك قد غره رضاك فجارا

* * *

جيئتى فى الدنيا اذى واضطراب وبقائي تحير وارتياب
و بقسر يكون منى ذهاب اى قصد من جيئة و بقاء
وذهاب ؟ قد ضلت الالباب !

* * *

بيد مصحف وكأس بأخرى تارة بالحلال اتي ومرا
بحرام آتى فأحمـــل وزرا لست تحت السماء بالكافر الحـ
ـر ولا كنت كامل الاسلام

* * *

يا الهى أوعـــدتنى بعذاب انا منه فى حيرة واضطراب
اين قل ياربي مكان العذاب حيثما كنت لا عذاب فاني
هو ؟ اذ انتم بكل مكان

* * *

ثم أعقبه الاستاذ الشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى فترجم الرباعيات من الاصل الفارسى رباعية برباعية نثراً ثم نظما، شيئاً بعد شىء، واختار منها مائة وثلاثين رباعية. فمن ترجمته :

أنا ان لم أحس السلافة يوماً كان للهم فى فؤادى دبيب
قيل لى تب فقلت ان كان ربي لم يشأ توبتي فكيف أتوب

* * *

لعبوا بالتراب دهراً الى ان جبلوا منه فى النهاية طينى
أنا ما ان أكون أحسن منى فمن الكور هكذا أفرغونى

* * *

يا يد الماشطات حسناء روداً مشبهاً وجهها من الحسن زهرا
الغبـــار انفضيه عنه برفق فلقد كان وجه حسناء أخرى

* * *

اما فى مصر فاول من نقلها عن الفارسية شاعر الشباب **أحمد رامي** ، وقد طبعت الترجمة عام ١٩٢٤ م، ولم اطلع عليها الا عام ١٩٢٠م، وقد درستها بامعان فاذا هي دون ترجمة الزهاوى والهاشمى بكثير. فمن ترجمته :

سمعت صوتاً هاتفاً فى السحر   نادى من القبو غفاة البشر
هبوا املأوا كأس الطلا قبل ان   تفعم كاس العمر كف القدر

٭ ٭ ٭

أحس فى نفسى دبيب الفناء   ولم أصب الا الاسى والشقاء
وا حسرتا ان حان حينى ولم   يتح لفكرى حل لغز القضاء

٭ ٭ ٭

أفق وصب الخمر انعم بها   واكشف خفايا النفس من حجبها
وروّ اوصالى بها قبلما   يصاغ دن الخمر من تربها

٭ ٭ ٭

— ٣ —

الرباعيات فى اللغة التركية

واول من ترجم الرباعيات الى التركية هو المرحوم المعلم فيضى ولم يترجم اكثر من مئة رباعى.

ثم أعقبه « مستجابي زاده عصمت » وهو أحد أدباء الأتراك

ثم عبدالله جودت الاديب التركى الكبير، وقد اشتهرت ترجمته اكثر من غيرها ، ومن ترجمته :

باشمده يانان حسرتكه تاج ديرم
راهكده دوشوب اولمه يه معراج ديرم
هم شاعر ازاده وهم بنده حسن
به كوكلمه شاهنشه محتـــاج ديرم

ثم جاء الفيلسوف الشاعر رضا توفيق بك وألف كتاباً بالاشتراك مع الاديب المحقق حسين دانش، وهو أنفس كتاب ظهر فى اللغـة التركية فى رباعيات الخيام .

ونشر قبـــل مدة من الزمن الاديب حافظ عبدالقادر الازميرى رسالة صغيرة تضمنت ترجمه مختصرة لعمر الخيام .

وترجم الشاعر التركى الشاب رفعت احمد بك اربعين رباعياً فوفق كثيراً

وآخر من نقلها الى التركية الاديب التركى الفاضـل حسين رفعت بك وقد ترجم (١٥٨) رباعية فاجاد كل الاجادة فى النقـــل وحافظ على روعة الاصل الا انه استعان كثيراً بالالفاظ الفارسية وهو النقص الوحيد الذى يؤاخذ عليه . فمن ترجمته :

بر سحر وقتى ندا كلدى بزم ميكده دن
ديدى : اى رند خرابات نه دورورسك ياهو ؟
قالقكه لبريز ايده لم (مى) ايله پيمانه لرى
او لمادن بوش قالمز خاك سيهله مملو

* * *

بو كيجه ساغر كلرنك ايله بن
دلى تنشيط ايده يم تا بصباح
عقل ودينى بوشايوب اوچ كره
ايده يم باده يى تزويج ونكاح

— ٤ —

الرباعيات فى اللغة العبرية

وأول من نقل الرباعيات من الفارسية الى العبرية نظماً المحامي سليم افندى اسحق وهو من اصدقائنا المطاعين على دقائق الشريعة الموسوية وتأريخها وفلسفتها وقد ضرب فى اللغات الافرنجية بسهم وافر، وهو عدا ذلك شاعر باللغة العبرية . فمن ترجمته .

תוך הגלגל המצחק
בבני עולם בגלגולו
יש איש אחד ויש שני
אשר טוב לו בעמלו
זה המבין סוד הגלגל
גם עגולו גם פעלו
וזה אשר אין יודע
בין ימינו לשמאלו

כופרים יאמרו העולם הוא דבר ישן
חדש יאמר איש מאמין ודרשן
ואחר כי תחת עפר אישן
מה לי אם הוא חדש ואם ישן נושן

יום מחר אחרית עוד לא אנכי בו
ויום אתמול טרם בואי כלא
ויום שאני בקרבו
תאמרו תלוי במזלא
אם כן איך נקי בריבו
יהיה אושם בעלילה
בלי דעתו ישא חובו
ויקנה שם אב העולה

١ — فى هذا الفلك الذى يسخر بيني البشر عندما يدور يوجد واحد وثاني له ، يرى خـيراً فى كل ما يعمله ذاك ، هو الذى يفهم سر الفلك واستدارته وصنعه وذاك الذى لايعرف مابين يمينه وشماله .

٢ — يقول الملاحدة ان العالم قـديم ، ويقول المؤمنون المتفقهون انه حديث . اما انا — بعدما ارقد تحت الثرى — فمالى وله جديداً كان ام حديثاً .

٣ — ان الغد لست به بعد . ويوم امس قد مر قبل ان آتيه . وتقولون ان اليوم الذى انا فيه معلق بيد الاقدار . اذاً فلماذا يكون البرىء مجرماً من غير أن يقترف اثماً فيكون هو الضال المخطىء ؟

ثم اعقبه صديقنا الودود عزرا افندى حداد وهو أديب بالعربية وشاعر بالعبرية . وقد نقل ١٦٠ رباعية نظماً الى العبرية . فمن ترجمته :

כָּל בֹּקֶר מִיְּמֵי הֶבְלִי ,
אָשׁוּב לִבְלִי טְעֹם שִׁכּוֹר :
וּבְבוֹא עֶרֶב וְהֵן אֶצְלִי —
כּוֹסִי , אֶת שְׂפָתַי תַּעְבֹר .

עֵת מֵחֹמֶר יְצַרְתָּנִי ,
—אֱלֹהַּ — יָדַעְתָּ עֲלוּמִי .
מִמְּךָ הָיָה כָּל מַצְפּוּנַי — :
רוּחִי , בְּשָׂרִי , עֲצָמַי .

אִם — בֵּן אֵפוֹא , לָמָּה בְּיוֹם
תְּקִימֵנִי לַדִּין , אֶרְשַׁע !
לָמָּה בְּעֵת מִשְׁפָּט אָיוֹם ,
אֶמְצָא שׁוֹאָה בְּלִי יֵשַׁע !

١ــ ولكم حاولت صباح كل يوم من ايامي الفانيــة ان اتوب عن شرب الخمرة ، لكنني عند المساء كنت ارى الكاس بقربي ، تحرق شفتي بخمرها المعتقة .

٢— رباه ! انك يوم جبلتني من صلصال كنت عالماً بكل خفاياي ، ومنك منشأ كل ما آتيه الآن سراً ، منك روحي ، منك لحمي، منك عظامي .

٣— فاذا كان الامر كذلك ، فلماذا اذاً اعتبر مجرماً يوم اقف امامك يوم الدين ؟ ولماذا تحيق بي المصائب عند مجاثي الهائلة امام جلالتك الربانية ولا اجد حولي من يدافع عني ؟



عصر الخيـــام

نشأ عمر الخيـــام فى عهد الدولة السلجوقية الكبرى التى بسطت سلطانها على خراسان والرى والجبال والعراق والجزيرة وفارس والأهواز وهو يقابل العصر العباسى الرابع او القرنين الاخيرين من الدولة العباسية ، ويبدأ عصر الخيام بدخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ ه. وقد أسس هذه الدولة ركن الدين ابو طالب طغرل بك ، ودامت حياتها ٩٣ سنة من سنة ٤٢٦ الى ٥٢٢ ه وانقرضت على يد شاهات خوارزم، وقد حكمها ثمانية سلاطين . هم : طغرل بك ، وألب أرسلان ، وملكشاه، ومحمود ، وبركياروق ، وملكشاه الثاني ، وابو شجاع محمد ، وابو الحارث سنجر . وقد عاش الخيام فى كنف هـذه الدولة فقربه سلاطينها . منهم ألب أرسلان الذى أنعم عليه براتب سنوى يبلغ (١٢٠٠) مثقال من الذهب ، وملكشاه الذى عهد اليه امور الرصد فرتب له الخيام « الزيج الجلالى » وكان ينزله منزلة الندماء ويجلسه معه على سرير واحد .

الوضع السياسى

كانت الخلافة فى هذا العهد ضئيلة السلطان ، وكان نفوذ الخلفاء لا يتجاوز ابواب قصورهم ، ولم يكن لهم من الامر سوى ذكر اسمائهم على المنابر ، وكانوا كالآلة الصماء فى يد سلاطين آل بويه ، وفى عهد عمر الخيام تفرقت كلمة آل بويه فى بغداد وزالت هيبتهم من القلوب ، وفيه

استولى السلاجقة على بغداد ، وفيه ظهرت الطائفـــة الباطنية فارعبت القلوب وارتكبت من الكبائر والموبقات ما يستعصى على القلم تصويره، وفى عهده هز التعصب الدينى اعصاب المسيحية فى اوربة فنظموا الحملات الهائلة التى أطلق عليها اسم «الحملات الصليبية » فعاثوا فى البلاد الاسلامية فساداً ، وسفكوا الدماء البريئة ، وخربوا المدن للاستيلاء على اورشليم «القدس». وفى عهده بسط السلاجقة سلطانهم على البلاد الاسلامية الا بعضها فكان فى الاندلس والمغرب الاقصى دولة الملثمين ، والقائم بأمرهم يوسف بن تاشفين (٤٨٠ — ٥٠٠ ه) ثم من بعده على الى سنة ٥٣٧ ه

وفى افريقية من آل زيرى تميم بن المعز بن باديس الى سنة ٥٠١ ه ، ثم يحيى بن تميم الى سنة ٥٠٩ ه ، ثم على بن يحيى الى سنة ٥١٥ ه .

وفى مصر من الفاطميين المستعلى ابو القاسم احمد بن المستنصر معد الى سنة ٤٩٥ه ، ثم الآمر باحكام الله على المنصور بن المستعين الى سنة ٥٢٤ه

وفى زبيد من الدولة النجاحية الامير بن نجاح الى سنة ٤٩٨ه ، ثم فاتك بن جيش الى سنة ٥٠٣ ، ثم منصور بن فاتك الى سنة ٥١٧ ه .

وفى صنعاء ومهرة ظهر الامير حاتم بن غانم الهمداني من سنة ٤٩٢ه الى سنة ٥٠٢ ه ، ثم عبد الله بن حاتم الى سنة ٥٠٤ ه ، ثم معن بن حاتم الى سنة ٥١٠ ه ، ثم هشام بن قبيط وحاتم بن حماص .

وما عدا ذلك من البلدان الاسلامية فى آسية كان محكوماً بدولة السلاجقة (١) .

---

(١) تأريخ الخضرى

ظهور الدولة السلجوقية

يبتدىء حكم آل بويه سنة ٣٣٤هـ وينتهي سنة ٤٤٧هـ ، وهم من الديلم وقد حكموا البلاد ولقبوا انفسهم بالسلاطين ، وكانوا أصحاب نفوذ عظيم . اغتصبوا السلطان من الخلفاء العباسيين واستولوا على شؤون الدولة ، وفى منتصف القرن الخامس الهجرى ضعف نفوذهم وتفرقت كلمتهم واضطرب امرهم فلم يكن فى وسعهم ان يحفظوا بغداد من الطوارئ وان يدفعوا عنها الملمات واتفق أن حدث يومئذ حادث كان سبباً فى زوال ملكهم وتمزيق شملهم ، وذلك ان ابا الحارث أرسلان المعروف بالبساسيرى — وهو غلام تركي من مماليك بهاء الدولة — أراد أن يزيل الخلافة عن بنى العباس فكتب الى الخليفة المستنصر العلوى بمصر ليدخل فى طاعته ويخطب باسمه على منابر بغداد فعلم الخليفة القائم العباسى بذلك فكتب الى السلطان طغرل بك يستنجده (٢) ويستغيث به فهب طغرل بك وكتب الى الامصار أنه يريد الحج واصلاح طريق مكة والمسير الى الشام ومصر وازالة المستنصر العلوى صاحبها ، وكاتب اصحابه بالدينور وقرميسين وحلوان وغيرها ، فأمرهم باعداد الاقوات والعلوفات فعظم الارجاف ببغداد ، ولما وصل طغرل بك الى حلوان وانتشر اصحابه فى طريق خراسان ارسل طغرل الى الخليفة يبالغ فى اظهار العبودية والطاعة ويعد الاتراك المقيمين فى بغداد بالاحسان والجميل ، فاجتمعت كلمة الرؤساء والامراء على مكاتبة

(٢) الفخرى ٢١٥

طغرل بك: يبذلون له الطاعة والخطبة، فأمر الخليفة الخطباء أن يخطبوا لطغرل بك بجوامع بغداد، فخطب له فى يوم الجمعة ٢٢ المحرم ٤٤٧ ه ودخلها فى الخامس والعشرين منه، وعندئذ قبض على آخر سلاطين بنى بويه وهو الملك الرحيم وبذلك انقضت دولتهم ووجدت بالعراق وما وراءه هذه الدولة الجديدة الفتية وهى دولة السلاجقة، ومن أشهر سلاطين هذه الدولة ألب أرسلان، وفى عهده أسس وزيره نظام الملك رفيق الخيام فى المدرسة وطالب العلم - المدرسة النظامية ببغداد(١) فتم بناؤها سنة ٤٥٨، وملكشاه الذى اتسع ملكه اتساعاً عظيما فخطب له من حدود الصين الى آخر الشام، ومن اقاصى بلاد الاسلام فى الشمال الى آخر بلاد اليمن، وحملت اليه ملوك الروم الجزية. وقد عاش عمر الخيام محترم الجانب، موفور الكرامة، فى كنف هذين السلطانين، وكان محبوباً لديهما، وقد أنعم عليه الاول براتب سنوى، وكان الثاني ينزله منزلة النديم.

الحروب الصليبية

ومن الحوادث العظيمة التى حدثت فى عهد عمر الخيام، وأشرنا اليها فى الكلمة السابقة «الحروب الصليبية» تلك الحادثة التى كان لها الاثر العظيم فى الأقطار الاسلامية. وليس من قصدنا ان نتبسط فى شرحها

(١) اقرأ تفصيل البحث فى مهذب تأريخ مساجد بغداد للالوسى والاثرى

فى كتابنا هذا فانها حوادث عصور استمر امرها من سنة ٤٩٠ الى ٦٩٠ﻫ وانما نريد ان نمر بها على سبيل الاستطراد لاجل ان نتبين الوضع السياسى فى عهد الخيام .

اشتبك نصارى الغرب مع المسلمين فى حروب دامية دامت قرنين اشترك فيها من الدول الاسلامية الدولة الفاطمية بمصر ودولة السلاجقة ودول الاتابكية التى تفرعت عن السلاجقة ودول الايوبية ودول المماليك البحرية بمصر ، وقد ذهب المؤرخون مذاهب شتى فى تعليل هذه الحملات واسبابها مما هو مذكور فى كتب التاريخ . وقد فتح الصليبيون بلدان المسلمين واستولوا على معظم المدن الواقعة فى الانضول والشام واسسوا فيها امارات سميت بالامارات اللاتينية . منها امارة الرها بوادى الفرات سنة ٤٩٠ ﻫ ثم انطاكية سنة ٤٩١ ﻫ ، وقد ارتكب الصليبيون من الجرائم مالا ترتكبه الوحوش الضارية ولا سيما عند فتح بيت المقدس ، وقد ناضل المسلمون ودافعوا عن بلادهم دفاعاً مجيداً عدا الخلفاء الفاطميين الذين قصروا عن اداء هذا الواجب لاسباب ذكرها الكتبة والمؤرخون .

هذه الحوادث هى اهم الحوادث السياسية التى حدثت فى حياة عمر الخيام ، وهى تتلخص فى اربعة وقائع (١) سقوط الدولة البويهية (٢) قيام الدولة السلجوقية مقامها (٣) الحروب الصليبية (٤) ظهور الباطنية اعني الحشاشين . وقد اوجزنا فى بيان الثلاثة الاولى ، وبقى علينا ان نذكر شيئاً عن الباطنية الحشاشين .

* * *

من أفظع الحوادث التي وقعت في عهد عمر الخيام حادث الطائفة الباطنية التي سميت بالحشاشين . وواضعها زميل الخيام وشريكه في طلب العلم « الحسن بن الصباح » ولم يكن الحسن هو المؤسس الاول لهذه الطائفة الجهنمية وانما بعثها من مرقدها وجدد دعوتها وأشعل نارها بعد ان خمدت مدة قرنين ، وكانت في بادئ امرها تسمى الاسماعيلية ثم سميت بالقرامطة ، واخذت طوراً مهماً في عهد حسن المذكور ، واليك تفصيل ذلك .

لما مات الامام جعفر بن محمد الصادق ادعى فريق من المسلمين بان الامام بعده اسماعيل نصاً عليه باتفاق من اولاده الا انهم اختلفوا في موته في حال حياة ابيه ، فمنهم من يقال انه لم يمت الا انه اظهر موته تقية من خلفاء بني العباس ، ومنهم من قال الموت صحيح والنص لا يرجع القهقرى ، والفائدة بالنص بقاء الامامة في اولاد المنصوص عليه دون غيره . فالامام بعده اسماعيل محمد بن اسماعيل ، هؤلاء يقال لهم المباركية ، ثم منهم من وقف على محمد بن اسماعيل وقال برجعته بعد غيبته ، ومنهم من ساق الامامة في المستورين منهم ، ثم في الظاهرين القائمين من بعدهم ، وهم الباطنية (١)

القداح وقرمط

وكان لجعفر بن محمد الصادق مولى يقال له ميمون بن ديصان

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني (ص ١٢٧—١٢٨)

المعروف بالقداح، وقد ذكر صاحب الفرق بين الفرق(١) انه هو المؤسس الاول للدعوة الباطنية مع جماعة منهم محمد بن الحسين الملقب بذيذان وذلك فى سجن والى العرق ، غير ان ابن النديم يذكر فى فهرسته (٢) ان الداعية الاول هو عبد الله بن ميمون المذكور وهو من اهل قورح العباس بقرب مدينة الاهواز. والصحيح هو مادكره ابن النديم فيمون لم يؤسس الباطنية وانما اسس الفرقة التى عرفت باسمه وهى « الميمونية » التى اظهرت اتباع ابي الخطاب محمد بن ابى زينب الذى دعا الى الوهية على ابن ابي طالب ، وكان ميمون وابنه عبدالله ديصانيين (٣) وكان عبدالله ذكى الفؤاد عالى الهمة ملحداً يطمح الى الرياسة والامرة على الناس ، فبث لدعاة فى انحاء البلاد سراً ولا سيما فى الكوفة ، فأجابه فى هـذا الموضع جل يعرف بحمد ان بن اشعث ، ويلقب بقرمط لقصر كان فى متنه وساقه او لقرمطة فى خطه او خطوه ، وكان هذا أ كاراً من ا كرة سواد الكوفة فى قرية يقال لها « قس بهرام » ، واقام قرمط بكلواذى ، ونصب له عبدالله بن ميمون رجلا من ولده يكاتبه من الطالقان وذلك فى سنة ٢٦١ هـ ، ثم ظهر بعده فى الدعوة الى الباطنية ابو سعيد الجنابي وكان من مستجيبة حمدان وتغلب على ناحية البحرين ، ثم قام بالدعوة بعد ذلك سعيد بن الحسين بن احمد بن عبدالله بن ميمون بن ديصان القداح فغير

---

(١) ص ٢٦٦

(٢) ص ٢٦٧ خط

(٣) الملل والنحل للشهرستانى ١٩٤

اسم نفسه ونسبه وقال لاتباعه وانا عبيد الله بن الحسن بن محمد بن اسماعيل ابن جعفر الصادق ، ثم ظهرت فتنة بالمغرب ، وظهر منهم المعروف بابن كرويه بن مهرويه الدندانى ، وكان من تلامذة حمدان قرمط ، ثم ظهر منهم مأمون اخو حمدان قرمط فى فارس ، ودخل رجل منهم أرض الديلم يعرف بابى حاتم فاستجاب له جماعة من اهلها .

وذكر العلامة عبد القاهر البغدادى فى الفرق بين الفرق (ص ٢٦٨) أن الدعوة الباطنية انتشرت اولا فى زمان المأمون والمعتصم ، وان الافشين قائد جيوش المعتصم دخل فى دعوتهم ، وان بابك الخرمى كان من مقتفى هذا المذهب .

وقد ارتكب القرامطة الآثام وسفكوا الدماء وهتكوا الحرمات وفعلوا اموراً تقشعر منها الابدان ، و بقوا يعيشون فى الارض فساداً الى سنة ٣١٢ ﻫ فقد ظهر فى ذلك الحين رجل منهم يقال سليمان بن الحسن فهجم على البصرة واغتصبها ثم قطع طريق الحجاج وسبى الحرم والذرارى وفى سنة ٣١٧ ﻫ دخل مكة وقتل من وجده فى الطواف ، وقيل انه قتل بها ٣٠٠٠ نسمة ، واخرج منها ٧٠٠ بكر ، اقتلع الحجر الاسود وحمله الى البحرين ، وفى سنة ٣١٨ ﻫ قصد بغداد ولما ورد هيت رمته امرأة من سطحها بلبنة فقتلته ، وبقتله انقطعت شوكتهم وذهب ريحهم الى ان ظهر منهم الحسن الصباح الذى تعلم مع عمر الخيام ونظام الملك فى نيسابور ، فكان المؤسس الثانى لهذه الطائفة التى جعلها فيما بعد دولة توارث السلطان عليها اولاده فى قلعة « الموت » .

عقائدهم

اتفق أكثر الباحثين على أن عقائد الطائفة الباطنية مقتبسة من المجوسية والمانوية والمزدكية والدهرية، ويؤيد ذلك أنهم أباحوا لاتباعهم نكاح البنات والاخوات، وأباحوا شرب الخمر وجميع اللذات. ظهر منهم رجل يعرف بابن أبي زكريا الطامي سنة ٣١٩هـ فأوجب قتل الغلام الذى يمتنع على من يريد الفجور به، وأمر بقطع من أطفأ ناراً بيده وبقطع لسان من اطفأها بنفخة، فنكاح البنات والاخوات والتمتع بجميع اللذات واحترام النار من العقائد الزردشتية والمانوية والمزدكية. اما كونهم من الدهرية فلانهم يرفضون المعجزات، وينكرون الوحى، ويزعمون ان الانبياء قوم أحبوا الزعامة فساسوا العامة بالنواميس والحيل طلباً للزعامة بدعوى النبوة، ويرون بطلان الشرائع بما تتضمنه من الاعتقاد بالحشر والمعاد وغير ذلك، ومما يؤكد قولنا ما جاء فى الرساله التى بعثها عبيدالله ابن الحسن القيرواني الى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابى فقد اوصاه فيها وصية قال فيها:—

«أدع الناس بأن تتقرب اليهم بما يميلون اليه. وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم، فإن أنست منه رشداً فا كشف له الغطاء، واذا ظفرت بالفلسفى فاحتفظ به فعلى الفلاسفة معولنا، وانا واياهم مجمعون على ان نواميس الانبياء ... وعلى القول بقدم العالم لو لاما يخالفنا فيه بعضهم من ان للعالم مدبراً لا يعرفه، وذكر فى الكتاب ابطال القول فى المعاد والعقاب. وذكر فيها ان الجنة نعيم الدنيا، وان العذاب انما هو اشتغال

اصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد »

وقال فيها ايضاً : « ان أهل الشرائع يعبدون الهاً لا يعرفونه ولا يحصلون منه الا على اسم بلا جسم ، وأكرم الدهرية فانهم منا ونحن منهم !! »

وقال فيها ايضاً : « انى أوصيك بتشكيك الناس فى القرآن والتوراة والزبور والانجيل ، وبدعوتهم الى ابطال الشرائع، وابطال المعاد والنشور من القبور، وابطال الملائكة فى السماء ، وابطال الجن فى الارض، وأوصيك بان تدعوهم الى القول بانه قد كان قبل آدم بشر كثير فان ذلك عوز لك على القول بقدم العالم . وينبغى ان تحيط علماً بمخاريق الانبياء ومناقضاتهم . !! »

وقال فى آخر رسالته : وما العجب من شيء كالعجب من رجل يدعى العقل ثم يكون له أخت او بنت حسناء وليست له زوجة فى حسنها فيحرمها على نفسه وينكحها من اجنبي !! ولو علم الجاهل لعلم انه أحق باخته وبنته من الاجنبي !! ما وجه ذلك الا ان صاحبهم حرم عليهم الطيبات ، وخوفهم بغائب لا يعقل وهو الاله الذى يزعمونه وأخبرهم بكون ما لا يرونه ابداً من البعث من القبور والحساب والجنة والنار !! حتى استعبدهم بذلك عاجلا وجعلهم له فى حياته ولذريته بعد وفاته خولا واستباح بذلك اموالهم بقوله : « قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة فى القربى » فكان أمره معهم نقداً وأمرهم معه نسيئة ، وقد استعجل منهم بذل أرواحهم وأموالهم على انتظار موعود لا يكون ،وهل

الجنة الا هذه الدنيا ونعيمها ، وهل النار أوعذابها الا ما فيه أصحاب الشرائع من التعبد والنصب فى الصلاة والصيام والجهاد والحج !! » .

ثم قال مخاطباً سليمان بن الحسن المذكور : « وانت واخوانك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس ، وفى هذه الدنيا ورثتم نعيمها ولذاتها المحرمة على الجاهلين المتمسكين بشرائع اصحاب النواميس فهنيئاً لكم مانلتم من الراحة من امرهم » .

وبعد فهذه الرسالة وحدها كافية للتدليل على ان اصحاب هذه الطائفة اباحية دهرية ملحدة ، هدامة لارقى النواميس الاجتماعية التي نشرها الانبياء المصلحون .

مراتب الدعوة ومؤلفات الباطنية

وكان دعاة الباطنية ماهرين نشيطين فى الدعاية ، لهم اساليب خاصة بهم فى أمر الدعوة فكانوا لايفاجئون الذين يدعونهم الى نحلتهم بأسرارهم وانما يندرجون معهم فيكلمون العامى بطريقة تختلف عن الطريقة التى يكلمون بها العالم جرياً على قاعدة « كلم الناس على قدر عقولهم » فأحدثوا مراتب للدعاية ، وهى التفرس ، والتأنيس ، والتشكيك ، والتعليق ، والربط ، والتدليس ، والتأسيس ، والمواثيق بالايمان والعهود ، والخلع والسلخ . فيشرع الداعية فى تنفيذ الدرجة الاولى حتى يصل الى مرتبة الخلع والسلخ وهى الدرجة الاخيرة التى يصبح بها الباطنى ملحداً بحتاً ، وبها هدم الاعتقاد والاديان المنزلة ، وهناك صفات يجب ان يتصف بها

الداعية لبث الدعوة (١) .

وقد كتب دعاتهم كتباً كثيرة ونشروها بين الناس لتنفيذ أغراضهم و بث مبادئهم ، ومنها مالايجوز الاطلاع عليه الا بعد ان تمر على الباطنى مدة لاتقل عن أربع سنين . فمن كتبهم كتاب الرحى والدولاب ، وكتاب الحدود والاسناد ، وكتاب اللامع ، وكتاب الزاهر ، وكتاب الميدان ، وكتاب النيران ، وكتاب الملاحم ، وكتاب المقصد ، ولهم البلاغات السبعة ، وهى : كتاب البلاغ الاول للعامة ، وكتاب البلاغ الثانى لمن هم فوق هؤلاء قليلا ، وكتاب البلاغ الثالث لمن دخل فى المذهب سنة ، وكتاب البلاغ الرابع لمن دخل فى المذهب سنتين ، وكتاب البلاغ الخامس لمن دخل فى المذهب ثلاث سنين ، وكتاب البلاغ السادس لمن دخل فى المذهب اربع سنين ، وكتاب البلاغ السابع وفيه نتيجة المذهب والكشف الاكبر وفيه أمر عظيم من اباحة المحظورات والوضع من الشرائع واصحابها (٢) وهناك رسائل وتعليمات كثيرة كرسالة القيرواني الى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابى وغيرها ، وقد فتشت طويلا وبذلت الجهد الكثير للحصول على هذه الكتب فلم أظفر بتأليف او رسالة مما كتبوه و يظهر أن كتبهم ابيدت واحرقت بعد زوال امرهم .

هذا مجمل مافصله القوم عن ظهورهم وحركتهم وتعاليمهم ، وذلك قبل ظهور الداهية الاكبر الحسن الصباح .

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٨٤

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٢٧١ خط

دار الحكمة

فى منتصف القرن الرابع الهجرى زحف القائد الكبير جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى بجيوشه الى مصر وانتزعها من الاخشيديين واسس فيها القاهرة ، وبعد بضع سنين دخلها المعز واعلن نفسه خليفة المسلمين فيها واسس فيها الدولة الفاطمية ، وكان النظام الادارى فيها غريباً فى بابه اذ كانت المهمة الاولى المعنى بها هى بث الدعاية للدولة المذكورة لذلك احدثوا وظيفة « داعى الدعاة » وكان عليها رجل كبير يعرف بهذا اللقب ودرجته تلى درجة قاضى القضاة ، وكان الدعاة يتلقون المبادىء من مصر ثم يتركونها الى الاقطار الاسلامية متبعين منهاجاً مسنوناً ، وفى زمن الحاكم بامر الله الذى تولى الحكم بعد ابيه المعز سنة ٣٨٦ ﻫ نشطت الدعاية واتسعت فى البلدان اتساعا عظيما . وكان الحاكم مضطرب الرأى عصبى المزاج ، شاذاً فى اطواره واخلاقه ، سفاكا للدماء قتل عدداً كبيراً من اماثل اهل دولته ، وكانت سيرته تدل على جنة ومس فيه ، فكان تارة يأمر بسب الصحابة ، وطوراً يأمر بضرب من يرتكب هذا المنكر ، وأمر مرة بقتل الكلاب ، ونهى عن بيع الفقاع والملوخيا والسمك الذى لا قشر له والعنب ، وقد لاقى النصارى واليهود منه الوان العذاب خلال حكمه . وقد وصفه ابن خلدون فى تاريخه (ج ٤ ص ٦٠) « بأنه كان مضطرباً فى الجور والعدل والاخافة والأمن والنسك والبدعة ، غير أن

الذى يهمنا من سيرة الحاكم بامر الله مواظبته على بث الدعوة السرية الباطنية باعداد الوسائل، تنظيم المناهج بتأسيس (دار الحكمة) فى مصر.

تعاليم دار الحكمة

وكانت تعاليم دار الحكمة هى الاسس والاوضاع التى وضعها عبدالله ابن ميمون بن ديصان المعروف بالقداح ، وتتضمن التعاليم التى بثها الدعاة فى عهدالباطنية الاولى والتى ذكرت فى رسالة القيرواني الى سليمان ابن الحسن ، وغايتها نزع العقيدة الدينية من الصدور و تمكين فكرة الالحاد فى قلوب الناس . وكانت درجات الدعاية فى دار الحكمة تسعاً وذلك بزيادة درجتين على تعاليم ابن القداح التى كانت سبعاً فقط ، ولكن الغاية كانت واحدة وهى هدم الدين الاسلامي ليس غير .

المؤسس الثانى

هو الحسن بن الصباح الذى ولد حوالى سنة ٤٣٠ ه وكان قد تلقى علومه على الامام موفق النيسابورى مع عمر الخيام ونظام الملك الوزير فى نيسابور ، وكان يدعى انه ينتمى الى « يوسف الحميرى » احد امراء اليمن ، وكان يقول ان والده جاء من الكوفة الى قم ومنها الى الرى الا ان اهالى طوس لم يصدقوه وكانوا يدعون ان والده - واسمه « على » - هو من احدى قرى خراسان ، ولعل الصباح جده او لقب ابيه .

وقصد الحسن بن الصباح الوزير نظام الملك وذكره بالعهد الذى تعاهدوا على انفاذه يوم كان هو وعمر الخيام ونظام الملك يتعلمون

فى نيسابور ،فرحب به نظام الملك وقدمه الى السلطان ملكشاه وعينه كبير الحجاب الا ان الحسن العالى الهمة الكبير النفس الطموح لم يرض بهذا المنصب فقد سولت له نفسه الجشعة الايقاع بمن أنعم عليه وأكرمه فاخـــذ يتحين الفرص للفتك بالوزير للحصول على منصبه الخطير ، واتفق ان ملكشاه طلب يوماً الى نظام الملك أن يقـــدم له الموازنة فاستمذره نظام الملك وطلب اليه ان يمهله سنة واحدة فلما بلغ ذلك حسن الصباح قابل الملك ووعده بانه سوف يقدم له الموازنة بعد اربعين يوماً وقد فعل ذلك وقام بما وعد به خلال الاجل المضروب ، فأحس نظام الملك بالدسائس التى يدبرها الحسن فعمد الى الحيلة للتخلص منه فأخفى اوراقاً سرية تعود الى الدولة . ولما اطلع السلطان على الاوراق وجد فيها نقصاً فوبخ حسناً ووجد عليه ، فاضطر حسن أن يترك البلاط وذهب الى اصفهان واختفى عند رجل يسمى (ابا الفضل) وفى مدة بقائه عنده كانت تظهر عليه حالات عصبية وانفعالات نفسية وقد قال ذات يوم لابي الفضل « لو كان لى صديقان صادقان لقضيت على حكومة هذا التركى وهذا القروى » يريد بالاول الملك وبالثاني . وزيره نظام الملك ،فأيقن ابو الفضل بوجود اضطراب عقلى فيه فكان يعطيه المخدرات الروحية والمشروبات المسكنة وقد مر على هذا الحديث عشرون عاماً توفى خلالها ملكشاه ومات نظام الملك بطعنة باطنى، واشتهر امر حسن وكانت له الرياسة ،فقـال لصديقه ابي الفضل فى قلعة « الموت » : من كان منا مجنوناً ياابا الفضل ؟ أأنت ام انا ؟ من الذى كان قميناً بان يأخذ المشروبات والمخدرات التي كنت

تتفضل على بها فى اصفهان ؟ أرايت كيف نفذت كلمتى عند ماوجدت صديقين صادقين (١)

ثم هجر الحسن اصفهان وشد الرحال الى مصر فلاقى حفاوة من الخليفة المستنصر، ثم انخرط فى سلك المحفل السرى وتعلم المبادئ الاسماعيلية، وبعد ان تشربت روحه بهذه الافكار قفل راجعاً الى فارس واخذ يبث الدعوة فى نواحى خراسان فاتبعه الرعاع فقادهم فاستولى اولا على قلعة فى نواحى الديلم يقال لها « الروذبار » وكانت هذه القلعة لقماح صاحب ملكشاه فاخذ من الباطنية الفاً ومئتى دينار وسلم القلعة فى سنة ٤٨٣ هـ وذلك فى ايام ملكشاه ثم استولى الحسن على قلعة « الموت » وتحصن بها هو واتباعه، واسس بها الدولة الاسماعيلية وقد دامت زهاء ١١٨ سنة وحكمها (ثمانية) اشخاص من اولاده واحفاده .

* * *

تعاليم ابن الصباح

تتلخص تعاليم ابن الصباح فيما يلى :

(أ) — الدعوة الى تعيين امام صادق قائم فى كل زمان وتمييز الفرقة الناجية من سائر الفرق بان لها اماماً وليس لغيرهم امام

(ب) — ضرورة استعمال العقل فى معرفة الله والنظر الى جانب تعاليم المعلم الصادق .

(ج) — والناس فرقتان من جهة تعاليم المعلم الصادق فالاولى ترى

---

(١) تاريخ الاسلام للجوزى (ج ص ٣٩١)

الاستعانة فى معرفة الله بالمعلم الصادق ووجوب تعيينه وتشخيصه ثم التعلم منه ، وقالت الثانيه بالأخذ فى كل علم من معلم وغير معلم . فالحق مع الفرقة الاولى فرأسهم يجب ان يكون رأس المحققين .

(د) — بالاحتياج عرفنا الامام وبالامام عرفنا مقادير الاحتياج كما بالجواز عرفنا الوجود أى واجب الوجود وبه عرفنا مقادير الجواز فى الجائز .

(ه) — ان فى العالم حقاً وباطلا وان علامة الحق هى الوحـــدة وعلامة الباطل هى الكثرة، وان الوحدة مع التعليم والكثرة مع الرأى والتعليم مع الجماعة والجماعة مع الامام والرأى مع الفرقة المختلفة وهذه مع رؤسائها .

(و) - التوحيد هو التوحيد والنبوة معاً حتى يكون توحيداً، والنبوة هى النبوة والامامة معاً حتى تكون نبوة .

وقد منع الحسن العامة عن الخوض فى العلوم وكذلك الخاصة عن مطالعة الكتب المتقدمة الا من عرف كيفية الحال (١)

مراتب الجمعية

وقد جعل الحسن بن الصباح مراتب جمعية الجهنمية سبعاً بدلا من تسع وهى لا تختلف فى الجوهر عن مراتب محفل « دار الحكمة »

(١) الملل والنحل للشهرستانى (ص ١٤٧ — ١٥٢) وقد ذكر المؤلف ان هذه الفصول كانت اعجمية فترجمها .

ـــالرئيســ

ويسمى السيد أو شيخ الجبل، وهو كبير الطائفة الاعلى وبيده الحل والعقد وله الامر والنهى .

ـــ الدعاةـــ

وهم الكبار المقدمون ومقامهم فى ثلاث ولايات توجد فيها امنع قلاع الطائفة وهى بلاد الجبل وقهستان والشام ، وهؤلاء يتلقون اوامرهم من الرئيس وينفذون اوامره السامية .

ـــالرسلـــ

وهم الرسل الدينيون ووظيفتهم بث الدعاية والتغلغل بين الجماهير وحضهم على اقتفاء مبادئ الطائفة .

ـــالرفاق ـــ

وهم الذين يكونون حاشية الدعاة ويتلقون التعاليم والمبادئ السرية .

ـــ الفدائيون ـــ

ووظيفتهم اغتيال الذين يناصبون الطائفة العداء .

ـــالمبتدئون ـــ

وهؤلاء جند الطائفة ويتلقون التعاليم الاولية .

ـــالعـــامةـــ

وهم الرعاع وليس لهم من العلم بالطائفة غير الانتساب اليها ، وعلى العامة فى فتح القلاع ومهاجمة البلدان (١)

(١) دورى ص ٣٩٧ ترجمة الدكتور عبد الله جودت .

علمنا مما تقدم أن الدرجة العليا هى درجة الرئيس او السيد أو شيخ الجبل، والدرجة الدنيا هى درجة العامة ومنهـــا يترقى الى درجة التلميذ ومنها الى درجة الفدائية ، وفى هذه الدرجة يكون الباطني عضواً حميماً يعتمد عليه فى ادارة شئون الطائفة ولا يرقى احدا هذه الدرجة الا اذا كان شديد البأس كثير الطاعة فاذا أنس الرئيس من احدهم استعداداً اولم وليمة فاخرة له وناوله اثناء الطعام نباتاً مسكراً من نوع «الحشيشـــة» ، حتى اذا فعلت الحشيشـــة فعلها امر بنقله الى جنة غناء قد غرست على حافات جداولها اطيب الفواكه وأنضر الزهر والورد، ونصبت فى احواضها الفوارات، واقيمت فيها الرواشن والغرف الصينية، وفرشت بافخر الديباج واثثت بالرياش النفيسة، وهناك فى تلك الردهات البديعة المظللة بعرائش الكرم تطوف عليه الحســـان باكواب الخمر وأباريقها ، ويضربن على رأسه بالالات الموسيقية ذات النغمات الشجية ، ثم ينقـــل فوراً الى المكان الذى فيه الرئيس وعند صحوه يخبره الرئيس بانه لم يبرح مكانه وانه امر روحه ان تطوف بالفردوس فيندهش الفتى مما رآه، وعند ذلك يجعل نفسه طوع ارادة الشيخ طمعاً بالجنة ويكون بعده آلة صماء يديرها كيفما يشاء، ولكى تعرف مبلغ اطاعة الفدائي للرئيس انقل لك القصـــة الاتية (١) : ارسل ملكشاه السلجوقى يوماً رسولا الى الحسن بن الصباح يدعوه الى الطاعة ويتهدده ان خالفه ويأمره بالكف عن بث أصحـابه لقتل العلماء والامراء ، فقال الحسن لجماعة وقفوا بين يديه — والرسول

---

(١) نقد العلم والعلماء لابن الجوزى ص ١١٧

يشهد ذلك – اريد ان انفذكم الى مولاكم فى حاجة فمن ينهض لها ؟ فاشرأب كل منهم لذلك، فاومأ الى شاب منهم وقال له: اقتل نفسك! فجذب سكينة وضرب بها غلصمته فخر ميتاً! وقال لآخر: ارم بنفسك من القلعة! فالقى نفسه فتمزق! ثم التفت الى رسول السلطان ملكشاه فقال له: اخبره ان عندى من هؤلاء عشرين الفاً هذا حد طاعتهم لى وهذا هو الجواب!!

—النتيجة—

ولبث الحسن فى قلعة (ألموت) حتى توفى فيها سنة ٥٢٠ او ٥١٨هـ على رواية دوزى بعد ان حكمها (٣٥) سنة وقد اتفق الباحثون على انه كان على جانب عظيم من الذكاء ومضاء العزيمة، عالماً فى الفلك والهندسة، متضلعاً من الاراء والمذاهب الفلسفية، شديد البأس، قاسى القلب دساساً فتاكاً. وقد توارث الحكم على الموت ابناؤه الى سنة ٦٥٠ حيث قضى على الطائفة المذكورة هلاكو التاتارى وبها انطوت اشنع صفحة فى التأريخ الاسلامي.

* * *

وبعد فاننا لم نذكر هذه الابحاث بالاسهاب الا لاننا نبغي ان نبرهن بان عمر الخيام كان يمثل آراء الباطنية فى عصره وان له اتصالا قويا بهم ونكاد نجزم بانه كان داعية من دعاتهم وسنوفى هذا المطلب حقه فى بحثنا عن آرائه ومعتقداته

عصره العلمي

علمنا مما تقدم بأن العصر الذى عاش فيه الخيام كان عصراً يجيش بالاحن والفتن والحروب الدموية ، فكان الصليبيون يهاجمون الشرق ويهددون الكيان الاسلامى من جهة ، والباطنيون من جهة اخرى يدبرون المكايد والدسائس لهدم الاسلام و يبثون الدعاة لنشر الالحاد بين طبقات المؤمنين ، وان الكلمة العليا فيه كانت للسيف . .

والان نريد ان نعلم مكانة العلم ومنزلة القلم فى ذلك العصر . والذى يبحث ليسبر غور العصر الذى كان فيه الخيام يتبين ان أهم مميزات هذا العصر عما سبقه هو تأسيس المدارس فى العالم الاسلامى ، فقد مرت اربعة قرون على المسلمين لم يكن لديهم فيها مدارس منظمة ذات مناهج مقررة وانظمة مسنونة اذ كانت العناية متجهة فى هذه القرون الاربعة الى انشاء المكاتب . . .

المدارس

أما فى عصر الخيام فقد كثرت المدارس وأشهرها مدرسة ابن فورك المتوفى سنة ٤٠٦ هـ(١) ، والمدرسة البيهقية للبيهقى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ ، والسعيدية التى بناها نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود الغزنوى ، ومدرسة أخرى بناها اسماعيل الاسترابادى الصوفى الواعظ ، وأخرى بنيت للاستاذ أبى اسحاق (٢) غير أنه لم يكن لهذه المدارس ما للمدارس

(١) ابن خلكان (ج ١ ص ٤٨٢)
(٢) السيوطى (ج ٢ ص ١٨٥)

النظامية التي أسسها نظام الملك الوزير من الانظمة والمناهج

المدارس النظامية

هي المدارس العظيمة التي أسسها نظام الملك في بغداد ونيسابور وأصفهان وطوس وغيرها من المدن . وأشهرها المدرسة النظامية في بغداد ، وقد أنشأها سنة ٤٥٧هـ وفتحها سنة ٤٥٩هـ ، وعين لها مدرسين من أجلة العلماء في عصره مثل أبي اسحاق الشيرازى ، والامام أبي نصر الصباغ صاحب الشامل ، والامام الغزالى ، وأبي القاسم الدبوسى ، والشاشى ، والكياهراسى ، والسهروردى ، وكمال الدين الانبارى ، ورتب لطلبة العلم فيها الجرايات حتى بلغ ما ينفق عليهم ٦٠٠,٠٠٠ دينار فى السنة ، وقيل ان هذا الانفاق كان سبباً لقتله ، ولكن دوزى يرى انه قتل بطعنة باطنى . وقد وشى به بعضهم الى السلطان ملكشاه اذ قالوا له « ان الاموال التى ينفقها نظام الملك فى ذلك يقيم جيشاً يركز رايته فى سور القسطنطينية ، فعاتبه ملكشاه فى ذلك فأجابه: يا بنى أنا شيخ أعجمى لو نودى على فى « من يزيد؟ » لم أحفظ خمسة دنانير ، وأنت غلام تركى لو نودى عليك عساك تحفظ ثلاثين ديناراً ، وأنت مشتغل بلذاتك ، منهمك فى شهواتك ، واكثر ما يصعد الى الله معاصيك دون طاعتك ، وجيوشك الذين تعدهم للنوائب ، اذا احتشدوا كافحوا عنك بسيف طوله ذراعان ، وقوس لا ينتهى مدى مرماها الى ثلثمائة ذراع ، وهم مع ذلك مستغرقون فى المعاصى والخمور والملاهى والمزمار والطنبور ، وأنا أقمت لك جيشاً يسمى جيش الليل اذا نامت جيوشك ليلا قامت جيوش الليل على أقدامهم صفوفاً بين

يدى ربهم، فأرسلوا دموعهم، واطلقوا ألسنتهم، ومدوا الى الله اكفهم بالدعاء لك ولجيوشك، فأنت وجيوشك فى خفارتهم تعيشون، وبدعائهم تبيتون، وببركاتهم تمطرون وترزقون، »

مقاومة علماء الاسلام للباطنية

ومن مميزات هذا العصر نهضة العلماء والمفكرين لمناوأة الباطنية وطعن تعاليمها واظهار سخف مبادئها وتحذير الناس من سمومها، والباطنية لم تنشر تعاليمها بقوة السيف فقط وانما توسلت بالدعاية والاقناع والحجاج أيضاً، فألفت الكتب الكثيرة المتضمنة براهينهم وولاءهم، لذلك كان لزاماً أن يهب علماء ذلك العصر لمحاربة تلك المبادىء بأقلامهم، فكان القاضى أبو بكر الباقلاني أول من أشهر عليهم الحرب فألف كتاباً سماه (كشف الاسرار الباطنية) أظهر فيه عوراتهم وحمقهم، ثم تلاه أبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر احمد الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ فجادلهم مبيناً بطلان مذهبهم، ثم أعقبه ابن حزم الظاهرى المتوفى سنة ٤٥٦ هـ، ولم يقصر فى رد كيدهم الى نحورهم، ثم جاء بعد هؤلاء حجة الاسلام أبو حامد الغزالى وكتب رسالة فى (فضائح الباطنية) تشتمل على تعاليم القرامطة والاسماعيليه وغيرهم من الطوائف الباطنية والبدع فى الاسلام، والرسالة محفوظة فى المتحف البريطاني الآن، وقد أطلق الرازى فخر الدين لسانه الذرب طاعناً بهم من فوق المنابر، وقد هددوه بالقتل فتركهم وشأنهم خوفاً على حياته(١).

---

(١) رازى (ص ٣٩٩)

وفى الحقيقة ان أقلام هؤلاء الفطاحل قد أعانت السيف فى القضاء عليهم .

الخلاصة

تبين مما اجملناه أنه — بالرغم عن الفتن و الحروب الكثيرة التى حدثت فى عصر — الخيام كان لدولة العلم رايات مرفوعة ، وللعلماء مكانة عالية فى القلوب ، وكان تهافت الناس على المدارس عظيما ، ويكفى أن نذكر للتدليل على ازدهار العلم فى العصر الخيامي أنه قد نشأ فى ذلك العصر ماينيف على ثمانين ومئة فحل بين شاعر، ومنشى، ولغوى ، ومؤرخ ومترجم للجماعات ، وجغرافى ، ومؤلف فى السير والسياسة والادارة والطب وغير ذلك من العلوم .

قدمنا أن عمر الخيام نشأ وعاش فى عهد الدولة السلجوقية الكبرى، وأنه حدثت فى عصره اربع وقائع كبيرة ، وهى : سقوط الدولة البويهية، وقيام الدولة السلجوقية ، ونشوب الحروب الصليبية ، وتجديد الدعوة للباطنية وظهورها بشكل أوسع نطاقاً وأرهب شأناً .

هذا من الناحية السياسية ، وأما الناحية العلمية فان عصره قد امتاز بتأسيس المدارس وتنظيمها كما ألمعنا الى ذلك فى بحثنا عن المدارس النظامية التى أنشأها نظام الملك الوزير الشهير .

بقى علينا أن نعرف الروح السائد فى ذلك العصر لان فى اطلاعنا على ذلك نستطيع أن نفهم الميول والاتجاهات ونوع التفكير فى ذلك العصر . و فى الحق اننا نحاول ونجهد أن نعلم من وراء ذلك ما اذا كان الخيام يمثل عصره أو لا ، وهل فى الامكان اعتباره نموذجاً من التفكير السائد يومئذ ، أو هل كان لعصر الخيام من التهيؤ الكافى ليوجد شخصاً مثله أو ، لا حتى لـكأن خياماً شاذ فى عصره لا معرفة له به ولا قرابة بينهما فى الروح والعلم والتفكير كأن يد الاقدار قذفته خطأ فى هذا العصر !!

لاشك ان من الصعب جداً معرفة الروح السائد والوقوف على اسلوب التفكير على اختلاف ضروبه ، والاطلاع على الميول والرغائب والاخلاق والانفعالات النفسية ، وبالجملة معرفة الصبغة التى اصطبغ بها ذلك العصر ، لان ذلك — فضلا عن افتقاره الى درس طويل ،

وبحث عميق — تحول دون بلوغه فقدان الوسائل والوسائط ، وقــد لا تظهر من هذا الدرس الذى يقتضى وقتاً طويلا وجهوداً عظيمة نتيجة حسنة وحقيقة ملموسة ، وقــد لا يهتدى الباحث فى بحثه وتدقيقه فى صفحات هـذا العصر الى شئ من الحوادث والوقائع التى يصح ان تكون مقياساً لمعرفة روح العصر .

وغاية الباحث فى هذه الحالة ان يفتش فى بطون المؤلفات عن الشواهد والامثال ليستخلص منها ما يمكن ان يعول عليه فى اظهار الصورة الحقيقية للعصر الذى يدرسه ويبحث فى الكيفية التى اوجدته ، والظروف التى احاطت به !

ومع ذلك فلست واثقاً بأن ايراد الامثال والشواهد تكفى لتعريف الصبغة الغالبة فى ذلك العصر اذ قد تكون هذه الشواهد وهذه الامثال من قبيل الاراء المنحولة التى تنتقل من حيز الى آخر بالدعايات لنيل مأرب وقضاء مطلب ، أو من قبيل الحكايات والقصص المنحولة التى تتداولها الافواه اما للاشادة بفضيلة شخص ، واما للحط من كرامته وشرفه ، وهى عوائد متعارفة فى كل زمان وكل مكان .

ومن الواضح أن الخرافات والاساطير تكاثر وتعيش طويلا فى المدن التى فيها مزارات ومشاهد دينية تؤمها الناس فى اوقات معلومة وقد تنتشر هذه الخرافات وقد تشيع هذه الاساطير غير ان حياتها قصيرة وظروفها ضعيفة فهى لذلك لا تكون عقيدة لدى الامم لانها مشيدة على أساس التخيل والوهم ، فلا يجوز للباحث والمؤرخ ان يعتدبها

أو يجعلها مقياساً يقيس به عقلية الجمهور ، ويجب ان لا يبرح عن بالنا ان قابلية التخيل فى الانسان شديدة وان الانسان ميال بطبعه الى المبالغــة فان حديثاً يتداولونه عند طلوع الشمس تجده قد تغير وصار كأنه غيره عند غروبها .

* * *

جئت بهذه الكلمة تبرئة لاستغرابى جرأة الاديب المصرى السيد زكى مبارك اذ أصدر حكمه على العصر الذى ابحث فيه الآن بأنه عصر تغلب عليه صبغة السذاجة (١) وقد استدل على هذه السذاجة التى يتخيلها بالقصة التى ذكرها المؤرخ خواندمير مؤلف كتاب روضة الصفا ، وهى من وصايا الوزير نظام الملك ، وتتلخص فى « أن والده كان قد أرسله مع الفقيه عبد الصمد الى نيسابور ليقرأ على الامــام موفق النيسابورى وكان السائد فى عقيدة اهل زمانه أن كل من قرأ عليه العلوم العربية نبغ فيها و بلغ الغاية وانساق الى العز والجاه والنعمة والثراء .... الى آخر القصــة ؟ !

و بعد ان اورد القصة برمتها علق عليها بأن « الذى يعنينا من هذه الحكاية هو ان يكون السائد فى عقيدة اهل ذلك الزمان أن من قرأ العلوم العربية على الامام الموفق نبغ فيها وانساق الى العز والجاه وتلك

(١) الف هذا الاديب كتابا بعنوان « الاخلاق عند الغزالى» وعصر الغزالى هو عصر الخيام وقد ذكرنا اجتماعهما وتحاورهما فى قضايا علمية

خرافة لايسيغها غير ضعاف العقول وصغار الاحلام ..»

ولو تروى قليلا وبحث فى صحة هذه الوثيقة وعدم صحتها لتبين أن هذه القصة قصة مهلهلة الجانب هزيلة الاركان قد نالت من الباحثين نقداً ومن العلماء طعناً وعدم اعتماد وثقة لأن نظام الملك الذى ذكر فى هذه الوصايا خبر اجتماعه فى نيسابور مع عمر الخيام والحسن الصباح وتلقيه العلوم فى مدرسة الموفق النيسابورى ولد سنة ٤٠٨ ﻫ وقد ثبت بأن الخيام قد توفى على المشهور سنة ٥١٧ ﻫ والحسن بن الصباح توفى سنة ٥١٨ ﻫ وعلى هذا يقتضى ان يكون قد عاش كل من عمر الخيام والحسن الصباح مائة سنة او يزيد . لذلك اعتبر الباحثون هذه الوثيقة ضعيفة مشكوكا فى صحتها ، وقد فات المؤلف الاديب ان الوثائق المشكوك فى صحتها لايصح ان يحتج بها او يعتمد عليها لان الشك اذا سرى فى جزء الشيء سرى فى كله لامحالة !

وان اعجب فعجبى من الاساتذة الفطاحل الذين منحوا هذا الاديب لقب « الدكتوراه » من غير مناقشته فى هذه الوثيقة !

ولنفرض ان هذه الوثيقة صحيحة لاشائبة فيها فهل يجوز ياترى ان تعتبر كافية للاحتجاج بها على الصبغة الغالبة فى ذلك العصر ؟ أعتقد انه لايجوز ذلك ابداً لان مثل هذه الاساطير والخرافات موجودة فى كل زمان ومكان . واذا كان الامر كذلك — وهو الواقع — فلا يسوغ لنا المنطق أن نحكم على كل العصور التى مرت بالبشر منذ فجر التأريخ الى يوم الناس هذا بالسذاجة والبساطة !

وأعود فاقول ان من العسير على الباحث تحديد الصبغة الغالبة على العصر الذى وجد فيه عمر الخيام فان من الصعوبة بمكان ان نصور اليوم حقيقة الروح السائد فى العصر الذى نعيش فيه لاختلاف الميول والاهواء فيه فكيف بالعصر الذى تعاقبت عليه تسعة عصور ؟

واذا كان لابد من ذلك فاني أعتقد أنه يجب على الباحث فى هذه الحالة ان ينعم النظر و يتأمل ملياً فى احوال الطبقات الثلاث التى يتألف منها الشعب ، وهم :

١ — الرعية اى جمهور الناس

٢ — الحكام وهم الملوك والوزراء والامراء ارباب الحل والعقد

٣ — رجال الدين

أما أمر الرعية وما كانت تشعر به فشيء غامض ، فليس فى ايدى الناس وثائق ومستندات تأريخية نستدل بها على اتجاه شعور الجمهور فى ذلك العصر ، والمؤرخون فى ذلك العصر وغيره من العصور لم يعنوا بتدوين شعور الرعايا واتجاهاتها وانما كانوا يعنون بتدوين وقائع الحروب وكيل المديح للملوك والامراء جزافاً ، تزلفاً اليهم وتقرباً منهم ، هذا ما كان من امر الرعية !

وأما الحكام فى عصر الخيام ، وهم الملوك والامراء والوزراء اولو الامر والنهى والحل والعقد ، فان التاريخ — والعهدة عليه — يقص علينا اخباراً سارة عنهم ، ويحدثنا حديثاً قد اكسبهم مجداً وفخراً ! يقول التأريخ : انهم خدموا العلم كثيراً وشجعوا العلماء واحترموهم وانعموا

عليهم بجلائل الالاء ووسعوا عليهم الارزاق ليتفرغوا لنشر العلوم والفضائل ، وقد مر بنا ما قام به نظام الملك الوزير من تشييد المدارس والمراصد وعلمنا بالمكانة الرفيعة والمنزلة السامية التى نالها عمر الخيام من ملوك السلاجقة وما ذاك الا لانهم قدروا فضله واحترموا علمه وأدبه .

وأما رجال الدين — وهم الذين يفرض عليهم الواجب الدينى ان يكونوا قدوة صالحة ومثلا اعلى من حيث النزاهة والفضيلة والاداب ليقتفى اثرهم الناس — فانا نرى أكثرهم فى كل عصر و فى كل جيل حملة على الدين وادعياء فيه فكانوا بلية على الناس وقوة هائلة لتأييد الاستبداد ومقاومة الحرية الفكرية ومناوأة الاحرار ومعارضة التجديد والاصلاح وسيفاً مسلولا يهدد الارواح وحرباً عواناً على كل حر يستعمل حقه الطبيعى فى ابداء رأيه وابراز فكرته ، وقد لعب رجال الدين — واقصد المزيفين الكذابين منهم طبعاً لا المصلحين الذين فدوا أرواحهم لخير الناس — لعباً عجيباً فى الحياة الاجتماعية والسياسية . فقد ادخلو أنوفهم فيما لايجوز ادخاله وهددوا كل من لاينزل عند رغائبهم بالطعن والتكفير ، وكم ازهقوا ارواحا بريئة ، وسفكوا دماء زكية بقصاصة تسمى فى عرفهم « فتوى » ! فهذه العصبة التى يتبرأ منها الدين — وهى ملتصقة به — على جانب عظيم من الحسد والنفاق والشقاق يأكل بعضهم لحم بعض ميتاً ، واذا لمع منهم نابغ وظهرت مواهبه وبرزت اخلاقه واقترن اسمه بالذكر الحسن حاربوه بالدس ، ووصموه بكل ماهو شنيع ، والصقوا به

الرذائل والموبقات ! والذى ينعم النظر فى حالة هذا النوع من رجال الدين فى عصر الخيام يجدهم على جانب عظيم من سوء الخلق وفساد السجية والحسد والنفاق، وها أنا ذا اسوق شاهداً يدل على ماكان عليه هؤلاء من النقص فى التهذيب وقلة المروءة .

كان شيخ الاسلام عبدالله الانصارى ، وهو الامام ابو اسماعيل عبدالله بن ابى منصور محمد بن ابي معاذ على بن محمد بن احمد بن على بن جعفر بن منصور بن مقر الخزرجى الانصارى الهروى الذى يتصل نسبه بأبي ايوب الانصارى ، من اجلة العلماء والمحدثين فى عصره ، وكانت له منزلة سامية ومكانة رفيعة فى زمانه غير انه كان حنبلياً ميالا للتجسيم والتشبيه ، وقد حسده رجال الدين فى عصره ووجدوا عليه وارادو له الكيد والوقيعة به واتفق ان قدم هراة السلطان الب ارسلان السلجوقى والوزير نظام الملك فاجتمع رجال الدين فى هراة واتفقوا فيما بينهم على ان يتقدموا الى شيخ الاسلام بسؤال يسقطه من نظر الوزير ، فلما اجتمعوا بالوزير ، وكان شيخ الاسلام حاضراً ، انبرى له احدهم وقال ترى هل يسمح لى الشيخ الامام ان اسأله عن قضية ؟ فقال : سل مابدالك !

قال له : لماذا تلعن ابا الحسن الاشعرى ؟

فسكت الشيخ ، ولما كان نظام الملك أشعرى المذهب أطرق ، وبعد برهة قال : يا شيخ اجب الرجل ، فقال شيخ الاسلام : « انا لا اعرف الاشعرى ، غير انى العن من لا يعتقد بان الله فى السماء .

وفى رواية انه لما جاء السلطان ألب ارسلان الى هراة اجتمع مشايخ البلد وفكروا فى ايجاد سبب ينزلون به غضب السلطان على شيخ الاسلام عبد الله الانصارى ، فقر رأيهم على أن يصنعوا صنما صغيراً يخبئونه فى محراب الامام ، وفعلوا ذلك ، ولما حضروا بين يدى السلطان اكثروا الشكوى من الامام وقالوا له : انه قائل بالتجسيم واذا اراد السلطان ان يوقن بصدق مدعانا فليأمر بارسال من يأتي اليه بالصنم من مسجد الامام! فغضب السلطان وارسل فى الحال جماعة من غلمانه ليحضروا له الصنم ، ثم أمر باحضار شيخ الاسلام ، فلما دخل الشيخ مجلس السلطان وجد مشايخ البلد جالسين ووجد صنما صغيراً امام السلطان وكان السلطان يهتز من الغضب والالم !

فقال السلطان للشيخ : ماهذا ؟

قال الشيخ : هذا صنم صغير يصنع ليلعب به الاطفال !

قال السلطان : اني لا اسألك عن ذلك ، انما تزعم هذه الجماعة بانك من عبدة الاصنام ؟

فقال الشيخ : «سبحانك هذا بهتان عظيم» وقرأ هذه الآية بصوت ونبرة تدل على صدقه واخلاصه .

فاعتقد السلطان براءة الشيخ وطهارة ايمانه، ولما تحقق الامر علم انها مؤامرة أريد بها الوقيعة بالشيخ فأكرمه وصرفه وعاقب المفترين الكذابين !

قلنا فيما سبق ان سلوك رجال الدين فى عصر الخيام كان سيئاً فاسداً

من الناحية الاخلاقية ، وقد سردنا أمر حادثتين وقعتا فى عصره ، والذى ينعم النظر فى رباعيات الخيام يجد الخيام متبرماً متذمراً منهم وقد حمل عليهم فى رباعياته مشنعاً بهم ، من ذلك قوله :

اى مفتىٔ شهر از تو بر كار تريم
با اين همه مستى زتو هشيار تريم
ماخون رزان خوريم وتوخون كسان
انصاف بده كدام خونخوار تريم

نحن يا مفتى المدينة أحسن منك عملا ، ومع كثرة سكرنا هـذا فانا أصحى منك ، نحن نشرب دم ابنة العنقود ، و أنت تشرب دم الناس ، فانصف فاينا شارب الدماء اى فتا كا

شيخى بزن فاحشـه كفتا مستى؟
هر لحظه بدام ديكرى با بستى
كفتا شيخا هرآنجه كوبي هستم
اما توجنانجه مينمائى هستى؟

قال شيخ لمومس انت سكرى ، وفى كل ساعة مربوطة بحبيب ، قالت يا شيخ كلما قلته فىَّ فهو صحيح لكن هل انت انت كما تظهر للناس.

***

و يظهر انه كان للتصوف شأن لا يستهان به ، وكان لارباب هـذه الطريقة — الدخيلة فى الاسـلام وهو منها براء — سيطرة هائلة على الشعب الامر الذى حدا بالامام ابى حامد الغزالى ، وهو من معاصرى

عمر الخيام ، ان يشدد عليهم وان يطعن في سلوكهم الذى دل فى كل العصور على تقى مزيف وورع كاذب ، واليك ما كتبه الامام عنهم :

« وفرقة منهم عدلوا عن المنهاج الواجب فى الوعظ وهم وعاظ الزمان كافة الا من عصمه الله عن الخطأ فى بعض اطراف البلاد ان كان ولسنا نعرفه ، فاشتغلوا بالسخافات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلباً للاغراب ، وطائفة شغلوا بعبارات النكت وتسجيع الالفاظ وتلفيقها واكثر همهم الاسجاع والاستشهاد باشعار الوصال والفراق ، وغرضهم ان تكثر فى مجالسهم الزعقات والتواجد ولو على اغراض فاسدة فهولاء شياطين الانس ضلوا واضلوا عن سواء السبيل »(١)

* * *

هذا ما أردنا ان نأتي به لنلم بحالة العصر الذى وجد فيه عمر الخيام وقد فهمنا مما تقدم ان امر الرعية كان مجهولا ، وان السلاطين والامراء كانوا يناصرون العلم والعلماء ، وان حالة رجال الدين كانت سيئة ، وان عمر الخيام والامام الغزالى قد وصفا هذه الطبقة وصفاً منطبقاً على الحقيقة والواقع .

---

(١) احياء العلوم

شعراء عصره

الابيوردى

هو محمد بن احمد الاموى الابيوردى احد تلامذة امام الحرمين ، وكان الابيوردى يطمح الى الخلافة ويرى نفسه قميناً بها وانه احق بها من سواه ، وقد جر له هذا الطموح شقاء كثيراً أجبره على مغادرة بغداد فشد الرحال الى همذان ، فدرس والف ، ثم مات مسموماً فيها سنة ٥٠٧هـ وكان الابيوردى قديراً على القريض . ومن شعره الذى شاع على الافواه قوله :

تنكر لى دهرى ولم يدر أننى أعز وأحداث الزمان تهون
وبات يرينى الخطب كيف اعتداؤه وبت أريه الصبر كيف يكون

صردر

الرئيس ابو منصور على بن حسن الكاتب الشاعر المعروف بصردر توفى سنة ٤٦٥هـ ، وكان شاعراً جيد السبك حسن المعنى ، وفى شعره طلاوة وجمال ، ومن شعره فى جارية سوداء (١)

علقتها سوداء مصقولة سواد قلبي صفة فيها
ما انكسف البدر على تمه ونوره الا ليحكيها
لاجلها الازمان اوقاتها مؤرخات بلياليها

---

(١) ابن خلكان ٣٥٩ ، ج ١ ،

الطغرائي

ابو اسماعيل الحسين بن علي المنشئ المعروف بالطغرائي نسبة الى مهنته في اوائل حياته ، والطغرى ، او الطرة ، هي نعوت السلطان الذى صدر الكتاب عنه ، وتكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ . وكان بارعاً في الانشاء حتى سمى فخر الكتاب ، ونعت بالاستاذ ، ولقب بالمنشئ ، استوزره السلطان مسعود السلجوقي في الموصل وله ديوان شعر في مدح السلطان سعيد بن ملكشاه ونظام الملك الوزير واشتهر الطغرائي بقصيدته المشهورة :

اصالة الرأى صانتني عن الخطل وحلية الفضل زانتني لدى العطل

وذكر ان له عدة مؤلفات في الكيمياء القديمة . وتوفى سنة ٥١٣ هـ .

الباخرزي

ابو الحسن علي بن الحسن من باخرز بين نيشابور وهراة اشتغل في شبابه في الفقه الشافعي ، ثم اشتغل بالكتابة ، ثم اختلف الى ديوان الرسائل وتقلب في المناصب ، وسافر واغترب ، ثم هوى الشعر وغلب ادبه على فقهه ، فنظم الشعر ، وهو ليس من طبقة الفحول المبرزين وأثر التكلف ظاهر على شعره ، وله كتاب في تراجم شعراء عصره سماه دمية القصر جعله ذيلا ليتيمة الدهر للثعالبي وقد اهمل فيه تاريخ المواليد والوفيات والاحوال وعنى بوصف الالفاظ (١) .

---

(١) وقد طبع هذا الكتاب حديثا في حلب بعناية الاستاذ الطباخ

مسعود سعد سلمان

اصله من همدان ، ومنشؤه فى جرجان ، ظهر فى زمان السلطان ابراهيم الغزنوى واتهم بجريمة المؤآمرة عليه فاوقفه وحبسه فى قصر منيع يسمى (حصارناى) وبقى سجيناً فى هذا القصر مدة (١٩) سنة ، وقد حاول خلال هذه المدة ان ينال الشفاعة والعفو من السلطان فلم ينجح ونظم الشاعر مدة بقائه فى السجن اشعاراً محزنة سماها « حبسيات » فمن شعره فى السجن (١) توفى سنة ٥٤٩ ﻫ

نالم زدل جو ناى من اندر حصارناى
پستى گرفت همت من زين بلند جاى

أئن من قلبي كالناى فى (حصارناى) ، قد انحطت همتى فى هذا المحل المرتفع !

آرد هواى ناى مرا ناله هاى زار
جز ناله هاى زار چه ارد هواى ناى

تسبب نغمات الناى لى انيناً شجياً غير الانين المشجى ماذا تولد نغمات الناى ؟

عثمان مختارى

هو عثمان بن محمد الغزنوى المعروف بالمختارى توفى سنة ٤٥٤ ﻫ

---

(١) سر امدان سخن (ص ٢٥١)

وله ديوان شعر وقد مدح ملوكا اربعة هم ارسلان بن مسعود ، وسلطان غازى ثمين الدولة بهرامشاه ، ومعز الدين ارسلانشاه ، وارسلان خان محمد بن سليمان بن داود (١)

مجدود السنائى

هو ابو المجد مجدود بن آدم السنائى الغزنوى العارف الشاعر المشهور توفى سنة ٥٤٥ ه (٢)

رشيدى سمرقندى

ابو محمد عبدالله او عبد السيد رشيدى السمرقندى الشاعر كانت له مناظرات ادبية وشعرية مع الشاعر مسعود سعد سليمان المتقدم ذكره (٣)

اللامعى الدهستانى

ابو الحسن محمد بن اسماعيل اللامعى الجرجاني الدهستاني من شعراء السلطان ملكشاه و وزيره نظام الملك (٤)

برهانى

هو امير الشعراء عبد الملك النيشابورى توفى سنة ٤٦٥ ه فى قزوين فى اوائل سلطنة ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقى (٥)

(١،٢،٣،٤،٥) حواشى چهار مقاله ص ١٥٠ — ١٥٥

زعماء الحركة الفكرية فى عصره

الغزالى

هو ابو حامد محمد الغزالى ولد سنة ٤٥٠ وتوفى فى سنة ٥٠٥ ه تلقى العلوم فى طوس لى العلامة احمد الراذكانى ثم اختلف الى دروس امام الحرمين ابي المعالى الجوينى فى نيسابور وكان الغزالى نابغة عصره وله آراء فى الدين ونظريات فى الفلسفة والاخلاق وقد نال فى حياته شهرة عظيمة وصيتاً كبيراً وكان فى ابتداء امره سوفسطائياً مرتاباً يميل الى مذهب الشك ثم التحق بخدمة الوزير نظام الملك وتعين فى سنة ٤٨٤ استاذاً فى المدرسة النظامية البغدادية فاحبه اهل بغداد وارتفعت عندهم منزلته وقد قضى فيها اربع سنوات مدرساً ثم حصل له تطور فجائي فى عقائده فعاد زاهداً ناسكا مؤمناً بالله وبقدسية انبيائه وخلود النفس بعد ان كان كثير الارتياب فترك بغداد مولياً ووجهه شطر بيت الله ثم زار الشام والقى فيها الوعظ والدروس ثم انتقل الى بيت المقدس واجتهد فى العبادة و زيارة المشاهد والمواضع المعظمة واخيراً مال بكليته الى التصوف وقراء كتب الجماعة ومقت الفلسفة والفلاسفة واشهر عليهم حرباً عواناً فى كتابه « تهافت الفلاسفة » (١) والف التأليف النفيسة الجليلة التى دلت على قوة محاكمته وبعد نظره وصفاء ذهنه واشهرهـا احياء العلوم والوسيط والبسيط والوجيز والخلاصة فى الفقـه والمستصفى فى اصول الفقه ومحك النظر

(١) وقد رد عليه ابن رشد بكتابه (تهافت التهافت) منتصراً للفلسفة

ومعيار العلم والمقاصد والمضنون به على غير اهله والمقصد الاسنى فى شرح اسماء الله الحسنى ومشكاة الانوار والمنقذ من الضلال وحقيقة القولين والمنخول والمنخل فى علم الجدل .

ثم عاد الغزالى الى نيسابور وعلم فى مدارسها وفى اواخر ايامه عاد الى وطنه واتخذ خانقاه للصوفيه ومدرسة للمشتغلين بالعلم فى جواره ووزع اوقاته على وظائف الخير من ختم القرآن ومجالسة اهل القلوب والقعود للتدريس الى ان انتقل الى ربه .

وكانت مكانته العلمية جليلة فى الاقطار الاسلامية وكان آية فى الذكاء حافظاً للعلوم حتي لقبه الناس « حجة الاسلام » والغزالى عاصر الخيام وصادفه فى بغداد وجرى بين الاثنين حوار على حول القراء وتعيين جزء من اجزاء الفلك القطبية دون غيرها مع كونه متشابه الاجزاء . . . .

الشهرستانى

ومن العلماء الذين عاصروا عمر الخيام الشهرستاني الشهير وكنيته ابو الفتح واسمه محمد بن ابى القاسم عبد الكريم بن ابى بكر احمد الشهرستانى وكان اماماً مبرزاً فقيهاً عالماً بالاديان ضليعاً من اراء اصحاب المقالات تفقه على احمد الخوافى وعلى ابي نصر القشيرى وبرع فى الفقه وقرأ الكلام على ابى القاسم الانصارى وتفرد فيه وصنف كتاب نهاية الاقدام فى علم الكلام واشتهر بتأليفه كتاب الملل والنحل والمنهاج والبيان وكتاب المضارعة وتفحيص الاقسام لمذاهب الانام وكان كثير المحفوظ حسن المحاورة دخل بغداد سنة ٥١٠ هـ واقام بها ثلاث سنين وسمع الحديث

من علي بن احمد المديني بنيسابور وغيره وكتب عنه الحافظ ابو سعد عبد الكريم السمعاني وذكره في كتاب الذيل و سأله ابن السمعان عن مولده فقال في سنة ٤٧٩هـ وتوفي بشهرستان سنة ٥٤٨هـ ومما ينسب اليه :

لقد طفت في تلك المعاهد كلها   وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر الا واضعاً كف حائر   على ذقن او قارعاً سن نادم

ولا اشك في ان الشهرستاني كان ممن عرف الخيام وكانت للخيام صلة به لاتفاق تلقيهما العلوم في مدينة واحدة وتقارب اعمارهما وقد طعن الناس في الشهرستاني وأتهموه بالزندقة والمروق لاشتغاله بآراء الفلاسفة .

الشيخ ابو اسحق

كان امام وقته في بغداد وقد تولى المدرسة النظامية فيها وكان في عنفوان شبابه قد تفقه على جماعة من الاعيان وصحب القاضي ابا الطيب الطبري وقد الف كتباً مفيدة منها المهذب في المذهب والتنبيه في الفقه واللمع وشرحها في اصول الفقه والتبصرة والمعونة والتلخيص في الجدل ومن شعره .

سألت الناس عن خل وفي   فقالوا ما الى هذا سبيل
تمسك ان ظفرت بذيل حر   فان الحر في الدنيا قليل

توفي سنة ٤٧٦هـ وجلس اصحابه للعزاء بالمدرسة النظامية ولما انقضى العزاء رتب مؤيد الملك بن نظام الملك ابا سعد المتولي مكانه ولما بلغ الخبر

نظام الملك كتب بانكار ذلك وقال كان من الواجب ان تغلق المدرسة سنة لاجله وزرى على من تولى موضعه وامر ان يدرس الشيخ ابو نصر عبد السيد بن الصباغ فى مكانه .

امام الحرمين

هو ابو المعالى عبدالملك الملقب ضياء الدين المعروف بامام الحرمين وكان اوحد اهل زمانه فى العلوم . تعلم فى مدرسة البيهقى ثم سافر الى بغداد وخرج الى الحجاز وجاور بمكة اربع سنين ثم درس وافتى فى المدينة فلهذا قيل له امام الحرمين وفى اوائل سلطنة ألب ارسلان السلجوقى عاد الى نيسابور وتولى التعليم والخطابة فى المدرسة النظامية التى بناها نظام الملك فى نيسابور وكان الشيخ ابو اسحق الشيرازى يقول له يامفيد اهل المشرق والمغرب انت اليوم امام الائمة وقد ترك مؤلفات هى ثروة عظيمة قد احصاها ابن خلكان (ج ١ ص٢٨٧) وكانت وفاته سنة ٤٧٩هـ ولما شاع خبر وفاته اغلقت الاسواق وكسر منبره فى الجامع وقعد الناس لعزائه واكثروا فيه المراثى وكانت تلامذته يومئذ قريباً من اربعمائة واحد فكسروا اقلامهم ومحابرهم واقاموا على ذلك عاماً كاملا وامام الحرمين هو احد اساتذة عمر الخيام .

حياته وسيرته

مولده

اختلف كل الذين بحثوا فى حياة الخيام وادبه فى تاريخ مولده ولم نعثر فى كتب التراجم ولا فى المؤلفات التى تعرضت له عن تاريخ ميلاده ويزعم انه ولد فى اواسط القرن الخامس للهجرة وقد استدل على ذلك بما ذكروه من الخلاف فى تاريخ وفاته ، فاذ رجح القول بانه توفى سنة ٥١٧ هـ على ما ذكره صاحب كتاب مجمع الفصحاء (١) وقلنا ان الخيام عاش اثنتين وسبعين سنة كما يقول هو فى احدى رباعياته (٢) فيكون ميلاده فى سنة ٤٤٥هـ وذلك بعد اخراج ٧٢ سنة من ٥١٧ سنة .

---

(١) رضا قولى خان هدايت

(٢) وهذه هى الرباعية :

هرگز دل من زعلم محروم نشد
کم ماند زاسرار که مفهوم نشد
هفتاد ودو سال عمر کردم شب وروز
معلومم شد که هیچ معلوم نشد

ما حرم قلبي قط من العلم ، لم تبق من الاسرار التي فهمتها الا قليلا عشت ثنتين وسبعين سنة ليلها ونهارها فعلمت اخيراً بانني لم اعلم شيئاً ابداً .

وكما اختلف فى تاريخ ميلاده فقد اختلف ايضاً فى تاريخ وفاته فاذا رجعنا الى « جهار مقالة » وهى اقدم واصح وثيقة لان مدونها تلميذ الخيام وهو احمد بن عمر بن على النظامى العروضى السمرقندى نراه يقول انه قد زار قبره فى سنة ٥٣٠ ﻫ وقد قيل له ان استاذه قد توفى منذ اربع سنوات فعلى هذا يجب ان يكون قد توفى سنة ٥٢٦ هجرية

اسمه ولقبه وكنيته

هو ابو الفتح غياث الدين عمر بن ابراهيم الخيام وقد سماه شمس الدين سامي بعمر الخيام بن محمد وسماه واضع حواشى المقالات الاربع بعمر ابن ابراهيم كما سماه صاحب تاريخ لزبده سنة ٧٣ وصاحب كشف الظنون فيكون ما ذكره شمس الدين سامى خطأ فى ذكر اسم ابيه .

قال واضع حواشى المقالات الاربع وتسميه العرب بالخيامي والفرس بالخيام وهو اختلاف ناشئ من تباين اللغتين ، وكنوه ابا الفتح عملا بالسنة والا فان الخيام حصور لم يتزوج على ما ذكره شمس الدين سامي وعلى ما اعتقد وكلمة الخيام تدل على انها لقب له ولعائلته على انه قد فسر هذا اللقب فى رباعيات له قال : —

خيــام تنت بخيمهٔ ما ند راست
جان سلطانيكه منزلش دار بقاست

فراش ازل زبهر دیگر منزل
نه‌خیمه بیفکند چو سلطان برخواست

یاخیام ان جسدك يماثل الخيمة حقاً والروح التي منزلها دار البقاء تشبه السلطان فاذا ارتحل السلطان الا تقوض الخيمة ·

خیام که خیمه های حکمت مید وخت
در کوره‌ٔ غم فتاد ونا کاه بسوخت
مقراض اجل طناب عمرش ببرید
دلال امل برا یکانش بفروخت

وقع خيام الذي كان يخيط خيم الحكمة في كور الغم واحترق وقد قطع مقراض الاجل طناب عمره وباعه دلال الامل رخيصاً ·

نسبه وعائلته

العناية بالانساب والاحساب من خصائل العرب اما الفرس فانها لم تعن الا بحفظ انساب ملوكها فلذا لم نعثر على نسب الخيام ولم نعلم من اى الطبقات كانت عائلته غير ان سيرته تدلنا على انه كان من عائلة فقـــيرة ليس لها ثروة كافية في ذلك الزمن العسير الذى كثرت فيه الحروب وقد

اعترف الخيام مرة بحاجة الى المال فى حديثه مع نظام الملك ويا ليتنا قد عثرنا على نسبه وعرفناه ابويه معرفة تامة لان ذلك يسهل لنا الوصول الى معرفة السر فى تكييف خلقه وسجيته اذ لاينكر مالقانون الوراثةمن الاثر والفعل.

ولده

المشهور الشائع انه ولد فى نيسابور وفيها. تلقى علومه غير ان صاحب تأريخ الالفى لمؤلفه «احمد بن نصر الله تتوى (١) يزعم بان البعض يقول انه ولد فى قرية «شمشاد» التابعة لمدينة بلخ. و بعضهم يقول انه ولد فى قرية (بسنك) من توابع استراباد غير ان الشهرزوري والقزويني وخواندمير يؤيدون بانه ولد فى نيسابور وهذا هو الصحيح.

ونيسابور مدينة فارسية فتحها المسلمون فى ايام عثمان رضى الله عنه والامير عبدالله بن كريز فى سنة ٣١ صلحاً وبنى بها جامعاً و فى رواية اخرى انها فتحت فى ايام عمر الفاروق على يد الاحنف بن قيس وانما انتقضت فى ايام عثمان فارسل ابن عبدالله بن عامر ففتحها ثانية وقد وصفها صاحب معجم البلدان ٢) بانها مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة

(١) عمر الخيام لحسين دانش ص (٢٣)

(٨) ياقوت الحموى

معدن الفضلاء ومعدن العلماء وقال لم ار فيما تطوفت من البلاد مـــدينة كانت مثلها وا كثر شرب اهل نيسابور من قنى تجرى تحت الارض ينزل اليها فى سراديب مهيأة لذلك فيوجد الماء تحت الارض ، وليس بصادق الحلاوة ، وعهدى بها كثيرة الفوا كه والخيرات وبها ريباس ليس فى الدنيا مثله تكون الواحدة منه مناً واكثر وقد وزنوا واحدة فكانت خمسة ارطال بالعراق وهى بيضاء صادقة البياضة كانها الطلع

وكانت نيسابور حافلة باهل العلم والادب وقد خرج منها عـدد غـير يسير من ائمة العلم منهم الحافظ الامام ابو على الحسين بن على النيسابورى والامام موفق النيسابورى استاذ عمر الخيام

والغريب ان الشعراء قد اكثروا من ذم نيسابور كابي الحسن الاسترابادى الذى يقول .

لاقدس الله نيسابور من بلد ... سوق النفاق بمغناها على ساق
يموت فيها الفتى جوعا وبرهم ... والفضل ماشئت من خير وارزاق
والخير فى معدن الغرثى وان برقت ... انواره فى المعانى غــير براق

وكقول المرادى ،

لاتنزلن بنيسابور مغــترباً ... الا وحبلك موصول بسلطان
اولا فلا ادب يجدى ولا حسب ... يغنى ولا حرمة ترعى لانسان

وممن شكى ليله فيها معن بن زائدة الشيباني .

تمطى بنيسابور ليلى وربما يرى بجنوب الري وهو قصير
ليالي اذ كل الاحبة حاضر وما كحضور من تحب سرور
فاصبحت اما من احب فنازح واما الالى اقليهم فحضور

وفي نيسابور تلقى عمر الخيام ورفيقه نظام الملك وحسن الصباح العلوم على الاستاذ الامام موفق النيسابوري الشهير وفيها عاش ومات .

ليس من المستطاع انكار ماللاسفار والسياحات من الاثر فى النفس وتطويرها وتكوين خلق الانسان وتكييفه . الحق ان التنقل من قطر الى قطر ومعاشرة النـــاس على اختلاف مللهم ونحلهم واهوائهم يزيد فى الانسان حنكة وتجربة ويقوى فيه العزم ويعوده تجشم المصاعب . وعند الفرس ان العاقل المجرب هو الذى ساح فى الدنيا.فقد قالوا « خرد مند جهانديده است » (١) اى العاقل المحنك من رأى الدنيا يعنون سافر وساح. وقد قام عمر الخيام برحلتين : الاولى فى فارس، والثانية الى بلاد العرب وهى التى ادى فيهـــا فريضة الحج ، ومكث عند ايابه فى بغداد مـدة من الزمن .

اما الرحلة الاولى فيظهر انها لم تتعد السفر الى بلخ وبخارى ، وفى بلخ زاره تلميذه النظامى العروضى السمرقندى فى سنة ٥٠٦ ﻫ فى صرح امير بو سعد جره ،

وذكر الشهرزورى ، ان الخاقان شمس الملوك ببخارى كان يعظمه ويجلس الامام معه على سريره.

أما رحلته الى بلاد العرب وسببها فقد ذكرها القفطى فقال :

« ولما قدح اهل زمانه فى دينه واظهروا ما اسره من مكنونه خشى على دمه

(١) ولهم مثل اخر ينا قضه «جهانديده بسيار كويد دروغ » اى ان الذى رأى الدنيـــا اى ساح ـــ يكثر من القول الكذب

وامسك من لسان عنانه وقلمه وحج متاقاة لاتقية » فالظاهر من هذه العبارة ان الخيام لم يكن راغباً فى الحج وانما شد الرحال الى البيت مكرهاً وذلك تسكيناً للخواطر والنفوس التى حنقت وثارت عليه.

ثم قال « ولما حصل ببغداد سعى اليه اهل طريقته فى العلم القديم فسد دونهم الباب سد النادم لاسد النديم ...» (الكتاب ص ١٤)

«ولم يذكر لنا القفطى المدة التى اقامها ببغداد، ولا شك انه قد استفاد من بقائه فى بغداد فائدة عظيمة اذ كانت مقر الاسرة المالكة من بنى العباس وكعبة للعلم يقصدها الشعراء والحكماء والرواة وكانت آهلة بالمدارس حافلة بالمعاهد الدينية والعلمية والادبية كثيرة خزائن الكتب، وناهيك بما كان من الشأن لمجالس المناظرة والجدل فى الحكمة والفقه والكلام والعلوم الشائعة. وبالجملة فقد كانت الحياة العلمية والادبية غضة زاهية نضرة.

واجزم بان عمر الخيام قد ارتشف من هذا المنهل العذب مالم يكن قادراً على ارتشافه فى بلاده. وقد اشار الى بغداد فى رباعياته غير مرة فمن قوله :

جون ميكذرد عمر جه شيرين وجه تلخ
بيمانه جو برشود جه بغداد جه بلخ
مى نوش كه بعد ازمن وتو ماه بسى
از سلخ به غره آيد از غره بسلخ

مادام العمر ينقضي فسيان عندي حلوه ومره، واذا امتلأت الكأس اى (مت) فسيان عندي أمت فى بغداد ام فى بلخ . احس ياصاح كؤوس الحميا ! فان القمر سيتنقل من بعدي وبعدك من السلخ الى الغرة ومن الغرة الى السلخ كثيراً .

شهرة

ان سيرة الخيام فى حياته ومانقله المؤرخون عنه يدل على انه كان متمتعاً بشهرة واسعة فى عصره وقد نال هذا الصيت العظيم بفضل ماكان عليه من علم وادب وحكمة ، وقد لقب فى حياته بألقاب فخمة جليلة ، فكان تلميذه العروضي السمرقندي يسميه « حجة الحق » والبيهقي يسميه « الامام » وبالغ الامام القاضي ابو نصر محمد بن عبدالرحيم النسوي فى الثناء عليه فسماه « سيد الحكماء » ولما سأله عن حكمة الله تعالى فى خلق العالم وتكليف الناس بالعبادات صدر الرسالة بابيات فى مدح الخيام، وهى :

ان كنت ترعين يار يح الصبا ذممى	فاقرى السلام على العلامة الخيمى
بوسى لديه تراب الارض خاضعة	خضوع من يجتدى جدوى من الحكم
فهو الحكيم الذى تسقى سحائبه	ماء الحيــــاة رفاة الاعظم الرمم
عن حكمة الكون والتكليف يأت بها	تغنى براهينه عن ان يقــال لم (١)

---

(١) راجع جامع البدائع ص (١٦٦) وهى مجموعــة رسائل طبعت بمطبعة السعادة فى مصر بعناية محى الدين صبرى الكردى

«النسوى هذا تلميذ «ابن سينا» وكان من فضلاء عصره وان اهتمامه بالخيام واطنابه بالمديح عليه الى هذا الحد دليل على مكانه الخيام وشهرته فى عصره .

ويظهر ان الخيام لقب فى عصره «بالفيلسوف» نفهم ذلك من رباعية له وقد تنصل فيها من هذه الكلمة ولا ادرى أتواضعاً كان ذلك منه أم خشية

دشمن بغلط كفت كه من فلسفيم
ايزد داندكه آنجه اوكفت نيم
ليكن جو در اين غم آشيان آمده أم
آخر كم از آنكه من بدانم كه كيم؟

لخطأ العدو بقوله اني فلسفى وقد علم الله انى لست كما قال ولكن اذ وجدت نفسى فى دار الغم «الدنيا» فلا اقل ان اعرف من انا !

مزاجه

ان الذى ظهر لنا مما حكاه المؤرخون الذين عنوا بترجمة الخيام انه كان حاد الطبع عصبى المزاج وان رباعيته المشحونة بشكوكه واوهامه وآلامه وتخيلاته وصيحاته وتفكيره المتواصل واشتغاله فى حل المشاكل العلمية والفلسفية وشذوذ اتجاهاته واعتزاله الناس وحبه الانفراد تدلنا على ان عمر الخيام لم يكن متمتعاً بمزاج معتدل قط وانما كانت تغلب عليه صفة الغلظة والشراسة والغلظة والشراسة وحدة المزاج صفات تلازم الحكماء والمفكرين والفلاسفة المتشائمين ، وكان الخيام شديد التشاؤم — كما

سنبرهن على ذلك . ولهذا السبب ولما اشكل ايضاً على الناس ان يطلعوا على سريرته وصموه بسوء الخلق وضيق العطن جهلا وتوهما .

مواهبه

كان عمر الخيام ذكي الفؤاد فطناً سريع الحفظ قوى الذاكرة ، وتدل رباعياته ومؤلفاته واطلاعه الواسع فى مختلف العلوم والفنون على عقل راجح وقريحة نادرة وعبقرية فذة حتى رووا الاعاجيب عنه ولا سيما فيما يتعلق بقوة ذاكرته . فقد روى لنا الشهرزورى انه تأمل كتاباً باصبهان سبع مرات وحفظه وعاد الى نيسابور فاملاه فقوبل بنسخته الاصلية فلم يوجد بينهما تفاوت » (١)

والامر الذى لا شك فيه ان الرجل كان قوى الذاكرة جيد الفهم ذا مواهب رفيعة .

اتهامه بالزندقة

كان الخيام يعلم الفلسفة فى نيسابور وبالفلسفة اشتهر وذاع صيته وبها فاق اقرانه وبها بز لداته واترابه من معاصريه . وقد اجمع الرواة على انه

---

(١) ومثل هذا روى عن ابى العلاء المعرى فقد زعموا انه حفظ مناجاة فارسية سمع لفظها ولم يفهم معناها ، وانه حفظ حسابا طويلا كان بين تاجرين فلما فقد احدهما وثيقته املاها عليه ابو العلاء بعد زمن طويل . وزعموا ان رجلا من اهل اليمن وقع له كتاب فى اللغة قد ضاع اوله فعرضه على طائفة كثيرة من اهل العلم فكلهم لم ينفعه ولم يدله على اسم الكتاب فلما عرضه على =

كان فذاً منقطع النظير فى اجزاء الحكمة فى الرياضيات والمعقولات ولما شاعت آراؤه فى الفلسفة وذاعت نظرياته فى الحكمة اصطدم الناس بهذه الحقائق الناصعة ورأوا شيئاً لم يألفوه من قبل وصموه بالزندقة وطعنوه فى عقيدته وظنوا فيه الظنون واخذوا يتقولون عليه وينقدونه.

وقد قال فيه الشيخ نجم الدين ابو بكر الرازى سنة ٦٢٠ ه فى كتابه مرصاد العباد ان عمر الخيام قد تاه فى بيداء الضلال بقوله الرباعية المذكورة فى (ص ١١ من هذا الكتاب) وزعم المؤرخ العربى الوزير القفطى ان قد قدح اهل زمانه فى دينه واظهروا ما اسره فى مكنونه فخشى على دمه وامسك من عنان لسانه وقلمه رحج متاقاة لا تقية وابدى اسراراً من السرار غير نقية ..(راجع ص ١٤ من الكتاب) وقد ادرك الخيام تقولات العميان من الناس فيه فرد عليهم برباعية دلت على متانة طبعه واستقلال فكره :

گر من زمى مغانه مستم، مستم؛
گر كافر وگبر وبت‌پرستم هستم
هر طايفه بمن گمانى دارند :
من زان خودم، چنانكه هستم، هستم

انا ان كنت ثملا بخمرة المجوس فانا ذاك وان كنت كافراً او مجوسياً او وثنياً فاناذاك فلكل زمرة من الناس ظن فى ، اما انا فملك نفسى اكون كما أريد !

=ابى العلاء أنبأه باسمه واسم صاحبه واملى عليه ماضاع منه(راجع ص ٢٢٢ من كتاب ذكرى ابى العلاء للدكتور طه حسين)

ادبه وعلمه

للاستاذ اثر فى نفس التلميذ من وجهة التثميف والتفكير، والتلميذ على الغالب يقلد استاذه و يأخذ طريقة اتجاهه وميله فينشأ على شاكلته مقتفياً اثره حتى اذا قوى ادراكه ونضج عقله ونال شيئاً من الاستقلال فى الرأى ظهر اختياره وبانت رغائبه وانقاد الى الميل الطبيعى الذى يتحسس به و يشعر . لذلك لا أجد بدأ - وانا ابحث فى ادب الخيام وعلمه - من تعريف شخصية اساتيذه الذين تتلمذ لهم فى عنفوان شبابه ليظهر الاثر الذى تركوه فى نفسه وأثر المصدر الذى أخذ عنه .

أخذ الخيام العلوم عن الامام موفق النيسابورى كما ذكر ذلك نظام الملك فى وصاياه ، وقال شمس الدين سامى مؤلف قاموس الاعلام:

« اخذ الخيام علومه عن استاذ الحكيم السنائى (كذا) شيخ الاسلام ناصر الدين محمد بن منصور ، وهناك رأى فى انه تتلمذ لابي على الحسين ابن عبد الله « ابن سينا » البخارى لان الخيام قال (١) فى بحثه عن تفاوت الموجودات فى رسالته الكون والتكليف التى الفهـا سنة ٤٧٣ هـ واجاب فيها عن سؤال القاضى الامام ابي نصر محمد بن عبد الرحيم النسوى تلميذ ابن سينا عن حكمة الخالق فى خلق العالم ولا سيما الانسان وتكليفه العبادات :

« فاعلم ان هذه مسألة قد تحير فيها اكثر الناس حتى لا يكاد يوجد

---

(١) جامع البدائع ص ١٧٠ — ١٧١

عاقل الا ويعتريه فى هذا الباب تحير ولعلى ومعلمى افضل المتاخرين الشيخ الرئيس ابا على الحسين بن على بن عبـــد الله سينا البخارى اعلى الله درجته قد امعنا النظر فيها وانتهى بنا البحث الى ما قنعت به نفوسنا ...

ان الذى يجعلنى اردد فى صحة هذه الروايةهو عدم وجود ادلةقطعية تثبت صحة هذه الرسالة ثم ان ما احتوت عليه الرسالة من الحجج والاراء فى منشأ الكون وتبرير التكليف يناقض ما جاء فى رباعياته كل المناقضة لقد ذكر الشهرزورى فى بحثه عن الخيام وتعداده مؤلفاته بان له رسالة فى الكون والتكليف بيد انه ليس فى ايدينا دليل يثبت ان الرسالة التي ذكرها الشهرزورى هى الرسالة التي نشرها الفاضل محى الدين الكردى فى مصر .

ثم اني بحثت وجاهدت كثيراً للعثور على ترجمة الاستاذين الاخرين شيخ الاسلام منصور والموفق النيسابورى فلم اظفر بطائل .

فمن هنا خسرنا اعظم مصدر نستطيع ان ندرس به عقلية الخيام ونقيس به مبلغ عليه .

رباعياته

جمع عمر الخيام فضائل جمة ومزايا كثيرة . فقد كان اماماً فى العلوم الرياضية والفلكية تشهد له بذلك تاليفه القيمة فى علم الجبر و بنائه الارصاد وترتيبه الزيج ، وكان طبيباً حاذقاً ومحققاً بارعا ومتفكراً كبيراً ، والى كل ذلك كانت منزلة سامية فى الشعر وقد سلك فيه مسلكا لم يسلكه غيره .

واذا بحثنا فى ادب الخيام فلا يعنينا ان نبحث فى مؤلفاته وعلومه وانما نقتصر على رباعياته الذائعة الصيت التى فتنت الالباب فكان له بها انصار يجعلونه من اكابر الشعراء ويسرفون فى تبجيله .

نظم الخيام رباعياته فى ازمنة وامكنة مختلفة وكانت نفسيته تتمثل فى كل رباعية من رباعياته تمثلا خاصاً بها بما كان يحيط به من المؤثرات فيقول فى كل حادثة كلمة ولذلك نجد كل رباعية مستقلة بنفسها لا علاقة لها بما قبلها وما بعدها وقد نرى تناقضاً ظاهراً بين رباعيتين وذلك عند جولته فى مضمار الشك واليقين فتارة نراه مؤمناً مطمئناً وتارة مرتاباً مضطرباً وهو أشبه روحاً بابي العلاء فى لزومياته وهـذا يدل على كونه شاعراً حقيقياً تختلج فى قلبه افكار شتى ، ثم اننا نرى بعضها سخيفاً سمجاً لا يستحق العناية وقد وجدنا الرباعيات مشتملة على كثير من الجدل والوصف والسخرية والنقد والمزاح والمجون وعلى مسائل فلكية وخلقية وادبية وفلسفية .

وعروض الرباعيات فى الغالب على وزن « لا حول ولا قوة الا بالله » وهو مركب من اربعة مصاريع الاول والثاني والرابع مقفى والثالث مطلق وقد تكون الاربعة مقفيات وكل رباعية مستقلة بنفسها ذات معنى واحد .

والذين نظموا الرباعيات من ادباء الفرس كثيرون ولكن الخيام على ما نعتقد برز على الجميع كما سأبين ذلك وبحسبنا ان نقول انها تكاد تكون المصدر الوحيد لارائه الفلسفية ومذهبه واخلاقه ومجموعها يعبر

عن نفسيته احسن تعبير ويتضمن كل ما كان يختلج فى صدره من شكوك رهواجس ووساوس والالام ونزعات ونزغات .

عدد الرباعيات

اختلف الباحثين وتضاربت اراؤهم فى عدد الرباعيات كما اختلفوا فى عقيدته ورأيه فى الحياة . فيقول بعضهم : ليس كل مافى الرباعيات هوله قد بلغ مافى النسخ المطبوعة فى الهند وفارس نحو ٧٥٠ رباعيـــة وعددها الصحيح يتراوح ما بين ١٢٠ — ١٥٠ واما الباقى فهو لشعراء اخرين نسبها اليه المتأخرون او دسوها فى ديوانه . وقـد وقعت بيدى بضع نسخ منها مطبوع بعضها فى الغرب و بعضها فى الشرق وكل ما فيها لا يتجاوز ٣٠٠ رباعية ونسخ اخرى فيها ١٢٠ أو ١٥٠ او ٥٠ او اقل . فاختلاف النسخ يدل على صحة ما ادعوه .

وانا لا انكر ان الدس على العلماء والمؤلفين كان فاشياً فى عصر الخيام وما قبله وما بعده وكان للانتحال شأنه فى كل عصر من العصور المتقدمة ولا ننكر ان للخيام أعداء كانوا يحسدونه ويضمرون بغضهم له فى حياته وبعـد وفاته ، ولـكن قول ابن القفطى « ولما قدح اهل زمانه فى دينه واظهروا ما اسره من مكنونه خشى على دمه وامسك من عنان لسانه وقلمه حج متاقاة لا تقية وابدى اسراراً من السرائر غير نقية .. الخ »

دليل على انه لم يبق لاعدائه حاجة الى الدس عليه فانه جاهر بما يريد ان يقوله فلم يلاق من الجمهور صدراً رحيباً لقبول اقواله او صرفها عن ظاهرها .

* * *

نظم الخيام فى حياته رباعيات كثيرة ، ونعتقد انه من الصعب جداً تعيين ما له وما ليس له منها لانه لم يختص وحده بنظم الرباعيات ولا هو اول مبتكر لهذا الاسلوب، فقد نظم الشعراء الذين عاشوا من قبله ومن بعده رباعيات جليلة القدر عظيمة المعنى وقد وجدت بعض الرباعيات المعزوة له فى دواوين شعراء الفرس كابي سعيد ابي الخير وافضل الكاشاني والانورى وابن سينا وحافظ الشيرازى وجلال الدين والخاقاني وسعدى الشيرازى وغيرهم من الشعراء والمتصوفة .

* * *

تقول « المسس كادل » التى سلخت عدة سنوات فى تحقيق رباعيات الخيام واظهرت ماله وما ليس له : ان له ١٢٠٠ رباعية وان اقدم نسخة للرباعيات وهى المحفوظة فى مكتبة (بودلين) فى اكسفورد معلمة برقم ٥٢٥ وهى نسخة صحيحة كتبت سنة ٨٦٥هـ اى بعد وفاته بثلاثة قرون ونصف قرن فهى اقدم نسخة بين ايدينا وهى تشتمل على ١٥٨ رباعية .

ولو قبلنا كل الرباعيات التى تنسب الى الخيام بغير تمحيص لتراوح عددها بين ٦٠٠ — ١٠٠٠ رباعية والتفريق بين هذه الرباعيات المتشابهة امر متعسر بل متعذر حتى على ادباء الفرس انفسهم .

وفى هذه الحالة ليس لدينا من وسيلة نفهم بها ما للخيام غير مذهب الخيام الفلسفى الخاص به . وغاية ما نقوله فى هذا الصدد ان هذه الرباعيات كلها للخيام رديئها وجيدها فان الشاعر قد يحسن وقد يسئ والجواد يعدو ويكبو ولا غضاضة فى ذلك فكثير من شعر المتنبي

وابي تمام والبحتري، المعري وغيرهم ماهو غير جدير بالتدوين والانشاد وعلى كل فان مذهبي في معرفة رباعياته هو مقارنتها بمذهبه الفلسفي الخاص.

وقد اعتمدت في ترجمة الرباعيات نسختين الاولى نسخة العالم المحقق الالماني « فردريخ روزن » والثانية نسخة الاديب الفارسي الشهير حسين دانش .

والان نعود فنقول كلمتنا في أدبه : —

كانت اللغة العربية في عصر الخيام لغة العلم والدين بل كانت اللغة الرسمية وكان الفرس يدرسون العلوم والاداب والفنون باللغتين العربية والفارسية معاً ويؤلفون باللغتين كما انهم كانوا يقرضون الشعر باللغتين ايضاً وقد وجدنا للخيام ولغيره من شعراء الفرس كسعدي وحافظ الشيرازيين وغيرهم شعراً بالعربية مما يدل على شيوع العربية في فارس وقد عثرنا على شعر عربي لعمر الخيام يدل على تضلعه من العربية وعلو كعبه فيها. ولنبحث الان في ادبه وشعره بلغة قومه ثم نعود فنبحث في ادبه العربي .

يرى الناظر في رباعيات عمر الخيام الفارسية تناقضات كثيرة ومواضيع متباينة وآراء مختلفة فكؤوس واباريق ، ودنان وطاسات وخمرة وردية ، وآنية عسجدية ، وحانات وسقاة ، ومعشوق مليح ، وعود صبح وجنة غناء ، واغصان خضر ، وبلابل تغرد ، وحمائم تسجع ، ولذة وسرور ، ومداعبة العين الحور ، وابتسامات حلوة ونشيد بديع ، وتفاؤل عظيم ، ثم زفير وشهيق ، ودموع ونشيج وصيحات تنم عن الم ، وصرخات تشف عن

حزن ، وشك والحاد ، ويقين واعتقاد ، وكفر صميم ، وايمان قويم، ويأس مظلم ، وحزن عميق ، وسباب على الكوزاز الذي يجبل الطين باعتساف، وشكوى من الفلك الجائر ، ونفس مضطرمة تجيش بالهم ؛ ثم تهكم بالعادات ، وسخرية بالاديان ، وانكار للبعث وجحود للحشر ، وهزؤ برجال الدين ، وطعن شديد ونقد مر للاخلاق والانظمة ؛ و ثم فكر حر ، واستقلال بالرأى ، وجرأة قوية وصراحة عجيبة ، واقدام وتردد ، ونقض وابرام ، وبلاغة عالية وشاعرية فذة ، وذكاء لامع ، وكلام رفيع ، وقول سمج سخيف !

وخلال هذه المتناقضات يظهر ادب الخيام عريان كالطبيعة السافرة التى كشفت عن قناعها وهى تبدى تارة رقة كرقة النسائم فى الربيع وتارة غضباً كغضب الرياح الهوج التي يصحبها الرعد والبرق وطوراً تجهما كتجهم الخريف الحزين ، وجمالا كجمال السماء فى الليلة الصاحية !

فلا نجد فى هذا الادب الغض الريان غير هواجس نفس الخيام المنطلقة الثائرة تارة والمطمئنة الهادئة تارة اخرى وهو يمثل روحه اصدق تمثيل ، فهو الشاعر الذى ما عرف غير الطبيعة وما فيها من شؤون، ونفسه وما فيها من الام وافراح وشجون، فهو لم يتغزل الا بالطبيعة وما انتجته الطبيعة من حسن رائع ، وهو لم يصف الا ما كانت تشعر به نفسه الهائجة الثائرة ، وهو لم يسخر الا بما كان يعارض حريته ، وهذا هو السر الذى جعله من الخالدين على كر السنين !

* * *

استعمل الخيام كلاماً فى نظم رباعياته من النسق العالى فاختار الفاظاً تناسب المعنى والقصد ، وساق رأيه المدعم بالحجة القوية بأربعة مصاريع بقوة ومتانة وانسجام ، وعندما يريد زفاف رباعية تــــلك العروس الحسناء يزودها بشيء من الخيال والنقد والسخرية فترى الرباعية تهبط القلب قبل الاذن فتحدث هزات عنيفة فى شئوز السامع وصدمات قوية فى جوانح القارىء ثم نترك اثراً عميقا تعقبه ضحكة طويلة احيانا واحيانا اسفاً بليغاً وهو يرسل الالم والفرح والشؤم والنصيحة والحكمة منتقلا بالقارىء من رأى الى رأى صارخاً ضاحــكا مداعباً ممازحاً وبهذا يظهر مهارته اللغوية والفكرية بأجلى مظاهرها مكرراً نغمة واحدة ومنشــداً هزجاً واحداً هو « العمر بالناس قصير فاغتنموا الفرصة بين العدمين » ولولا ضيق المجال لاسهبت الان فى تحليــــل رباعياته ، ولـكننى اورد امثلة من رباعياته تأييداً لما أدعيه .

مي خوردن وشادبودن آيين منست
فارغ بودن زكفر ودين دين منست
كفتم بعروس دهركابين توجيست
كفتــادل خرم توكابين منست

عادني ان احسو المدامة واطرب، وديني أن اهجر الكفر والدين. سألت عروس الدهر ــ الحياة ــ ماهو صداقك ؟ قالت قلبك الطروب صداقى !

كويند بمن بهشت باحور خوشست
من ميكويم كه آب انكور خوشست

این نقد بگیر ودست ازان نسیه بدار
کاواز دهل شنیدن ازدور خوشست

يقولون لى الجنة طيبة بالحور، وأنا اقول عصير الكرم هو الطيب، خذ هذا النقد ودع ذلك الدين فسماع صوت الطبل من بعيد حسن!

این قافلهٔ عمر عجب میگزرد
درياب دمى كه با طرب ميگزرد
ساقى غم فرداى قيامت جه‌خورى؟
بيش آر بيالهٔ كه شب ميگزرد

تسير قافلة العمر سيراً عجيباً فاغتنم وقتاً تطرب فيه ايها الساقى! مالك مهموماً من القيامة فى غد؟ هات الزجاجة فان الليل على وشك الفناء

گو يندكه ماه روزه نزديك رسيد
من بعد بگرد باده نتوان گرديد
در آخر شعبان بخورم جندان مى
كاندر رمضان مست بيفتم تا عيد

يقولون قد اتى شهر رمضان وليس لاحد بعد ان يحوم حول المدام! اما انا فساشرب منها فى آخر شعبان ما أبقى به سكران طوال شهر رمضان حتى يوم العيد!

هذا نموذج من ادبه الفارسى ومن العسير جداً على غير العارفين بالفارسية ان يشعروا باللذة التى يشعر العارف بها الحائط علماً بدقائقها

ونكاتها وروعتها، وما حيلتنا والترجمة عادة تذهب الكثير من جمال الاصل!

الخيام وشعراء الفرس

كلمت كثيراً من ادباء الفرس فى كربلا وبغداد وطهران عن منزلة الخيام الشعرية فوجدت بعضهم يعده من شعراء الطبقة الاولى، وبعضهم يعده من الطبقة الثانية، وفريق يضن عليه بلقب شاعر، والمنصفون منهم يقولون انه من الطبقة الثانيـــة ويقولون ان فى شعراء فارس كثيرين يقدمون عليه بشعره الجيد القليل لا يجعله من المحرزين لقصب السبق فحافظ الشيرازى وسعدى الشيرازى والخاقاني والفردوسى وجـــلال الدين الرومى افضل منه شعراً واكثر اجادة وابرع فى تصوير المعاني الجليلة وتمثل المقاصد العالية، وهم اكثر غاية بالشعر وقد اختصوا به وانقطعوا اليـــه مدة حياتهم وفيهم المعمرون الذين جاوزوا المئـــة — كسعدى الشيرازى — فالخيام يعد بينهم شاعراً وسطاً وانما كانت له هذه النباهة الذائعة بما قاله من العدد اليسير من الرباعيات وهذه لا تضعه فى مراتب كبار الشعراء والرعيل الاول من البلغا.!

اما انا فاعده فى الرعيل الاول من الشعراء واعتقد انـه لا يقـــل عبقرية عن حافظ وسعدى والرومى وخاقانى والناس مختلفون فى اذواقهم وقد وجدت اناساً يقدمون بن ابي ربيعة على المتنبى واناساً يفضلون الشريف الرضى على المعرى والمتنبى ولكل ذوقه ورأيه

شعره العربي

شعره العربي نزر جداً ولم نعثر له الا على ثلاث قطع ذكر واحدة منها القفطي فى كتابه اخبار العلماء باخبار الحكماء «ص ٢٤٣ — ٢٤٤» وذكر القطعتين الثانيتين الشهرزوري فى كتابه نزهة الارواح وروضة الافراح «ص٣٢ رباعيات الخيام لحسين دانش» وفى بعض ابيات شعره زحاف وفى بعضها ركة وبعضه غير واضح ومع ذلك فانه كثير من فارسي رياضي فلكي فيلسوف افنى حياته فى ممارسة الفنون والعلوم والفلسفات .

وفى شعره مسحة من روح أبي العلاء وفيها نفحة من نفحاته العلوية وفيما يأتي شعره العربي :

اذا رضيت نفسى بميسور بلغة	يحصلها بالكد كفي وساعدى
امنت تصاريف الحوادث كلها	فكن يازماني موعدي او مواعدى
ولى فوق هام النيرين منـــازل	وفوق مناط الفرقدين مصاعدى
اليس قضى الافلاك من دورها بان	تعيد الى نحس جميع المســاعد
فيانفس صبراً عن مقيلك انما	تخر ذراها بانقضاض القواعــد
متى ما دنت دنياك كانت بعيـــدة	فواعجبي من ذا القريب المباعد
اذا كان محصول الحــياة منية	فسيان حالا كل ساع وقاعد (١)

* * *

(١) والبيت الاخير ينطبق على روح الخيام كل الانطباق وقـــد اورد هذا المعني كثيراً فى رباعياته

تدين لى الدنيا بل السبعة العلى بل الافق الاعلى اذا جاش خاطرى(١)
اصوم عن الفحشاء جهراً وخفيه عفافاً واَفطارى بتقديس فاطرى
وكم عصبة ضلت عن الحق فاهتدت بطرق الهدى من فيضى المتقاطر
فان صراطى المستقيم بصائر (٢) نصبن على وادى العمى كالقناطر

* * *

زجيت دهراً طويلا فى التماس اخ يرعى ودادى اذا ذو خلة خانا
فكم الفت وكم آخيت غير اخ وكم تبدلت بالاخوان اخوانا
وقلت للنفس لما عز مطلبها والله لا تألفى ما عشت انسانا (٣)

* * *

وله ابيات اخرى وجدتها فى ترجمة وديع البستاني لرباعياته ، غير انه لم يذكر المصدر الذى نقل عنه هذه الابيات وهذه هى :

سبقت العالمين الى المعالى بصائب فكرة وعلو همة
فلاح بحكمتى نور الهدى فى ليال للضلالة مدلهمة
يريد الجاحدون ليطفؤها و يأبى الله الا ان يتمه

* * *

العقل يعجب فى تصرفه ممن على الايام يتكل
فنوالها كالريح منقلب ونعيمها كالظل منتقل

(١) لم اجد الخيام متفاخراً بل عرفته آية فى التواضع
(٢) وفى رواية معابر
(٣) فى هذه الابيات مسحة من روح الخيام ومذهبه الشعرى

«علوم»

ان الذى ظهر لنا من ترجمة الخيام وسيرته انه كان متضلعاً من العلوم الشائعة فى عصره ولاسيما الرياضيات والفلك .

قال الشهرزورى « كان تلو ابي على بن سينا فى اجزاء علوم الحكمة وكان ابن بجدتها فى اجزاء الحكمة من الرياضيات والمعقولات » وفى كامل التواريخ لابن الاثير فى ذكر حوادث ٤٢٧ﻫ « وفيها ايضاً عمل الرصد للسلطان ملكشاه واجتمع جماعة من اعيان المنجمين فى عمله منهم عمر بن ابراهيم الخيامى وابو المظفر الاسفزارى وميمون بن النجيب الواسطى » وقال فيه القفطى « امام خراسان وعلامة الزمان يعلم علم يونان ... وكان عديم القرين فى علم النجوم والحكمة و به يضرب المثل فى هذه الانواع لو رزق العصمة ... »

وقال القزوينى فى بحثه عن نيشابور « وينسب اليها من الحكماء عمر الخيام كان حكيما عارفاً بانواع الحكمة سيما النوع الرياضى وكان فى عهد السلطان ملكشاه السلجوقى سلم اليه مالا كثيراً ليشترى به آلات الرصد ويتخذ رصد الكواكب فمات السلطان وما تم ذلك »

وقال الابرقوهى « خيام — وهو عمر بن الخيام — « كان ذا باع طويل فى العلوم الخاصة وفى علم النجوم وله رسائل ذائعة الصيت واشعار لانظير لها ... » وقال حمدالله المستوفى القزوينى « عمر الخيام بن ابراهيم كان متضلعاً من اكثر العلوم ولا سيما علم النجوم وبرز فيه على من كان فى عصره »

* * *

من العلوم التى اقبل على تعلمها المسلمون يومئذ علم الفلك (١) وكان لابي جعفر المنصور الخليفة العباس رغبة شديدة فيه ، وهو الذى امر محمد الفزارى ان ينقل الى العربية كتاب السند هند ، وكان علماء الفلك قسما من موظفى الدولة يرافقون الخلفاء والملوك فى اسفارهم وغزواتهم وقد ظهر فى عهد المامون العباسى محمد بن موسى الخوارزمى و بنو شاكر الثلاثة الذين قاسوا درجة خط نصف النهار (٢) .

ومن مشاهير الرجال الذين نبغوا فى هذا العلم ابو المعشر البلخى ، وحنين بن اسحق ، وثابت بن قره الحرانى ، واحمد بن كثير الفرغانى ، وسهل بن بشر ، ومحمد بن عيسى الماهانى ، ومحمد بن جابر الحرانى ونبغ فى القرن الرابع والخامس ابو الوفاء ، والبوزجاني ، والبيروني ، وفى القرن السابع ظهر امام الفلكيين نصير الدين الطوسى ، ونبغ فى عصره مؤيد العروضى ، وابنه محمد بن المؤيد والفخر المراغى ، والخلاطى ، ونجم

---

(١) تاريخ علم الفلك قديم جدا يرجع الى نحو الاف من السنين وقد اولعت به الامم القديمة واختلف فى موطنه الاول فاهل الصين يزعمون ان لديهم ارصادا عملت قبل الطوفان ، وقد اشتغل به الكلدانيون منذ ٥٠٠ سنة وتقدم عندهم وقد بلغ من تولعهم بالاجرام السماوية انهم اول من قسم النهار الى ١٢ ساعة ولم يقصر المصريون واليونانيون فيه فقد كانت لليونانيين مدارس كبيرة اتدريسه يرجع عهدها الى الفلكى اليونانى « تاليس » الذى عاش فى القرن السادس للمسيح وقد انشأت فى عهد الدولة البطليموسية مراصد عظيمة فى الاسكندرية

(٢) راجع كتاب علم الفلك وتاريخه فى القرون الوسطى للسنيور نلينو

الدين القزويني وغيرهم من الفحول .

وقد أجمع المؤرخون على أن الخيام كان بارعاً بعلم الفلك وذكروا أن ملكشاه السلجوقي اعطى الخيام اموالا لبناء رصـــد عظيم فتوفى ملكشاه ولم يتم العمل ، واتفقوا على انه هو الذي تولى ترتيب «الزيج» للملكشاه السلجوقي رتبه بمعونة سبعة من المنجمين منهم ميمون بن نجيب الواسطي ، وابو المظفر الاسفزاري ، وعبدالرحمن الخازن (١)

قال احمد رفيق في تاريخه العام المفصل :ــ ان عمر الخيـام أصلح التقويم الفارسي واكمله على عهد السلطان ملكشاه ، السلجوقي .

وقال حميد وهبي في كتابه (مشاهير الاسلام) : ــ ان هذا الاصلاح وافق اليوم الثامن من رمضان تلك السنة وقد استعملت الكبيسة التي اعتنت بها الروم ولم يلتفت اليهـــا الفرس في ذلك الحين وهي ضم يوم واحد الى نهاية كل رابعة اربع سنين وسمي هذا الزيج

---

١ وفي كتب الفلك ان الات الرصد المستعملة في ذلك العهد هي ١ــ اللبنة . ٢ الحلقة الاعتدالية ٣ــ ذات الاوتار وهي اربع اسطوانات مربعة يعلم بها الميل ٤ــ ذات الحلق ٥ ــ ذات السمت والارتفاع وهي نصف حلقة قطرها سطح من اسطوانة متوازية السطوح يعلم بها السمت وارتفاعـــه ٦ــ ذات الشعبتين وهي ثلاث مساطر على كرسي يعلم بها الارتفاع ٧ــ ذات الجيب ٨ــ المشتبهة بالمناطق وهي ثلاث مساطر يعلم بها مابين الكوكبين من البعد ٩ــ الاسطرلاب وله انواع ١٠ ــ الارباع ولها اشكال « نقلا عن العالم الجليل السيد عبدالحليم الحافاني وهو من اجلة العلماء في بغداد وله شغف بعلم الفلك واطلاع واسع به »

بالجلالى اوالملكى وحصل من هذا الحساب فائدة عظيمة لبيت المال لجريانه على محور ثابت .

وقال عبد الرحمن شرف فى كتابه لزبدة القصص) ان التقويم او الزيج الجلالى الذى رتبه عمر الخيام وعبد الرحمن الخازن هو اقل خطأ من التقديم الغريغورى . قال صاحب كشف الظنون فى باب (الزاى) انه وضعه عند ما سافر الى مرو فاكرمه السلطان وامره باصلاح التقويم مع جماعة ثمان فاصلحوه ، قال ابو الفداء : — انه يوافق ١٠٧٩ ميلادية ونسبه الى جلال الدين ملكشاه ودعى الزيج الجلالى .

وقال المؤرخ الانكليزى (كبن) ان الزيج الذى رتبه الخيام يتفوق على التقويم الجوليانى وعلى صحة النمط الغريغورى .

فالظاهر مما تقدم ان الخيام كان اماماً فى علم الفلك وحجة فى الرياضيات

* * *

وقد وردت عنه حوادث يستدل بها انه تعلم الطب ومارسه وتعلم الهندسة والعلوم الطبيعية والكيمياء والجبر ، والف فى هذه المواضيع رسائل جليلة ، ونستدل على درسه الطب ما ذكره الشهرزورى قال :

« ودخل على السلطان سنجر وهو صبي وقد اصابه جدرى فلما خرج سأله الوزير كيف رأيته وبأى شئ عالجته ؟ فقال عمر ، عمر الصبى مخوف فرفع خادم حبشى ذلك الى السلطان فلما برأ السلطان ابغضه وكان لا يحبه (الكتاب ص ١٣) . وكان الخيام شغوفاً بمطالعة كتب (ابن سينا) الفيلسوف الطبيب وقد صرح الخيام بانه تتلمذ له واذا صح انه

درس على ابن سينا فلا اشك فى انه اخذ الطب عنه .

والف فى الهندسة رسالة فى شرح ما اشكل من مصادرات (اقليدس) والرسالة محفوظة فى هولندة فى مكتبة (ليدن) ، والف فى الطبيعيات رسالة مختصرة وفى الكيمياء رسالة فى الاحتيال لمعرفة مقدارى الذهب والفضة فى جسم مركب منهما والرسالة الان فى المانية فى مكتبة (غوتا) و رسالة فى الجبر والمقابلة طبع متنها العربى ونرجمتها بالافرنسية المسيو (ويكه) فى باريس سنة ١٨٥١

مؤلفاته

قال صاحب نزهة الارواح — وقد ذكرناه آنفاً — « وله — اى لعمر الخيام — ضنة بالتصنيف والعلم ، وله مختصر فى الطبيعيات ، ورسالة فى الوجود ، ورسالة فى الكون والتكليف ، وكان عالماً باللغة والفقه والتواريخ » .

وقد عدد مصنفاته واضع حواشى المقالات الاربع (ص٢٢٠ – ٢٢١) والاديب حسين دانش فى كتابه عمر الخيام (ص ٤٨ ، ٤٩) والمستشرق الالماني فريدرخ روزن فى كتابه عمر الخيام (ص ٦١—٦٢)

* رسالة فى الجبر والمقابلة طبعها العالم الجليل المسيو ويكه فى باريس سنة ١٨٥١

* رسالة فى شرح ما اشكل من مصادرات كتاب (اقليدس) والرسالة محفوظة فى هولندة فى مكتبة ليدن .

* الزيج الملكشاهى ، كشف الظنون (الزاى المعجمه) .

* رسالة فى الطبيعيات، ذكرها الشهروزى .
* رسالة فى الوجود كتبها عمر بالفارسية لفخر الملك بن مؤيد، والنسخة محفوظة فى (بريتش ميوزيوم) وقد كتب فى صدر الكتاب (رسالة بالعجمية لعمر بن الخيام « كذا » الكليات الوجود .)
* رسالة فى جواب ثلاث مسائل وفى كشف الحجاب عن ضرورة التضاد فى العالم نشرها محى الدين صبرى مع عدة رسائل بعنوان (جامع البدائع) .
* رسالة فى الكون والتكليف وقد ذكرها الشهروزى وهى رسالة فلسفية كتبها جواباً على سؤال عبد الرحيم النسوى ونشرها محى الدين صبرى .
* رسالة فى الاحتيال لمعرفة مقدارى الذهب والفضة فى جسم مركب منهما محفوظة فى مكتبة (كوتا) فى المانيا .
* رسالة فى لوازم الامكنة بحث فيها عن اختلاف المواسم والفصول والاقاليم .

فلسفته

يقول بعض الباحثين ان رباعيات عمر الخيام تصور الخيام للمطالع رجلا مستهتراً ، ماجناً ، شهوانياً ، فناء فى حب ذاته وشهواته ، زائغاً عن التقاليد ، متمرداً على الاخلاق ، جاعلا هدفه الاسمى فى الحياة اجتلاب السرور والانغماس فى الملذات ، وانه لم يكن مثل سائر الفلاسفة والحكماء ممن جاهدوا فى نشر الفضائل وعملوا لتثبيت دعائم الاخلاق الرفيعة وقدموا عصارة ادمغتهم ونتائج قرائحهم فداء وقرباناً للانسانية المفعمة بالاتراح المليئة بالاوجاع الحافلة بالجور والظلم والبؤس ، وان آراءه فى الحياة غير مستندة الى أسس الخير ولا ذات فائدة للناس ، وان افكاره الفلسفية مبتنية على السلب لا الايجاب وهدم النظام الاجتماعى ، وما هو الا شاعر ليس بالفيلسوف المغرم بالفضيلة .

اجل هذا هو الواقع الذى لا شك فيه والحق الذى لا مراء فيه فان عمر الخيام لم يكلف نفسه قط فى نشر الفضيلة ولم تحدثه نفسه بتدريب الناس على البر وتشويقهم الى الخير وهديهم الى الطرق المستقيمة وانما رباعياته تمثله داعية من دعاة اللذائذ النفسانية وان غلوه واسرافه وولعه بالخمر وحثه الناس على الاقبال عليها صورته ربيب حانات ورفيق سقاة هذا هو ظاهر حاله وهذا هو السبب الذى جعل بعض العلماء ان يشبهوه « بأبيكور ولوقرهجيوس » وغيرهما من الفلاسفة الماديين الذين يقولون

ان غاية الحيـــاة ان يتطلب الانسان الامور التى تولد « اللذة » واجتناب ما يورث الالم ما دام الانسان يشعر بان أساس حياته هو « الاحساس » !

واذ كان التفتيش عن العلة يدلنا على المعلول ومعرفه السبب تعرفنا بالمسبب وجب علينا ان نبحث فى السر الذى حدا بالخيام أن يظهر بهذا المظهر الشاذ وان نتطلب الدافع الذى دفعه الى ذلك .

ان للسرور سبباً وللالم علة ولابد لمن يشذ عن العادات والتقاليد ويعتقد اعتقاداً خاصاً لا يلائم اعتقاد الجمهور من علل واسباب اورثته هذ الشذوذ وذلك الاعتقاد ، ولكل حادث سبب ولكل حركة عامل فما السبب الذى جعل الخيام ان يظهر بهذا الشكل ، يدعو الى خرق النواميس الادبية والاخلاقية ؟ أنقص فى تهذيبه ؟ أم اختلال فى تفكيره ؟ ام اضطراب فى مزاجه العقلى ؟ ام لا هذا ولا ذاك ولا ذلك وانما هو امرؤ خليع سافل الطباع ذو مزاج شهوانى دفعته نفسه المنهومة الى اللذائذ فخاض الموبقات والمنكرات والمهلكات ؟

ان الذين اصدروا على عمر الخيام هذا الحكم الصارم القاسى من هذه الناحية لم يلتفتوا الى تحقيق اشياء اخرى فى الناحية الاخرى من رباعياته لقد اكثر الخيام الذم من الحيـاة وصورها ابشع صوره حتى لقد تمنى العدم وود لو انه لم يكن مخلوقاً . قال :

كر آمدنم بمن بدى نامدمى

ورنيز شدن بمن بدى كي شدمي

به زآن نبدی که اندراین دیر خراب

نه آمدمی ، نه شدمی نه بدمی

لو كان بجيئي باختياري لما جئت ولو كانت خالقتي بيدي لما رغبت ان اخلق الافضل انني لم اكن في هذا العالم ولم اجيء اليه ولم ابق فيه .

وقال :

جون حاصل آدمی دراین جای دو در

جز درد دل ودادن جان نیست دگر

خرم دل آنکه یك نفس زنده بود

وآسوده کسیکه خود نزاد ازمادر

لم يكن محصول الانسان من هذه الدنيا ذات البابين غير الم القلب وزهوق الروح . فالمسرور من عاش لحظة ، والمرتاح هو الذي لم يولد من امه !

وقال :

جون حاصل آدمی دراین شورستان

جز خوردن غصه نیست یاکندن جان

خردم دل آنکه از جهان بیرون شد

آسوده کسیکه خود نیامد بجهان

لما لم يكن محصول الانسان في هذه الحياة ذات الفتن الا الالم وعذاب النفس فطوبى لمن خرج منها اولم يجيء اليها !

اليس عجيبا ان يذم الخيام الحياة وان يفيض بالنقمة عليها فيسمبهادار الفتن والعذاب ويتمنى العدم فى هذا « الدير الخرب » وان يقول هنيئاً لمن عاش لحظة فيها وطوبى لمن لم يولد من اه» !

اليس غريباً ان يصب الخيام نقمته على الدنيا ثم يناقض نفسه بدعوة الناس الى الملذات والمسرات واغتنام الفرص فى الحيــاة والاخذ باللهو والمرح من غير اهتمام بالتقاليد والتفات الى ماهو حرام او حلال اخلاقا او عرفا فما سبب هذا التناقض ؟ ماسبب هذه الابتسامة الحلوة وهـــذا الوجه العبوس ؟ ماعلة هذا الادعاء وما سبب هذا الزعم ؟

***

ماكان الخيام ناقص التهذيب فقد عرفنا سيرته ومكانته العلمية ، وما كان مختل التفكير فان علمه وادبه ومؤلفاته دلتنا على تفكيره الراقى وما كان مضطرب العقل والمزاج فقد عرفنا المؤرخون برجاحة عقله ورزانته وانه كان اية فى العقل والذكاء والفطنة وما كان خليعاً سافل الطبع اذ لايكون الخليع السافل جليس الملوك ونديم الامراء وقد عاش حصوراً عزباً لم يتزوج ولم يذكر احد بانه كان مدمناً للخمرة سكيراً مع كثرة تغزله بهـا وانما الخيام قد دعى الناس الى اللـذة وحثهم على طلب السرور مدفوعا بعقيدة فلسفية هى وليدة تفكيره وشعوره ومـذهبه الفلسفى فان للرجل تفكيرا خاصاً ومسلكا معلوما فى الحياة فلم يكن الخيام عدو النـــاس ولا صديقهم ولم يطلب لهم لاخيراً ولا شراً وقد كان مشغولا بنفسه وروحه الملتهبة المضطربة وقد جاشت فى صدره نفثات هى حقائق ناصعة ومقاصد

عالية ومعاني جليلة البسنها قريحته الوقادة قوالب شعرية جميلة ابرزها بصدق واخلاص ونية حسنة.

اذافلم يكن عمر الخيام شاعراً مستهترا ،ماجناً، شهوانياً، مادياً ،كما ادعى ذلك « فرناندهانرى و فتزجرالد » وغيرهما وانما كان حكيما مفكراً له عقيدة خاصة تعبر عن مزاجه ومذهبه ورأيه الفلسفى وان لوجود هذه العقيدة الفلسفية وكيفية تكوينها ونضوجها اسبابا سابينها فى بحثى عن عقيدته الفلسفية . ومع ذلك فاني اثبت هنا الان ثلاث رباعيات جوابا على الذين يوصمونه بالاستهتار والسفه ليتبينوا السبب الذى من اجله يدعو الخيام الى معاقرة الخمرة وطلب اللذة : قال :

روزى كه دو مهلتست ميخور مي ناب
كاين عمر دو روزه برنگردد در ياب!
دانى كه جهان روبخرابى دارد
تونيز شب وروزهمى باش خراب!

اشرب الخمرة الصافية مرتين كل يوم فان هذا العمر الذى هو عبارة عن يومين لايعود اليك مرة اخرى انت تعلم ان مصير الكون آيل الى الخراب فكن انت ايضا خراباً ليلا ونهاراً . وقال :

عمرت تا كي بخود پرستى گذرد؟
يادرپى نيستى وهستى گذرد؟
مي نوش كه عمرى كه اجل درپي اوست
آن به كه بخراب يابمستى گذرد

حتى م يمر عمرك فى عبادة نفسك او فى الافتكار فى الوجود والعدم؛ اشرب المدامة فان العمر الذى وراءه المنية يحسن ان ينقضى فى النوم، او السكر وقال :

اى انكه نتيجهٔ جهار وهفتى
در هفت وجـــهار دائم اندرتفتى
مي خوركه هزار بار بيشت كفتم
باز آمدنت نيست جور فتى رفتى

يامن هو نتيجة اربعة عناصر وسبع سموات الى متى انت تتألم بالتفكر فيها اشرب الخمرة فقد قلت لك الف مرة مالك من اوبـــة فاذا ذهبت ذهبت اى — ذهابك ذهاباً ابدياً —

اظن الان قد بان السبب الذى من اجله كان يدعوا الخيام الى الخمر بان عريان صريحاً كالشمس وسوف احلل هذا السبب اكثر من ذلك فيما بعـد والان ابحث فى مصادر فلسفته

مصادر فلسفته

نشأ عمر الخيام فى القرن الخامس الهجرى وكتب الفلسفة اليونانية شائعة ومؤلفات ارسطاطاليس، وافلاطون، واقليدس، و بطلتيموس، وجالينوس، وفيثاغور وزه نون وابيكور فى الفلسفة الطبيعية والالهية والرياضية وما يتفرع من ذلك من المنطق والطب والهندسة والاخلاق والسياسة والهيئة منتشرة بين الناس والجدل محتدم حول اراء السوفسطائيين

والكلبيين والمشائين والرواقين وغيرهم من المذاهب الفلسفية هذا من جهة ومن جهة اخرى فان الخيام قد وجد فى عهد نضج فيه علم الكلام واشتد النزاع العلمى بين الاشاعرة والحنابلة والمعتزلة والجبرية وشاعت آراء الباطنية وكثر الاقبال على التأليف فى مختلف العلوم والفنون واحتشدت المدارس بطلاب العلم وظهرت رسائل اخوان الصفا الجمعية السرية وتعددت الفرق والطوائف وتعصبت كل فرقة لمذهبها وكثر الاطباء والفلاسفة فالف ابن القفطى وابن ابى اصيبعة كتباً فى تراجمهم ووضع الشهرستانى كتاب الملل والنحل واحصى فيه عـــدد الفرق مبينا حججهم وادلتهم العلمية وظهر ابو نصر الفارابي وابو على بن سينا واشتد النزاع بين الدين والفلسفة فوضع الامام الغزالى حجة الاسلام كتبا فى الرد على الفلاسفة وعظم امر التصوف وكثر القائلون بالحلول ووحدة الوجود وتفرد عدد عظيم من المفكرين بارائهم الحـــرة التى لا تلائم ذوق الجمهور فاتهموا بالزندقة وكان نصيبهم السيف والنطع وصفوة القول فان حظ الخيام اوجده فى عصر زاهر عظيم من الوجهة العلمية !

وقد دلت مؤلفات الخيام فى العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية على اقباله واهتمامه ودرسه الفلسفة والعلوم اليونانية درساً متقناً واعتقـد بان الخيام قد استقى علومه واراءه الفلسفية من المصادر الاتية :

الفلسفة اليونانية

قلنا فيما تقدم ان المسلمين قد اقبلوا على درس العلوم والمذاهب

الفلسفية اليونانية اقبالا عظيما وان رسائل اخوان الصفا اسطع دليل على على رغبتهم فيها وكان الجدل حامى الوطيس حول آراء الفلاسفة اليونانيين وكان الخيام ممن شغف بها فدرسها و تولع بها وقد اخبرنا القفطى عن ذلك بقوله « يعلم علم يونان . . . وهذا الرواية تدلنا على اضطلاعه منها واتقانه اياها . وقد اشار القفطى بان له اراء خاصة بها بقوله « ويأمر بالتزام السياسة المدنية حسب القواعد اليونانية» وما القواعد اليونانية الا نظريات الفلاسفة اليونانيين وارائهم فى الكون والحياة والاجتماع والاخلاق الى غير ذلك ولكن عدم رغبة الخيام فى التاليف وضنه بالتصنيف حال وياللاسف دون اطلاعنا على افكاره ونظره فيما درسه واتقنه وعلى كل حال فان عمر الخيام قد تاثر مزاجه بالفلسفة اليونانية خصوصاً بفلسفة (ابيكور) ورأيه فى « اللذة » كما نطقت بذلك رباعياته .

رسائل اخوان الصفا

اخوان الصفا جماعة من الفضلاء اجتمعوا فى منتصف القرن الرابع فى البصرة على مايروى والفوا جمعية علمية سرية ووضعوا رسائل عظيمة الشان وهى احدى وخمسون رسالة احتوت خلاصة العلوم الشائعة فى عصرهم وكان غرضهم من ذلك كما زعموا غرضاً نزيهاً وهو انقاذ الشريعة من الاوهام والاباطيل والضلالات اذ كانوا يرون « ان الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة لانها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية » وذكروا

فى اول هذه الرسائل « ان الحكما. والفلاسفة الذين كانوا قبل الاسلام تكلموا فى علم النفس ولكنهم لما طولوا الخطب فيها ، ونقلها من لغة الى لغة من لم يكن قد فهم معانيها ، حرفها و غيرها ، حتى انغلق علي الناظر فيها فهم معانيها ونحن قد أخذنا لب معانيها و أقصى اغراضهم فيهـا وأوردناها بأوجز ما يمكن من الالفاظ في احدى وخمسين رسالة » والحق ان هذه الرسائل تعبر عن فضل منشئها وتوغلهم بالعلوم المعروفة فى عهدهم وقد ذكر لنا القفطى حديث ابي حيان التوحيدى المتوفى بحو سنه ٣٨٩ هـ عن اخوان الصفا وامتداحه اياهم حتى ظن — وقد يكون ذلك — انه هو احدهم لقوله « ان الشريعة لم تكن كاملة بل فيها غلطات وجب اصلاحها بواسطة الفلسفة » وقد اضرت رسائل اخوان الصفا بقدر ما نفعت .

و يعتقد شيخنا الشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى ان اخوان الصفا جماعة من الباطنية المعتدلة كما يعتقد ان كلا من ابي العلاء المعرى وعمر الخيام كان باطنياً .

واجزم بان عمر الخيام قد امعن النظر فى رسائل اخوان الصفا امعاناً دقيقاً، لان لهجته و تقريره فى رسالته كشف الحجاب عن ضرورة التضاد فى العالم وجوابه عن ما اورده اصحاب مذهب الجبر و رأيه فى رسالته الكون والتكليف تكاد تكون عين لهجة اخوان الصفا فى رسائلهم بل يكاد يصعب التفريق بين رسائله المتقدم ذكرها وبين رسائل اخوان الصفا لتقارب الفكر واللهجة والتقرير و بسط الحجة ولولا ضيق المجال لقارنت بين رسائله و رسائل

اخوان الصفا مستخرجاً ما اخذه الخيام منها .

ابن سينا

صرح الخيام مرة انه تتلمذ لابى على بن سينا بقوله « واعلى ومعلمى افضل المتأخرين الشيخ الرئيس ابو على بن سينا . . . » ص ٩٦ الكتاب» وسواء صح هذا الخبر او لم يصح فان عمر الخيام قد تهافت على مؤلفات ابن سينا القيمة وقتلها درساً وامعاناً واحاط بجميع آرائه وافكاره فى الفلسفة وعلم الكلام والمنطق خصوصاً كتبه الشهيرة (كالقانون، والشفاء والنجاة) وكتابه الثانى خاص بالفلسفة .

وقد روى لنا البيهقى نقلا عن ختن الخيام الامام محمد البغدادى عند ما قص عليه خبر وفاته انه كان يتأمل فى كتاب (الشفاء) «ص ٩ الكتاب» وقد ايد هذه الرواية الشهرزورى بقوله و كان يتأمل الالهيات من (الشفاء) « ص ١٣ الكتاب »

ولابن سينا شعر جميل بالفارسية والعربية يدل على قوة بيانه بهما وقد عثرت له على رباعية بالفارسية يرد بها على الذين كانوا يطعنون فى عقيدته منزهاً نفسه مما كانوا يلصقونه به .

قال : كفر چومنى كزاف وآسان نشود
محكمتر أز ايمان من ايمان نشود
در دهر چو من يكى وآن هم كافر
بس در همه دهر يك مسلمان نبود

ليس من الجزاف والسهل جحودى وكفرى اذ لا يوجد ايمان احكم

واقوى من ايمانى فى الدنيا نظيرى واحد وذلك كافر ايضاً ؟ اذاً فلا مسلم فى هذه الدنيا .

وقد اشتهرت قصيدته العينية بالعربية اشتهاراً عظيما وفيها من المعانى الجليلة والمقاصد العالية والآراء الحكمية ما تستحق لاجله الخلود .

هبطت اليك من المحل الارفع
ورقاء ذات تعزز وتمنــــع
محجوبة عن كل مقـــلة عارف
وهى التى سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره اليك وربما
كرهت فراقك وهى ذات تفجع

الباطنية

ذكر صاحب كتاب « روضة الصفا » الشيخ مير خنده بان عمر الخيام قد تتلمذ فى عنفوان شبابه مع نظام الملك الوزير والحسن بن الصباح فى نيسابور فى مدرسة الموفق النيسابورى وذكرنا الاسباب التى جعلت بعض الباحثين ان يحجموا عن قبول هذه الرواية وقد ناقشناها فى كتابنا ص٢٥ وقلنا باننا قد وقفنا ازاء هذه الرواية وقفة المتردد الذى يشك تارة ويحجم أخرى لكننا لم نشك قط فى ان عمر الخيام قد عاصر الحسن بن الصباح لان الحسن قد توفى سنة ٥١٨ هـ ولان الخيام قد توفى بين سنة ٥١٧ هـ

و ٥٣٠هو وبناء على ذلك فليس هناك من ريب فى ان الخيام كان معاصراً للحسن .

* * *

بيد ان هناك مشكلة لم يحلها احد بعد وهى ما اذا كان قد اجتمع ابن الصباح بعمر الخيام بعد ايابه من مصر وانخراطه فى سلك المحفل السرى واخذه المبادىء الاسماعيلية ام لا ؟

اننا لم نهتد الى الان الى حل هذه المشكلة ولم نعثر على نص او وثيقة تأريخية تؤيد لنا وقوع اجتماعهما بعد رجوع الحسن من مصر وليس المهم فى نظرنا اجتماعهما اثناء دراستهما وانما المهم هو الاجتماع الاخير . لان التطور الفكرى الذى حصل مع الحسن الصباح كان بعد ايابه من مصر .

وفى اليوم الذى تنحل فيه هذه المعضلة الدقيقة ، يرتفع الستار الذى كان يحول بين الباحثين وبين عقيدة الخيام وينتهى تباهل آراء العلماء فى عقيدته فلا يبقى أقل شك فى كونه كان باطنياً محضاً .

* * *

اما الان وليس عندى اية حجة تؤيد وقوع اجتماعهما فانى اجزم بصورة قطعية بان الخيام قد تأثر بالعقائد الباطنية تأثراً قوياً وتكاد رباعياته تسوقنى الى الاعتقاد بانه كان من اعظم المبشرين بتلك المبادىء الهدامة ومن اشد المناصرين لها ولعله كان من دعاتهم على انى لا أريد ان أتهم الخيام دون ان آتى بالبرهان ولا احب ان ادعى بهذا الادعاء الذى انفردت به وحدى دون غيرى من غير تدليل يؤيده واليك برهانى على ما ادعيه :

لقد تضمنت الرسالة التى بعث بها الداهية الباطنى عبيد الله بن الحسن القيروانى الى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي اشياء كثيرة كان اهمها:

(١) اباحة شرب الخمر وجميع الملذات

(٢) انكار النبوات والمعجزات والوحى

(٣) القول بقدم العالم

(٤) ابطال القود فى المعاد والنشر من القبور

(٥) كون الجنة نعيم الدنيا

(٦) ووصايا اخرى وكلها ترمي الى هدم الشرائع وتثبيت دعائم الالحاد « الكتاب ٤٩ — ٥ »

هذه هى المبادىء التى كانت تسير عليها الباطنية ومن يدقق النظر فى رباعيات الخيام يجد انها تتضمن جميع هذه المبادىء الا ماكان من امر انكار النبوات والمعجزات والوحى والظاهر ان الخيام كان يتجنب مهاجمتها خوفا على حياته وابتعاداً من تعريض نفسه للمخاطر اما اجتراؤه على اباحة شرب الخمر وجميع الملذات والقول بقدم العالم من طرف خفى وابطال القول فى المعاد والنشر وانكار الجنة والنار فلانه يحتمل التأويل على الطريقة الصوفية خصوصا التغزل بالخمرة فانه مباح لاضير فيه عند ارباب هذا المذهب اذ كانوا يريدون به « خمرة الحب الالهى » و « لذة السكر المقدس » وفعلا قد اول الصوفية رباعيات الخيام وقلبوا هذه المعانى الى معانى عرفانية — كما اصطلحوا — على ذلك وقد اخبرنا القفطى بما وقع اذ قال « وقد وقف متأخرو الصوفية على شىء من ظواهر شعره

فنقلوها الى طريقتهم وتحاضروا بها فى مجالسهم وخلواتهم . . .»

على ان القفطى قد ادرك بذكائه ظاهر معانيه وما كان ينزع اليه الخيام فلم يتردد فى الرد عليها بقوله « وبواطنها حيات للشريعة لواسع ، ومجامع للاغلال جوامع» — الكتاب ١٤ — وفيما يلى اورد بعض رباعياته المتضمنة لبعض المبادىء الباطنية التى استطاع الخيام ان يبثها غير هياب ولا وجل قال :

يك جام شـــراب صد دل ودين ارزد
يك جرعهٔ مى مملكت جـــين ارزد
جز بادهٔ ناب نيست در روى زمـــين
تلخى كه هزار بار شـــيرين ارزد

ان كاسا من الخمرة تعدل الف قلب ودين وان جرعة منها تســـاوى مملكة الصين ليس على وجـه الارض غير الخمرة الصافية وهى المرة التى تفضل الحلو الف مرة

وقال :

تا زهره ومه در آسمـــان كشت پديد
بهـــتر زمى ناب كسى هيج نديد
مرن در عجبم زمى فروشان كايشان
به زانجه فروشـــند جه خواهند خريد

منذ ظهرت الزهرة والقمر فى السماء مارأى احـد احسن من الخمرة الصافية ياعجبى من بائعى الخمر اى شىء سيشترون احسن مما يبيعون؟

وقال :

ای دل تو باسرار معمی نرسی
در نکته زیرکان دانا نرسی
اینجا بمی وجام بهشتی میساز
کانجا که بهشت است رسی یا نرسی

ايها القلب انت لاتصل الى الاسرار المعماة ولا تفقه نكات الالباء الفاهمين اجعل لنفسك فى هذه الدنيا جنة من الخمر والكاس فانك لاتعلم اتنالها فى تلك ام لا ؟

وقال :

جامی ومی وساقی برلب کشت
بهتر زبهشتی که خبر بودشت رشت
مشنو سخن بهشت ودوزخ از کس
که رفته بدوزخ وکه آمد زبهشت

كأس وخمرة وساق فى جنب روضة خير من الجنة التى وعدتها لا تسمعن من احد حديث الجنة والنار ! من ذا ذهب الى الجحيم ومن ذا جاء من الجنة ؟

وقال :

ما لعبتکا نیم وفلك لعبتباز
از روی حقیقتی نه از روی مجاز
بازیچه کنان بدیم بر نطع وجود

رفتیم بصندوق عدم یك یك باز

نحن الاعيب اطفال والفلك هو اللاعب بنا وذلك امر حقيقى غير مجازى لقد لعبنا مدة فى ساحة الوجود ثم ذهبنا الى صندوق العدم واحداً بعد واحد .

* * *

وقال :

در دائرهٔ کامدن ورفتن ماست
آنرانه بدایت نه نهـــایت بیداست
کس می نزند دمی درین عالم راست
کاین آمدن از کجا ورفتن بکجاست

لا بداءة ولا نهاية للدائرة التى جئنا منها ونذهب اليها لا أحد يستطيع ان يقول من أين هذا المجيء والى أين هذا الذهاب .

* * *

أرأيت كيف يحض الخيام على الخمر والملذات وينكر الجنة والنار والمعاد و يصرح بقدم العالم بقوله « لابداءة ولا نهاية » لهذا العالم وانما المصير الى العدم ؟ الا ترى معى ان فى هذه الرباعيات مسحة من العقائد الباطنية ؟ والان الا تعتقد معى بان الخيام متأثر بهذه المبادىء على الاقل ؟!

موضوع فلسفته

درس الخيام مواضيع كثيرة وبحث في مواضيع شتى وقد تناول بفلسفته ما تناول غيره من المفكرين فتطرق في بحثه عن الحياة وما فيها وخاض المواضيع الطبيعية والرياضية والالهية والعملية وتكلم عن المادة والزمن والفلك والاله والجبر والتناسخ والبعث والدنيا والعدم ومصير الجسم بعد الموت .

المادة والزمان

رأى الخيام في المادة والزمان رأي سائر الفلاسفة الذين كانوا يقولون في قدم المادة والزمان وقد اكثر القول غير مرة بأن لا ابتداء ولا نهاية لهذه الدنيا التي جئنا منها ونذهب اليها ورأيه هذا صريح في قدم المادة وخلودها وهو يذهب الى ان الاجسام متألفة من مادة واحدة واشكال وصور تختلف عليها والقائل بقدم المادة قائل بقدم الزمان ايضا .

قال : آنها كه كهن شدند وآنها كه نوند
هريك پس از آمدن يكا يك بروند
اين كهنه جهان به كس نماند جاويد
رفتند وروند وديكر آيند وروند

اولئك الذين هرموا والذين لا يزالون احداثا سيذهب كل منهم فرداً فردا بعد مجيئه . لا يخلد في هذه الدنيا القديمة احد ذهبوا و يذهبون ويأتي غيرهم ويذهبون

وقال
این کهنه سراکه عالم او رانام است
وآرامکه ابلق صبح وشام است
بزمیست که وامانده صد جمشید ست
قصریست که تکیه کاه صد بهرام است

هذا البلاط القديم المسمى بالعالم ومستقر الصباح الوضاء والليل الدامس مجلس فتح بابه لمئة جمشيد وقصر اتكأ على الارائك فيه مائة بهرام

اولاً

كان بعض علماء المسلمين يكفرون القائل بقدم العالم ويوصمونه بالعقيدة الدهرية وكانوا يستدلون على واجب الوجود بالاستدلال على كون العالم حادثاً غير قديم لان الشريعة الاسلامية جائت بعقيدة التنزيه وتقوم هذه العقيدة على ان الله ازلى ليس له ابتداء وانه اوجد العالم من العدم فهو لذلك — اى العالم — حادث اما القول فى قدم المادة — اى قدم العالم — لا يناقض وجود الله لان الله واجب بذاته ولان لهذه الموجودات علة وهى ملازمة له كما يلازم المعلول علته وحيث قد ثبت بان الاشياء صدرت عنه صدور المعلول عن علته وجب القول بقدم الاشياء ولما كان واجب الوجود ازلياً بالعلة فالاشياء ازلية بالمعلول وقد سلك الخيام طريق الفلاسفة اليونانيين فى الفلسفة الالهية وهو معتقد بأنه هو الخير المحض الذى لا يصدر منه الشر وقد نفى وقوع العذاب والعقاب مدفوعا بعقيدة الجبريين لذلك قال :

قال : كفتى كه ترا عذاب خواهم فرمود
هركز من از ين خبر هر اسم نفزود
جائى كه توئى عذاب نبود آنجا
وانجا كه تو نيستى كجا خواهدبود

تفضلت قائلا : انى سوف أعذبك وانا لم اخش قط هذا الخبر فان المكان الذى انت فيه لا يكون فيه عذاب واين المكان الذي انت لست فيه .

قال : من بنده عاصيم رضاى توكجـاست
تاريك دلم نور وصـفاى توكجاست
ماراتوبهشـت اكر بطاعت بخشى
اين بيع بود لطف وعطاى توكجاست

انا العبد العاصى فاين رضاؤك انا المظلم قلبه فاين نورك وصفاؤك ان كنت تهبنا الفردوس لطاعتنا لك فذاك بيع فاين فضلك وعطاؤك

قال : نا كرده كنه درجهان كيست بكو
وانكس كه كنه نكرد چون زيست بكو
من بدكنم وتو بد مكافات دهى
بس فرق ميان من وتوچيست بكو

قل لى من هو الذى لم يرتكب ذنباً فى الحياة ومن ذا استطاع ان يعيش من غير ذنب ياتيه اذا كنت تجزينى السيئة بالسيئة فما هو الفرق بينى وبينك .

قال : يارب خردم درخور اثبات تو نيست
واندیشهٔ من بجز مناجات تو نیست
من ذات ترا بواجبی کی دانم
دانندهٔ ذات تو بجز ذات تو نیست

ليس لعقلي من السعة لاثباتك . انا لاافكر الا في مناجاتك اذا لا اعرف ذاتك كما هي ولا يعرف ذاتك الا ذاتك .

قال : گر گو هر طاعتت نسفتم هر گز
گرد گنه از چهره نرفتم هر گز
نو میــد نیم زبارگاه کرمت
زيرا كه يكيرا دونگفتم هر گز

ولو اني لم اثقب جوهر طاعتك ولم انفض غبار الاثم عن وجهي لست قانطاً من باب كرمك لانني لم اقل قط عوض الواحد اثنين

* * *

فالظاهر من الرباعيات التي ادرجناها ان الخيام كان معتقداً مؤمناً بوجود اله رحيم غفور لطيف غير منتقم ولا حقود ولا حانق.

ورب معترض يقول : اننا عرفنا الخيام جاحداً للبعث والنشر منكراً وجود حياة اخرى وقد نطقت بذلك رباعياته فكيف نوفق بين اعتقاده بالله وبين انكاره البعث والنشر وغيرذلك مما صرحت به الشرائع السماوية فالجواب على ذلك هو :قد ينكر الانسان الشرائع والنبواب والوحي ولا ينكر وجود الاله . والعقل مهتد بذاته الى الاعتراف بواجب الوجود .

الجبر

صرح الخيام فى رباعياته بعقيدته فى الجبر مؤمناً بسيطرته وسلطانه على الكون وما فى الكون من افراد وجماعات وقال غير مرة بانه دخل هذه الدنيا مضطراً كارهاً وخرج منها مرغماً كارهاً ولو استشير ماارادولو خير ما اختار فهو لذلك لايطمئن الى الاختيار وبناء عليه فهو جبرى بحت

* * *

ومذهب الجبر قديم جداً وقد اثبتته الشرائع كما فرغت الفلسفةمن اثباته والقرآن طافح بالايات التى نصت على عقيدة الجبر (ولو شئنـــا لاتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لاملان جهنم من الجنـة والناس اجمعين) (انك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء) (وما تشاؤون الا ان يشاء الله) (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمي)

* * *

والجبرية فرقة ينفون الفعل والقدرة على الفعل عند العبد ويثبتون القدر ويقولون ان الله تعالى يخلق الفعل ويخلق فى الانسان مقدرة متعلقة فى ذلك الفعل ولا تأثير لتلك المقدرة على الفعل ومنهم من يثبت للعبد قدرة ذات اثر فى الفعل ويقولون ان الله مالك فى خلقه يفعل ما يشاء ، ولا يسأل عما يفعل فلو ادخل الخلائق اجمعين الجنة لم يكن حيفا ولو ادخلهم النار لم يكن جوراً بل هو فى كل ذلك عادل لان العدل على رأيهم هو التصرف فيما يملكه المتصرف .

واول من صرح بهذا الرأى هو جهم بن صفوان (١) وهو من الجبرية الخالصة . قلنا ان الفلسفة قد فرغت من اثبات الجبر وذلك لان الاختيار (٢) اما ان يكون متصلاً بما قبله وما بعده اتصال العلة بمعلولها والنتيجة بمقدمتها اولا ، فان تكن الاولى فهو الجبر . اولا يمكن ان يتخلف المعلول عن علته . ولا ان يحول النتيجة عن مقدمتها واذاً فادعاء الاختيار ليس الاغروراً ، وان تكن الثانية فقد بطلت القضية التى قدمناها ، واصبح العالم ملعباً تختلف فيه المصادفات وهو ما لا شك فى بطلانه . اذاً فليس عن الجبر ، محيد ، ولا عن الاضطرار مزحل . ومن مصادر الجبر الايمان بشمول القدرة والعلم الالهيين فان شمول القدرة يقتضى ان لا يكون فى هذا العالم شئ الا اذا تعلقت به قدرة الله . فاذا فعل الانسان شيئا فاما ان يكون مختاراً فيه ، او غير مختار فان يكن مختاراً فهذا الفعل واجب. وان لم تتعلق به قدرة الله وهو باطل لانه يهدم اصل القدرة ، وان يكن غير مختار فهو الجبر الذى لا شك فيه ، اذاً فالدين والفلسفة يتظاهران اثبات الجبر واقامة الادلة عليه .

واليك بعض رباعياته التى تضمنت عقيدة الجبر

قال : من مى خورم وهركه جومن اهل بود
مى خوردن او نزد خرد سهل بود

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ص ٦٠ طبع ليبسيك

(٢) هذا رأى العلامة الكبير الدكتور طه حسين « ذكرى ابى العلا. ص ٣٥٢ »

می خوردن من حق زازل میدانست
گرمي نخورم علم خدا جهـــل بود

انا اشرب الخمرة ويشربها كل من هو اهل لها مثلى فان شربه لهــــا ليس بصعب فى نظر العقل لأن الله كان يعلم منذ الازل باني ساشربهـا فانا ان لم اشربها فعلمه اذاً يكون جهلا ـــ خطأـــ

قال: برر هــمكذرم هزار جا دام نهى
گويى كه بكيرمت اگر كام نهى
يك ذره زحكم توجهان خالى نيست
حكم توكنى وعاصيم نام نهى ؟

تضع الاشراك فى الف مكان فى سبيلى وتقول اذا وقعت فيها فانى مبيدك لا تخلو ذرة فى العالم من سلطانك انت تقدر على الحكم وانت تنعتنى بالعاصى ؟.

قال: از آب وگلم سر شتهٔ من جه كنم
وين بشم مرا تو رشتهٔ من جه كنم
هرنيك وبدى كه از من آيد بوجود
تو بر سر من نوشتهٔ من جه كنم

ماذا افعل يا الهى وانت الذى جبلتني من ماء وطين وانت الذى غزلت صوفتي انت كتبت على كل ما يصدر منى من خير وشر فى هذا الوجود فماذا افعل ؟

يزدان جو كل وجود ما مى آراست
دانست ز فعل ماجه بر خواهدخواست
بى حكمش نيست هر كناهى كه مراست
بس سوختن قيامت از بهر جه خواست

لما كون الله وجودنا من الطين كان يعلم بالافعال التى ستصدر منا ليس خارجا من حكمه كل ذنب نقترفه اذاً فلماذا يصلينا فى السعير يوم القيامة ؟

قال : آورد باضطرارم اول بوجود
جز حيرتم از جهان جيزى نفزود
رفتيم بالاراه وندانيم جه بود
زين آمدن وماندن ورفتن مقصود

جاء بي على الرغم منى الى الوجود ولم اردد غير الحيرة فى هذه الحياة ذهبنا مكرهين ولم نعلم الغرض من مجيئنا وبقائنا وذهابنا

***

وقد عثرت على تصريح صريح لعمر الخيام فى الجبر بصورة لايحتمل الشك ولا التأويل فقد سئل فى عصره عن ثلاث مسائل كان احداها : (١) اى الفريقين اقرب الى الصواب وقوله اشبه بالتحقيق : الجبرية القائلون بنفى الاختيار عن الممكن ام القدرية الناسبون الى العبد خلق افعاله ؟

وقد اجاب الخيام بكلام طويل حلل فيه الاسئلة الثلاث تحليلا علمياً فلسفياً دقيقاً وكان جوابه عن الجبر عرياناً صريحاً فقد قال :ـ

---

(١) جامع البدائع ص ١٧٥ - ١٨٠

ولعل الجبرى اقرب الى الحق فى بادى النظر وظاهر الحال من غير ان يتلجلج فى هـذيانه ويتغافل فى خرافاته فانه حينئذ يبعد عن الحق . وتصريحه هذا كاف للتدليل على انه كان جبرياً معتدلا .

التناسخ

التناسخ مذهب قديم عرف بين الهنود وشـاع بين عرب الجاهلية وظهر فى صدر الاسلام وكانت بعض الفرق من الغلاة تدين به كاصحاب عبد الله بن سبا الذى قال بالوهية على عليه السلام ومثل هؤلاء اصحاب ابى كامل الذى كان يدعى ان الامامة نور يتناسخ منتقلا من شخص الى شخص وذلك النور يكون فى شخص نبوة وفى شخص امامة وربما تناسخت الامامة وصارت نبوة وقال بتناسخ الارواح وقت الموت

ومذهبهم هو ان الله قائم بكل مكان ناطق بكل لسان ظاهر بشخص من اشخاص البشر . وفى كتب الملل والنحل تفاصيل كثيرة عن سخافاتهم وترهاتهم .

وقد عثر المستشرق البروفسور « زوكوفسكى » فى تاريخ الالفى لمؤلفه « احمد بن نصر الله تتوى » على رواية استدل بها على رسوخ عقيـــدة التناسخ فى نفس عمر الخيام .

وتتلخص الرواية فى انه كانت فى نيشابور مدرســـة قديمة وكانت المدرسة فى حاجة الى ترميم واصلاح وكان سرب من الحمير يحمل الآجر الى المدرسة وبينما كان الحكيم عمر الخيام يتمشى فى فناء المدرسة مع

جماعة من التلاميذ شاهد حماراً وقف فى باب المدرسة محجماً عن الدخول ولما رأى الخيام ذلك ابتسم ثم تقرب من الحمار وقرأ فى اذنه هـــذه الرباعية :—

ای رفته وباز آمده بل هم کشته
نامت زميان نامها کم کشته
ناخن همه جمع آمده وسم کشته
ريش از بس کون در آمده دم کشته

اى : — يا ايها الذى ذهب وعاد مرة اخرى وصار كالانعام قد ضاع اسمك بين الاسماء وقــد اجتمعت اظافيرك وصارت ظلفاً وظهرت لحيتك فى عجزك وصارت ذيلا .

و بعد تلاوة هذه الرباعية دخل الحمار المدرسة ، فسألوا من الحكيم السبب قال ان الروح التى تعلقت بجسم هذا الحمار كانت روح استاذ فى هذه المدرسة لهذا لم يشأ الحمار الدخول ولما علم ان الاصدقاء قد عرفوه دخل . انتهى .

هذه هى الرواية التى وردت فى تاريخ الالفى وقد عثر عليها المستشرق البروفسور زوكوفسكى ، وهى ولا شك من الروايات المختلقة التى لا ظل لها من الصحة ابداً ومكذبة من وجوه اولا : لم يذكر لنا احد بان الخيام كان استاذاً فى مدرسة نيسابور . ثانياً : الخيام انكر الحشر وقال بالعدم ومن كانت هذه عقيدته لا يقول بالتناسخ . ثالثاً : اذا صحت هذه الرواية فلا اشك فى ان خياماً اراد بذلك المزاح والسخرية ومفاكهة

تلاميذه وعلى كل فان الخيام برئ من هذه التهمة وعقله الراجح ارفع من ان يؤمن بفكرة الاقوام المنحطة .

البعث

لا يرتاب ارباب الديانات فى البعث بعد الموت والقران نزل حاملا عقيدة حشر الاجسام وقد جاء فيه ذكر يوم القيمة مشفوعاً بالوعيد والوعيد والمسلمون مختلفون فى كيفية وقوع الحشر فقسم يقول بحشر الاجسام وبعض يدعى ببعث الارواح دون الاجسام اما ارباب المذهب المادى فانهم ينكرونه بتاتاً والفلسفة الافلاطونية تنكر حشر الاجسام وبعث الارواح لكنها تنزع الى القول بخلود الروح وانتقالها بعد الموت الى عالم عقلى ، والقدماء من المصريين اعتقدوا بخلود الروح ورجوعها الى الجسد فى الدنيا ولهذا السبب عنوا بالتحنيط لوقاية الاجسام من البلى .

وكان الخيام منكراً للبعث وقد فهمنا ذلك عند بحثنا فى مصادر فلسفته اذ قد برهنا على انه كان متأثراً بالعقائد الباطنية وقد صرح فى كثير من رباعياته بان فكرة البعث والمعاد وهم وخيال لا حقيقة لها والذى يخاطب الناس بقوله : « انت لست ذهباً حتى اذا دفنوك اخرجوك وانت ذهب ايضاً » هو جاحد لعقيدة الحشر والمعاد .

الروح

من المشاكل العظيمة التى لم يهتد الى حلها الناس قديماً وحديثاً

مشكلة الروح والجدل حول الروح قديم جداً وقد كثرت فيه الاقوال والمعتقدات وذهب كل فريق فيه مذهباً خاصاً وكان قد بحث اولا فى ماهيته وهل هو متحيز او حال فى التحيز ام موجود غير متحيز ولا حال فيه ؟ ثانياً أقديم هو أم حادث ؟ ثالثاً أيبقى بعد فناء الاجسام أم يفنى ؟ رابعاً ما حقيقة سعادة الارواح وشقاوها فقيل انه جزؤ لا يتجزأ من اجزاء هوائية فى القلب وقيل هو الدماغ وهو جزؤ لا يتجزأ من الدماغ وقيل قوة فى الدماغ مبدأ للحس والحركة وقيل هو الدم المعتدل اد بكثرته تقوى الحياة وبفنائه تنعدم .

والامام الغزالى يقول : الروح ليس بجسم يحل البدن حلول الماء فى اناء ولا هو عرض يحل القلب والدماغ حلول العلم فى العالم بل هو جوهر لانه يعرف نفسه وخالقه و يدرك المعقولات وهو باتفاق العقلاء جزء لا يتجزأ وشئ لا ينقسم . والشرائع السماوية لم تعرفه والقرآن لم يبين حقيقته « ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا »

وقد ذكر عمر الخيام الروح غير مرة فى رباعياته الامر الذى كان يدل على انه كان يعتقد بوجود الروح لكن الشئ الذى لم نفهمه هو انه هل كان معتقداً بخلود الروح اعتقاد الافلاطيين ام لا : قال

دریاب كه ازروح جدا خواهى شد
در پردهٔ اسرار فنا خواهى شد
من نوش ، نداى ز كجا آمدهٔ
خوش باش ! ندانى بكجا خواهى شد

افق ! انك ستفترق عن روحك وستفنى وراء ستار الاسرار اشرب الخمرة ! انك لاتدرى من اين اتيت واسعد ! انك لاتعلم الى اين تذهب

قال : ازتن جـوبرفت جان باك من وتو
خشتى دونهند برمغـــاك من وتو
وانـــكه زبراى خشت كور دكران
در كالبدى كشند خاك بـاك من وتو

حين تخرج من جسدى روحى وروحك الطاهرة يضعون لبنتين على لحدى ولحدك ثم لاجل لبنتين اقبر اخر يضعون ترابى وترابك فى القالب (١)

---

(١) وقد وقع لاستاذنا الشاعر الفيلسوف حادث خطير فى مصر قبل خمس سنوات وشيخنا مادى بحت لا يطمئن الى الاعتقاد بخلود الروح وقد صرح بعقيدته هذه فى كثير من قصائده الخالدة وقد نشر اثناء بقائه فى مصر قصيدة تحت عنوان « الدمع ينطق » احدث بها هزة فى الخواطر فهب بعض الازهريين وعلى رأسهم عالم ازهرى اسمه « الشيخ قطيط » وهاجموا الزهاوى نثراً ونظماً فانتصر له اديب مصر الفذ الاستاذ عباس محمود العقاد الملقى فى ظلمات السجون اليوم ولم تنطفئ لهيب هذه الفتنة الا بعد اياب الاستاذ الى بغداد وهاك بعض ابيات من القصيدة التى انكر فيها الروح انكاراً صريحاً قال :

وسائلة هل بعـــد ان يعبث البلى باجسادنا نحيا طويلا ونرزق
فقلت مجيباً اننى لست واثقـــاً بغير الذى حسى له يتحقـــق
وهيهـــات لا ترجى حياة لميت اليـــه البلى فى قبره يتـــطرق
تقولين يفنى الجسم والروح خالد فهل بخلود الروح عندك موثق

مقت الخيام الوجود وفضل العدم ووصف الدنيا بدار المحن والمصائب وقد اكثر من ذمها حتى تجاوز الحد والقصد وتشاؤم الخيام هو الذي زهد في عينه الدنيا وكره اليه الحياة، قال :

جون مردن تو مردن يكبار كى است
يكبار بر اين جه بيجارى است
خونى ونجاستى ومشتى رك وبوست
انكار بنود اين جه غمخوار كى است

لما كان موتك مرة واحدة . مت مرة واحدة. ماهذه المسكنة ؟ دم ونجاسة وصم من عظم وجلد فما هذه المحنة من اجل شئ تافه حقير .

قال : دنيا بمراد رانده كير اخرجه
وين نامه عمر خوانده كير اخرجه
كيرم بكام دل بماندى صد سال
صد سال دكر بمانده كير اخرجه

ما العقبى اذا بلغ المرء من الدنيا المراد . وما الغاية اذا قرأ الانسان كتاب اعماله . فلنفرض انك نلت مرامك مائة عام . وعش بعدها مائة اخرى فما هى النتيجة .

قال : دنيا نه مقام تست ، نه جاى نشست
فرزانه در اوخراب اولتير دمست

بر آتش غم زبـاده ابی میزن
زان بیش که در خاک روی باد بدست

ليست الدنيا بدار قرار ودار اقامة . افضل للحكيم فيها ان يكون ثملا وفانيا اسكب ماء الخمرة على نار الغموم قبل ان تذهب الى القبر صفر اليدين .

ولعل من اسباب كراهية الخيام للحياة انه كا يرى ان وضع الخليقة غير صحيح ولا مستند الى اسس جيدة وان نظام الحياة الحاضر لايجلب السعادة والسلام . وقد تمنى فى احدى رباعياته ان تكون له قدرة كقدرة الله على الفلك ليهدمه ويبنى فلكا جديداً يبلغ فيه الأحرار مرامهم بسهولة .

قال : گر برفلکم دست بدی چون یزدان
برداشتمی من این فلکرا زمیان
از نو فلکی دگر چنان ساختمی
کآزاده به کام دل رسیدی آسان

لو كنت مهيمناً على الفلك هيمنة خالق لقضيت على هذا الفلك ولخلقت فلكا غيره على ان يبلغ المرء فيه مراده بدون عناء .

تكريم الجسم بعد الموت

وكم عاتب الخيام الخزاف على جبله الطين باعتساف وكم اوصى الكواز بالرفق وكم صاح بالناس ان يخففوا الوطأ فى مشيهم على الارض قائلا ان الجام الذى تشربون به الخمر والكوز الذى تشربون منه الماء والتراب الذى تطأونه باقدامكم هو من طين احور اغن

وخد مليحة عذراء ورأس كيخسرو وكف افريدون وهو فى كل ذلك يقدم موعظة للمغرورين فى الحياة مبيناً لهم مصيرهم وهو فى اثناء ذلك ينعى جسده ويبكى جثمانه بحرقة وألم : قال

اين كوزه‌جو من عاشق زارى بودست
در بنـــد سر زلف نكارى بودست
اين دسته كه در كردن او ميبينى
دسيست كه در كردن يـارى بودست

كان هذا الكواز مثلى صباً قد علق بفرع مليحة هيفاء وهذه العروة التى تراها فى جيدها كانت يدأ تعتنق احدى الحسان

اين كوزه كران كه دست در كل دارند
عقل وخرد وهوش بران بكمارنـــد
بر كل لـكد وتبانجـــه تاجند زنند
خاك بدنست تـاجـه ميبندارنـــد

هؤلاء الكوازون الذين ايديهم فى الطين . منحصرة عقولهم وافكارهم فيه الى متى يركلون و يصفعون الطين ، هذه اجسام حتى م هذه الظنون؟

هان كوزه كرا بياى اكر هشيارى
تاجنـــد كنى بركل ادم خوارى
انكشت فريدون وكـف كيخسرو
برجرخ نهاده جه ميبنـــدارى

ايها الكواز ان كنت واعياً حتى م تهين طينة الانسان . ان الذى وضعته على الدوار هو انملة فريدون وكف كيخسرو ماذا تظن ؟

مذهبه الفلسفي

اما وقد فرغنا من البحث في موضوع فلسفته فلم يبق سوى ان نقول كلمتنا في مذهبه الفلسفي ونعني بذلك نوع عقيدته واتجاه نظره في الحياة او بالاحرى تحقيق الغاية التي كان يستهدفها والمقصد الذي كان يرمي اليه وهذا الموضوع يضطرنا الى ان نقف موقف الحكم للبت في عقيدته والانصاف يحملنا على التصريح بانه من الصعب جداً اصدار حكم عادل فيه اذ ليس هناك من ادلة قوية وقرائن قطعية تخولنا ان نحكم على حكيم مفكر سلخ اعواما طوالا في البحث والتفكير في شؤون الحياة غير صحائف صفراء بالية تعرضت لشخصه ورباعيات هي نفثات جاشت في صدره ففاض بها لسانه وقد طواه الردى فهرع الى احضان الابدية قبل تسعة عصور .

قبل تسعة عصور رقد الخيام في لحده في نيسابور ولم يترك بعد رحلته الابدية غير بضع رسائل ورباعيات تناولها الباحثون في حياته وادبه واتخذوها حجة عليه ومداراً للحكم على عقيدته ومذهبه الفلسفي .

ومنذ قرنين قام نفر من الفرنجة يبحثون في ادب الخيام وذهبوا في عقيدته مذاهب شتى ورجموه بالظنون فمن منكر لشخصه ومن مدع انه كان ماديا ملحدا شهوانيا مستهترا ومن زاعم انه كان صوفيا يتغنى بجمال الله ثملا بخمرة الحب الالهي المقدس وقائل انه كان مرتابا متشائماً الى غير ذلك من الاقوال والمدعيات وكل مالديهم من سند للحكم عليه فهو اقواله ورباعياته .

ولكن ماقيمة هذه الرباعيات فى اصدار الحكم عليه ، وليس لنا من العلم مايحقق ان الرباعيات المتداولة الان بنما بها هى لعمر الخيام. وانها نتاج قريحته وحدها وانها بريئة من شوائب الدس والانتحال

وقد بينا عند بحثنا فى رباعياته اختلاف العلماء الباحثين فى عددها «راجع ص٨٩ من الكتاب ».

ولنسلم جدلا بان لا اثر لاقل شبهة فى كون هذه الرباعيات كلها له من غير شائبة فيها للدس والانتحال فهل يصح ان تعتبر حجة على الخيام جريا على القاعدة العلمية القائلة « يؤخذ المرء باقراره » ؟!

الجواب على ذلك: كلا؟! واليك السبب

***

سمعت الشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى ينشد :

عبدتك لاادرى ولا احد درى	اسرك ام صدر الطبيعة اوسع
عبدت اسمك المحمود فى الليل والضحى	اذ الشمس تستخفى اذا الشمس تطلع
فايقنت ان الكون بالله قائم	وايقنت ان الله للكون مبدع
وانك معنى والخليقة لفظه	وانك نور والخليقة برقع

ثم اشتهر عنه بيتان وقد سمعناه يقرأهما متحذراً محتاطاً والبيتان لا يشم منهما الاعتقاد بالله والايمان به .

لما جهلت من الطبيعة سرها	واقمت نفسك فى مقام معلل

اثبت رباً تبتغي حـــلا به   المشكلات فكان اكبر مشكل

—•—

والان فباى القولين نأخذ وبأيهما نحتج على عقيدة الزهاوى وايمانه بالله وكيف نستطيع ان ندعى بان الزهاوى مؤمن او نقول انه غير مؤمن وبين ايدينا شعران متناقضان وباى شيء نتوسل لحل هذه للمعضلة انقول ان الزهاوى ملحد لايؤمن بالله وقد اراد ان يتقى الاخطار بالابيات المتقدمة ام نقول انه مؤمن ولكنه احب ان يتعمد الكفر لاسباب لانعلمها لاندرى؛ والعلم لم يتوصل الى الان الى قراءة ماتكنه الضمائر وتخفيه الصدور.

***

لنرجع الى البحث فى الرباعيات كى نرى ما اذا كان فى الامكان اعتبارها حجة عليه او لا؟

ان الشكوك التى تعترينا فى هذا الصدد فتصدنا عن اصدار الحكم عليه كثيرة واهمها انه لم يثبت الى الان بالبرهان القوى ان الرباعيات الموجودة فى ايدينا كلها لعمر الخيام ثم اننا نجهل الوقت الذى نظمها فيه

أنظمها فى عنفوان شبابه وللشباب بدوات ونزوات وهواجس وخطرات كثيرة ام فى عهد كهولته وفى الكهولة نضوج العقل وتوازن الفكر واستقامة الرأى ام فى دور شيخوخته وفى الشيخوخة ضعف الاعصاب وارتباك الخواطر ام نظمها خـــلال حياته جميعها . كل اولئك مجهول لدينا اذ ليس لكل رباعية تاريخ يعرفنا الزمن الذى نظمت فيه.

هبنا اننا عثرنا على رباعيات خطها الخيام بيراعته وهبنا اننا علمنا بانه قد

نظمها فى عهد نضج فيه عقله واستقام فيه رأيه وفكره وقوى فيه منطقه وتوازنت محاكمته فهل يصح ان نستدل ونحتج بها على نوع العقيدة او المذهب الذى يدين به الخيام ؟

الجواب على ذلك : كلا ...

ليس فى هذه الحياة شىء ثابت ، فالكون والانسان والحيوان والنبات والمذاهب والاراء والمعتقدات كل اولئك عرضة للتطور على الدوام والاستمرار وليس فى الكون حقيقة ثابتة الا الشك وقد اشتبه فى الاحكام التى يصدرها العقل واتهم بالضلال والشعور متهم اكثر منه لكونه عرضا للاندفاعات والخلاف موجود بين الناس حتى فى المحسوس .

اذاً فما قيمة التصريح والانسان عرضة فى كل وقت للتطور وما قيمة القول والمرء يتقلب بين عشية وضحاها وفق ميوله وعواطفه واهوائه وما قيمة الرأى اذا كان الرأى وليد انفعالات نفسية عاطفية وما قيمة العقيدة اذا كان ماتراه حسناً اراه قبيحاً وماتراه فضيلة اراه رذيلة وماتراه شرا اراه خيرا .؟! وليس فى ايدينا مقاييس وقواعد قطعية نستطيع ان نميز بين الحسن والقبح والفضيلة والرذيلة والشر والخير ولذلك يتعذر البت فى عقيدة اى كان فضلا عن الخيام المحاط بالغموض والابهام

وانا اتهيب من ان اسند اليه امراً وكل مالديه من الحجج هو بعض قطع من شعره ـ ر باعياته ـ خشية ان اسىء الى الرجل باسناد امر ليس له ضلع فيه

واذا كان لابد من ابداء الرأى فى هذا الصدد فاني احمل نفسى على ابداء رأيي وانا شاك مرتاب كل الارتياب فيما اقوله وازعمه واستغفر الخيام

فى لحده ! استغفر روحه من كل هفوة ومن كل ماانسبه اليه وهو برآء منه،

اقول : — ان الذى بدى لى من رباعيات الخيام — انه كان جم الشكوك كثير الارتياب، عظيم الاضطراب ، ذا روح قلقة محاطة بالهواجس والخطرات ونفس متألمة مكتنفة بالوساوس والخيالات وقد ظهرت شخصيته فى رباعياته بمظهر الشاك المرتاب القلق مما يدفع الباحث الى الاعتقاد بانه كان « لاادرياً » .

اللاادرية

واللاادرية مذهب فلسفى يقوم على الاعتراف بعجز العقل البشرى عن ادراك المجردات وفهم جوهرها وخواصها وبعجز العلم اللدنى عن الوصول الى فهم هذه المجردات وكان الخيام كما قد ظهر لى من رباعياته لاادرياً يدين بهذا المذهب وقد اتهم العقل والعلم فى كثير من رباعياته بعجزهما عن ادراك سر الحياة ومن ذلك قوله :

آنانكه به كار عقل در ميكوشند
هيهات كه جمله كاو نرميدوشند
آن به كه لباس ابلهى در پوشند
كامروز به عقل تره مي نفروشند

اولئك الذين همهم الجهد من طريق العقل هيهات انهم يحلبون ثور الاجدر بهم ان يتقمصوا البلاهة اذ لايشترى اليوم بالعقل باقة من حشيش

آنانکه محیط فضل وآداب شدند
واز جمع کمال شمع اصحاب شدند
ره زین شب تاریك نبردند برون
گفتند فسانه ودرخواب شدند

اولئك الذين احاطوا بالفضل والادب ومن جمع الكمالات اصبحوا شموع المجالس والاصحاب لم يهتدوا الى الطريق فى هذا الليل الدامس وانما فاهوا ببعض الاساطير وناموا.

دل سر حيات اگر کماهی دانست
در مرك هم اسرار الهی دانست
امروز که باخودی ندانستی هیچ
فردا که زخود روی چه خواهی دانست

لو عرف القلب سر الحياة كما هى لعرف ايضاً فى الموت الاسرار الالهية انت لاتعلم شيئاً وانت مع نفسك فماذا تعلم غداً اذا تجردت عنها!

قومی متفکرند در مذهب ودین
جمعی متحیرند درشك ویقین
ناگاه منادی در آید زکمین
کای بیخبران راه نه آنست ونه این

قوم يتفكرون فى المذهب والدين ، وجماعة حائرة بين الشك واليقين واذا بالمنادى يهتف بهم من عالم الغيب ايها الغافلون الطريق لاهذا ولا ذاك .

يظهر مما قدمنا ان عمر الخيام كان « لاادرياً » كما نطقت بذلك رباعياته وانه قد اعترف بعجز العقل البشرى والعلم اللدنى عن ادراك المجردات غير ان لاأدريته القت فى نفسه اثراً سيئاً بعث فيه روح التشاؤم وجعله ينظر الى الحياة نظر قانط و بغض الى قلبه الدنيا وما فيها فتمنى العدم وآثره على الوجود وما تمنى العدم والفناء الا لأنه كان يخافهما.

***

كلنا نشعر بدافع الغريزة باننا مفطورون على حب البقاء وحب البقاء يدفعنا الى ان نحب الحياة . لما كان « الموت » آفة الحياة فكلنا نشعر باننا نخاف الموت وننفر منه واذا ذكر احدنا الموت ارتعدت فرائصه واصابته هزة عنيفة فى شعوره ووجدانه فلا أدرية الخيام وجهله الخليقة والحياة والعدم وخوفه من « الموت ــ الفناء » كل ذلك ولد فيه التشاؤم

اذاً فالتشاؤم هو وليد حب الحياة والبقاء ، لهذا ترى الخيام يتمنى لو انه يعود مرة اخرى الى الحياة ولو بعد مآت الالوف من السنين كما يعود العشب .

ايكاش كه جاى آرميدن بودى
يااين ره دوررا رسيدن بودى
كاش ازپي صد هزار سال از دل خاك
جون سبزه اميد بر دميدن بودى

ياحبذا لو كان للراحة محل وياحبذا لو بلغنا آخر هذا الطريق الطويل وياحبذا لو كان هناك امل فى العودة الى الحياة بعد مات الالوف من السنين كما يعود العشب من قلب التراب

التشاؤم

والتشاؤم مذهب قديم ظهر فى ديانة البوذيين ويقوم على ان العقل يرتأى ان كل شيء فى الدنيا سيء ورديء بل اردأ ما يمكن ان يكون وان مجموعة الشرور فى الحياة تتعدى مجموعة الخيرات وقد شملت هذا العقيدة الحياة كلها وكان اساس موضوعها صلة الانسان بالخير والشر وعلاقته باللذة والالم (١) على انه يجب التفريق بين المتشائم و بين المعتقد بفلسفة التشاؤم فالخيام لم يكن متشائما ماقتاً للحياة كابى العلاء المعرى الذى انزوى فى عقر داره وسمى نفسه « رهين المحبسين » ولا اشك فى ان الخيام قد متع نفسه بالملذات ولم يقصر فى اقتناص ساعات السرور لكنى اعتقد انه كان معتقداً بفلسفة التشاؤم والفرق بين المعرى والخيام فى هذا المطلب هو ان المعرى كان متشائما بنفسه ومعتقداً بفلسفة التشاؤم ايضا فتسميته لنفسه « رهين المحبسين » وانزواءه عن الناس دليل على انه يحمل روحا متألمة متشائمة وقوله بان الشر طبع وان جذوره متأصلة فى قلوب الناس دليل على اعتقاده بفلسفة التشاؤم لكن تشاؤم الخيام يختلف عن ذلك لان الخيام اندفع الى التشاؤم بسبب « لاادريته » .

---

(١) ونقيض مذهب التشاؤم مذهب التفاؤل الذى نشأ على يد الحكيمين اليونانيين سقراط وافلاطون و يقوم على ان الحياة جميلة فى جميع وجوهها او على الاقل ان الخير فى هذه الحياة غالب على الشر وقد نظمت الامور بحيث ان الانسان يرى فى هذه الحياة سعادة اكثر مما يرى فيها شقاء .

وهناك من يرى ان التشاؤم والمعتقد بفلسفة التشاؤم مريض اصيب بامراض عصبية روحية عقلية او لم يكن له نصيب من التهذيب ومن التربية الصحيحة المستقيمة او انه سليل ابوين احدهما مصاب بمرض ارثي والتشاؤم ينشأ ويتفشى في المناطق الحارة الموبوءة والمفعمة بالاساطير والخرافات (١)

ولعل الفقر والمرض من اهم الاسباب والعوامل في تكوين التشاؤم وفيما يلي نثبت بعض رباعيات تفصح عن تشاؤمه قال :

مائيم درلو فتاده جون مرغ بدام
دلخستهٔ روزكار وآشفته مدام
سركشته درين دائرهٔ بي در وبام
ناآمده برمراد ونارفته بكام

وقعنا في هذه الحياة وقوع الطير في الفخ مفؤدين من الدهر طائشين على الدوام تائهين في هذه الدائرة التي لاسطح لها ولا باب لاجئنا باختيارنا ولا ذهبنا بارادتنا !

قال :

جون حاصل آدمي درابن شورستان
جز خوردن غصه نيست ياكندن جان

---

(١) رأي المربي الكبير ساطع بك الحصري

خرم دل انکه از جهان بیرون شد
آسوده کسی که خود نیامد بجهان

لما لم يكن محصول الانسان فى هذه الحياة ذات الفتن الا الالم وعذاب النفس فطوبى لمن خرج منها او لم يجيء اليها !

روزى كه دو مهلتست ميخور مى ناب
كاين عمر دو روزه بر نگردد درياب
داني كه جهـــان رو بخرابى دارد
تو نيز شب وروز همى باش خراب

اشرب الخمرة الصافية مرتين كل يوم فان هذا العمر الذى هو عبارة عن يومين لا يعود اليك مرة اخرى انت تعلم ان مصير الكون آيل الى الخراب فكن انت خراباً ليلا ونهاراً.

* * *

ولما رأى الخيام ان عقله قاصر عن ادراك سر الحياة وان عمر الانسان قصير وعرضة للالام والشرور ارتأى ان خير وسيلة تنقذ نفسه من هذه الهواجس والخطرات الاليمة والشكوك المضنية ان ينتهز الفرص وان يتمتع ما استطاع بملذات الحياة وان لا يحزن لما يلاقيه فى غد وان لا يتحسر على ما خسره بالامس وان يقطع صلته من الماضى والمستقبل وان يهتم بالساعة التى هو فيها.

وصفوة القول ان شكوك الخيام ويأسه وآلامه دفعته الى الاخذ

بالفلسفة السلبية وهى اشد خطراً من غيرها على البشرية

قال:

روزى كه كذشته است ازو يادمكن
فردا كه نيامده است فرياد مكن
برنامده وكذشته فرياد منه
حالى خوش باش وعمر برباد مكن

لاتذكر اليوم الذى مضى ولا تجزع من غد لم يأت بعد ولا تفزع بما لم يات وبما مضى طب نفساً ولا تنغص عيشك

قال:

مى نوش كه عمر جا ودانى اين است
خود خاصيت دور جهانى اين است
هنكام كل ومل است و ياران سرمست
خوش باش دمي كه زندكاني اين است

اشرب الخمرة لانها الحياة الدائمة هى وحدهامزية الدنيا. الوقت وقت ورد وطرب والاخلاء سكارى اسعد لحظة هذه هى الحياة

قال: اين عقل كه در راه سعادت پويد
روزى صد بار خود ترا ميكويد

در یاب تو این یکدمه فرصت که نه
آن تره که بد روند ودیگر روید

هذا العقل الذی یطوی طریق السعادة یقول لك فی الیوم مایة مرة افق انت فی هذه الفرصة لست كالنبات الذی كلما حصدوه نبت

هذا هو رأیی فی الخیام ومنه یفهم أنه كان — علی ما اظن — لا ادریا متشائماً سلبیاً ولست ادری اكان الخیام كما بینت او لم یكن علی انی لا ازال شاكا مرتابا فیما قلته وانی اعود فاستغفر روح الخیام اذا كنت قدهفوت او اسندت الیه مالیس فیه ٠



نظـــــــــراته

ابن الشبلي البغدادي

ومن الذين يضارعون الخيام فى التفكير و يشابهونه فى الاحساس والشعور ويشاركونه فى التذمر والشك حذو القذة بالقذة حكيمان عربيان هما الشاعران محمد بن الحسن بن عبدالله الشبلى ابو على الشاعر الحكيم البغدادى وابو العلاء المعرى الشاعر الفيلسوف الكبير

وكان ابن الشبلى معاصراً لعمر الخيام ، وقد ولد وتعلم ومات فى بغداد الا ان المؤرخين لم يكتبوا و باللاسف ترجمة مفصلة له . وقدبذلت جهداً عظيما لاقف على ترجمته فلم اظفر بطائل وكل ماورد عنه فى كتب المترجمين مثل ابن ابى اصيبعة وابن خلكان انه توفى فى محرم سنة ثلاث وسبعين واربعمائة ٤٧٣ هـ ودفن بباب حرب وكان شاعراً مجيداً وله ديوان شعر وكان ظريفاً نديماً مطبوعا.

وقد وجدت لابن الشبلى شعرا عربيا عليه مسحة من روح الخيام وتفكيره ونفحة من شعره وفيه نفس التذمر والشك والتشاؤم الموجود فى رباعيات الخيام فكان ابن الشبلى ترجم الرباعيات او كأن الخيام ترجم شعر ابن الشبلى وكأنهما شربا هذه المعانى من معين واحد واخذا هذه الاراء من منهل واحد .

وفيما يلى ندرج بعض قطع شعرية لابن الشبلى تدل على وجود مقاربة ومشابهة فى الشعور والتفكير بين الحكيمين الفارسى والعربى.

غاية الحزن والسرور انقضاء ... مالحى من بعد ميت بقاء
لالبيد باربد مات حزنا ... وسلت عن شقيقها الخنساء
مثل مافى التراب يبلى الفتى فالحـ ... ـزن يبلى من بعده والبكاء
غيران الاموات مروا وابقوا ... غصصا لاتسيغها الاحياء
انما نحن بين ظفر وناب ... من خطوب اسودهن ضراء
نتمنى وفى المنى قصر العمـ ... ـر فنغدو كما تسر نساء
صحة المرء للسقام طريق ... وطريق الفناء هذا البقاء
بالذى نقتدى نموت ونحيا ... اقتل الداء للنفوس الدواء
مالقينا من غدر دنيا فلا كا ... نت ولا كان اخذها والعطاء
صلف تحت راعد وسراب ... كرعت فيه مومس خرقاء
راجع جودها عليها فمهما ... تهب الصبح يسترد المساء
ليت شعرى حلما تمر بنا الايام ام ليس تعقل الاشياء
من فساد يكون فى عالم الكو ... ن فما للنفوس منه اتقاء
وقليلا مايصحب المهجة الجسـ ... ـم ففيم الشقاء وفيم العناء
قبح الله لذة لشقانا ... نالها الامهات والاباء
نحن لولا الوجود لم نألم الفقـ ... ـد فايجادنا علينا بلاء

* * *

وله :

بربك ايها الفلك المدار ... أقصد ذا المسير ام اضطرار
مدارك قل لنا فى اى شىء ... ففى افهامنا عنك انبهار

فطوق في المجرة ام لآل ... هلالك ام يد فيها سوار
وفيك الشمس رافعة شعاعا ... باجنحة قوادمها قصار
ودنيا كلما وضعت جنيناً ... عراه من نوائبها طوار
هي العشراء ما خبطات هشيم ... هي العجماء ما جرحت جبار
فكم من بعده عفر وعقر ... يضير وما بلا ليل نهار
لقد بلغ العدو بنا مناه ... وحل بآدم وبنا الصغار
وتهنا ضائعين كقوم موسى ... ولا عجل اضل ولا خوار
فيالك أكلة ما زال فيها ... علينا نقمة وعليه عار
نعاقب في الظهور وما ولدنا ... ويذبح في حشا الام الحوار
ونخرج كارهين كما دخلنا ... خروج الضب اخرجه الوجار
وكانت انعما لو ان كونا ... نشاور قبله او نستشار
ولا ارض عصته ولا سماء ... ففيم يغول انجمها انكدار

* * *

وله:

وكأنما الانسان فيه غيرة ... متلوناً والحسن فيه معار
متصرف وله القضاء مصرف ... ومكلف وكانه مختار
طوراً به تصبو الحظوظ وتارة ... حظ نحيل صوابه الاقدار
تعمى بصيرته وتبصر بعدما ... لا يسترد الفائت استبصار
فتراه يؤخذ قلبه من صدره ... ويرد فيه وقد جرى المقدار
فيظل يضرب بالملامة نفسه ... ندماً اذا لعبت به الافكار
لا يعرف التفريط في ايراده ... حتى يبينه له الاصدار

كنت فى اثناء درسى لرباعيات الخيام اشعر بوجود نسب متين وقرابة فكرية بين عمر الخيام وابي العلاء المعرى وكنت كلما امعنت النظر فى اقوال الخيام ازددت يقيناً بوجود شبه عظيم بين هذين الفذين ، ولو ان توأمين نشآ فى حضن أب وام وتعلما فى مدرسة واحدة وتربيا فى بيئة واحدة وطرأ عليهما من شؤون الحياة فى الصغر والكبر ما يكونان به شريكين فتماثلت اخلاقهما وطباعهما وتقاربت اراؤهما ونظراتهما فى الكون ، لقلنا ان المعرى والخيام اخوان شقيقان وفرعان من غصن واحد فكان المشيئة الالهية قد قدتهما من اديم واحد وجبلت طينتهما فى آنية واحدة وفى آن واحد وحبتهما طبعين وفكرين متقاربين متشابهين

* * *

ان من غريب الاتفاق ان يكون الحكيمان متماثلين فى الاخلاق فكلاهما كان منقبض النفس ضيق الصدر منزوياً عن الناس زاهداً فيما بايديهم ماقتاً لهم مستهزءاً بهم مستخفاً بعقائدهم ومبادئهم وكلاهما مبغض للدنيا متطال لامور غامضة اجل شأناً واعظم قدراً من حطامها وكلاهما متطلع تائق الى اسرار الحياة معنى بها ، وكلاهما ابي النفس صادق القول مطلق الرأى جرئ على البوح بمذهبه ، الا فترات كانا كلاهما يراعى فيها خواطر الناس خشية الاذى والضرر وكلاهما فقير لم يملك شيئاً من حطام الدنيا ، ولو ارادا لنالا وفراً وذهباً وفضة . وكلاهما عاش عزباً لم

يتزوج وكلاهما نشأ في عصر حافل بالعلوم والمعارف فائض بالاراء الفلسفية ، اذ في عصرهما ظهر مذهب الاسماعيلية والباطنية وفي عصرهما اجتمع اخوان الصفاء خفية وابرزوا رسائلهم الشهيرة . واقوال الفيلسوفين على تقارب في العلوم والمعارف . اما تآليفهما فقليلة ايضاً وأما السياسة في زمانهما فمتشابهة فقد كانت نار الفتنة مشتعلة في سورية في عصر المعرى . واما فارس فقد كانت رحى الحرب فيها دائرة كل المدة التي عاش فيها الخيام فانه نشأ في اكناف الدولة السلجوقية التركية التي قامت مقام الدولة الغزنوية ولم تقم الا بالسيف وكان الخيام يشهد ذلك وقد اتسم سلطان هذه الحكومة في ايام ملكشاه ٤٦٥—٤٨٥ الذي كان يجل عمر الخيام اجلالا عظيما حتى عهد اليه بناء الرصد وترتيب الزيج . وفي عهده اسس زميله وشريكه في الدرس (حسن الصباح) مذهب الباطنية وفي ايامه ارتكب الباطنية المنكرات والموبقات وفيها اغتيل زميله وشريكه الاخر (نظام الملك) بطعنة باطني .

ولادته ووفاته

تضاربت آراء الباحثين في السنة التي ولد فيها عمر الخيام كما اختلفت في السنة التي توفي بها فالمؤلفون الغربيون يرجحون ان وفاته كانت سنة ٥١٧ هجرية وهو القول المشهور وقد ذكرت اقوال عديدة في وفاته وكلها بين سنة ٥٠٨ — و ٥٣٠ وعلى كل حال فانه توفي في اوائل القرن السادس للهجرة وذكر عن النظام — وهو تلميذ خيام — انه زار قبره في نيسابور سنة ٥٣٠ وقيل له ان الخيام توفي منذ سنوات

اتهامهما بالزندقة

كان كل واحد من الشيخين موصوماً بضعف العقيدة الاسلامية متهما بالزندقة وكانت لفظة « الزنديق » في عصرهما تطلق على الاحرار المفكرين بل كانت الزندقة صفة من يخالف ما كان عليه الجمهور وقد اودت هذه التهمة بحياة الكثيرين من الفضلاء امثال صالح بن عبدالقدوس وبشار بن برد ومنصور الحلاج والسهروردي قتيل حلب وغيرهم .

اما ابو العلاء المعري فقد ذكروا انه دخل عليه ذات يوم رجل من قراء المعرة يعرف بابي القاسم فطلب منه بعض الناس ان يقرأ بعضاً من الآي الكريم فقرأ « ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة أعمى واضل سبيلا » يريد بذلك اهانة الشيخ والتعريض به ، وقد تألم ابو العلاء من ذلك الوقح فهجاه ببيتين .

ودخل عليه الوزير المشهور بالمنازي فسأله ما هذا الذي يرويه عنك الناس ؟ قال : قوم حسدوني فكذبوا علي وقد تركت لهم الدنيا قال المنازي : « والاخرة » فقال ابو العلاء « والاخرة ؟ » ثم اطرق ولم يكلمه حتى قام عنه المنازي .

وزاره بعض القضاة فجرى بينهما حديث فقال له ابو العلاء لم اهج احداً ، قال صدقت الا الانبياء وقال فتغير لونه .

وقد وصم عمر الخيام بما وصم به المعري فقد قال فيه « شيخ نجم الدين الرازي » في كتابه « مرصاد العباد » انه ممن يدين بدين الفلاسفة الدهريين

الطبيعيين وقد احتج نجم الدين على زندقة الخيام بالرباعيتين التاليتين :

در دائرهٔ كامدن ورفتن ماست
آنرانه بدايت نه نهايت بيداست
كس مي نزند دمي درين عالم راست
كاين آمدن ازكجا و رفتن بكجاست

لا بدأ ولا انتهاء لهذه الدائرة التى جئنا منها لا احد يستطيع ان يعلم من أين هذا المجىء والى اين هذا الذهاب .

* * *

دارنده كه تركيب طبائع آراست
باز ازجه سبب فكندش اندركم وكاست
كرز آنكه بد آمد اين صور عيب كراست
ورنيك امد خرابي از بهرجه خواست

لاى سبب يهدم الله الحياة والانسان بعد ان كان هو الذى ركب الطبائع فاذا جاءت رديئة فالعاب يعود عليه واذا كانت جيدة فلماذا يخربها ؟

* * *

وقد ايد هـذه الرواية (القفطى) فى كتابه تأريخ الحكماء بقوله : (ولما قدح اهل زمانه فى دينه واظهروا ما اسره من مكنونه خشى على دمه وامسك قلمه وحج متاقاة لا تقية وابدى اسراراً من السرار غير نقية . الخ) وهذا القول يدل على ان الناس كانوا يناوئونه ويتناوشونه بالكلام القارص . وفيما يلى نثبت رباعيتين لعمر الخيام فى الرد عليهم قال :

ای مفتی شهر از تو پرکار تریم
با این همه مستی ز تو هشیار تریم
ما خون رزان خوریم وتو خون کسان
انصاف بده کدام خونخوار تریم

يا مفتي المدينة انا احسن منك عملا ومع كثرة سكرنا فانا اصحى منك انا اشرب دم العنقود وانت تشرب دم الناس فاينا شراب الدماء ؟

شیخی بزن فاحشه گفتا مستی
هر لحظه بدام دیگری پا بستی
گفتا شیخا هر آنچه گوئی هستم
اما تو چنانچه مینمائی هستی

قال شيخ معمم لفاحشة انت سكرى . وفي كل ساعة مربوطة بخليل فقالت له الفاحشة يا شيخ ان الذي قلته صحيح لكنك أأنت انت كما تظهر للناس ؟

اعتقادهما بالجبر

كان كلا الحكيمين معتقداً بمذهب الجبر دائناً به . فقد نص ابو العلاء المعري في مقدمة اللزوميات على انه لم يؤلف هذا الكتاب مختاراً وانما الفه بقضاء خفي لا يعرف كنهه وحقيقته . وقد ذكر الجبر في اللزوميات مراراً كثيرة مثبتاً اياه ومناضلا عنه فمن قوله فيه :

خرجت الى ذى الدار كرهاً ورحلتى الى غيرها بالرغم والله شاهد
فهل انا فيما بين ذلك مجبر على عمل ام مستطيع لجاهد

* * *

ما باختيارى ميلادى ولا هرمى ولا حياتى فهل لى بعد تخيير

* * *

جئنا على كره ونرحل رغماً ولعلنا ما بين ذلك نجبر

* * *

وردت الى دار المصائب مجبراً واصبحت فيها ليس يعجبنى النقل

* * *

ولم نحلل بدنيانا اختياراً ولكن جاء ذاك على اضطرار

اما عمر الخيام فكان رأيه صريحاً فى الجبر بصورة لا تحتمل الشك ولا التأويل فقد سئل فى عصره عن ثلاث مسائل (احداها) كيف صدر ملازم التضاد والشر عن الواجب مع البت بانه عز وجل يتعالى عن ان يكون مصدر شر او ظلم وجور ومع القول بامتناع تعدد الواجب (الثانية) اى الفريقين اقرب الى الصواب وقوله اشبه بالتحقيق : الجبرية القائلون بالجبر ونفى الاختيار عن الممكن . ام القدرية الناسبون الى العبد خلق افعاله (الثالثة) ان قوماً يقولون بان البقاء من صفات المعانى اى انه صفة زائدة على ذات الباقى فى الخارج فكيف يصح قولهم وما سبيل المناقشه معهم ؟

فاجاب عمر الخيام بكلام طويل حال فيه هذه الابحاث تحليلا دقيقاً

وكان جوابه على السؤال الثالث صريحاً في الجبر فقد قال — واما سؤاله عن اي الفريقين اقرب الى الصواب فلعل الجبري اقرب الى الحق في بادئ الرأي وظاهر النظر من غير ان يتلجلج في هــذيانه ويتغلغل في خرفاته فانه حينئذ يبعد عن الحق جداً .

اما رباعيـــاته فقد دلت على اعتقاده بالجبر قال :

آورد باضطرارم اول بوجود
جز حيرتم ازجهان چيزى نفزود
رفتيم باكراه وندانيم چه بود
زين آمدن وماندن ورفتن مقصود

جاء بي مضطراً الى الوجود ولم ازدد غير الحيرة في هذه الحياة . ذهبنا مكرهين . ولم نعلم المقصود من مجيئنا و بقائنا وذهابنا .

برر هگذرم هزار جاد ام نهى
گوئى كه بگيرمت اگر گام نهى
يك ذره زحكم توجهان خالى نيست
حكمم تركنى رعاصيم نام نهى

تضع الاشراك يا الهي في الف مكان من سبيلي وتقول انك اذا وطأتها فانا نهلكك . لا تخلو ذرة في العالم من حكمك ، انت تحكم وتقدر عليّ وانت تسميني بالعاصي ؟

كان قدماء المصريين يعتقدون بعودة الروح الى الجسد فى الدنيا ، وكان فلاسفة اليونان الالهيون ولاسيما اتباع افلاطون يعتقدون بخلود الروح الا انهم ما كانوا يؤمنون ببعث الارواح كما نصت عليه الشرائع المنزلة وكانوا ينكرون حشر الاجساد التى لا تلبث ان يتطرق اليها البلى بعد دفنها ، وزعموا ان الروح تنتقل بعد خروجها من الجسد الى عالم ملكوتى قدسى عقلى وهناك تحي حياة اما شقية واما سعيدة لقاء ما اتته فى الحياة من آثام او اعمال مبرورة اما ارباب الديانات فرأيهم صريح فى البعث والمسلمون يعتقدرن بخلود الارواح وحشر الاجساد ومن ينكر البعث بعد الموت يكفر وعقابه القتل ، والقرآن طافح بالايات التى يستدل بها المسلمون على البعث وللمفسرين من علماء المسلمين اقوال كثيرة واراء عجيبة فى هذا البحث .

وقد انعمنا النظر فى رباعيات عمر الخيام فوجدناه منكراً للبعث انكاراً صريحاً مسفهاً رأى القائلين بحشر الاجساد ومستهزئاً باقوالهم قال :

زآن بيش كه غمهات شبيخون آرند
فرماى كه تاباده‌ٔ گلگون آرند
تو زرنه‌ٔ اى غافل نادان كه ترا
درخاك نهند وباز بيرون آرند

صاح قبل ان نهجم عليك غم و. لك على غرة مر ليأتوك بالخمرة اللازوردية ايها الغافل الجاهل انت لست ذهبا حتى اذا واروك التراب اخرجوك مرة أخرى .

ما لعبتكا نيم وفلك لعبتباز
از روى حقيقتي نه از روى مجاز
بازيچه لنان بديم بر نطع وجود
رفتيم بصندوق عدم يك يك باز

نحن ألاعيب اطفال والفلك هو اللاعب بنا وذلك امر حقيقي غير مجازي لقد لعبنا مدة في ساحة الوجود ثم ذهبنا الى صندوق العدم واحداً اثر واحد .

فقوله « انت لست ذهبـــــاً حتى اذا واروك التراب اخرجوك مرة أخرى ، وقد ذهبنا الى صندوق العدم واحداً بعد واحد » دليل على انه لم يكن معتقداً بالحشر كما يعتقد به المسلمون .

امـا ابو العلاء المعرى فقـد اضطرب رأيه في البعث اضطراباً عظيما فـكان تارة مؤمناً به وتارة منكراً له فمن قوله الذى أثبت فيه البعث :

واني لارجو منه يوم تجاوز فيأمر بى ذات اليمين الى اليسرى
اذا را كب نالت به الشأو ناقة فما أينقى الا الظوالع والحسرى
وار أنف بعد الموت مما يريبنى فما حظى الادنى والايدى الخسرى

ومن قوله الذى انـكر فيه البعث انكاراً صريحاً :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البسيطة ان يبكوا
تحطمنا الايام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعاد له سبك

وقوله :

اما الجسوم فللتراب مالها وعييت بالارواح انى تسلك

على انى ارتأى انه كان منكراً للبعث غير معتقد بحشر الاجسام وخلود الارواح، واما الابيات التى نظمها فى اثبات البعث فقد نظمها تقية وخوفاً من الناس وسخط الجمهور عليه .

اخذهما بالتقية

وكان ابو العلاء المعرى يرى التقية ومداراة الناس ويحتاط فى اظهار ارائه و يعول على المجاز كثيراً اذ كان يخشى الاذى والاضطهاد وفى لزومياته شعر كثير نستدل به على ذلك فمن قوله :

اصدق الى ان ترى فى الصدق مهلكة وبعد ذلك فاكذب قاعداً وقم

وقوله :

فاصمت فان كلام المرء يهلكه وان نطقت فافصاح وايجاز

وقوله :

اهوى الحياة وحسبى من معايبها انى اعيش بتمويه وتدليس
اكتم حديثك لا يشعر به احد من رهط جبريل اومن رهط ابليس

فهذه الابيات تدل على ان ابا العلاء كان سيء الظن بالناس كثير الحذر منهم وقد اتخذ (التقية) جنة له .

وقد حذا عمر الخيام حذو ابي العلاء المعري وسلك طريقه في دفع الاذى والضرر عن نفسه فقد ذكر « الوزير جمال الدين ابي الحسن علي بن القاضي الاشرف يوسف القفطي » ما نصه : « ولما قدح اهل زمانه في دينه واظهروا ما أسره من مكنونه خشي على دمه وأمسك عن عنان لسانه وقلمه وحج متاقاة لا تقية وابدى اسراراً من السرار غير نقية » .

ومما يؤيد قول القفطي الصراحة البارزة في بعض رباعياته التي يصح الاستدلال بها على حذره وتكتمه وعدم افشاء ما يكنه ضميره خوف البله من صغار العقول وضعفاء الحلوم .

باهر بد ونيك راز نتوانم گفت — كوته سخنم دراز نتوانم گفت

حالي درام كه شرح نتوانم داد — رازي دارم كه باز نتوانم گفت

لا استطيع ان ابوح بسري لكل طيب وخبيث انا قصير الكلام لا استطيع ان اطيله لي حال لا استطيع ان اشرحها وسر لا استطيع ان اقوله .

ولا سيما ان عصر الخيام كان طافحاً بجماعات من المتصوفة العمى الابصار والقلوب وزمر عظيمة من المتزهدين الناسكين الذين اعمى التعصب الممقوت افئدتهم واطفأ سراج عقولهم فكان من حقه ان يتكتم وان لا يبوح بآرائه اقتداء بزميله شيخ المعرة خشية هؤلاء الكذابين الذين كانوا يلعبون بعقول العوام كما يشاؤون ويقودونهم كما يرغبون .

وقد اتعظ الشيخان بالفجائع والرزايا التي انزلت بزملائهم وانسبائهم

فى الرأى من الاحرار الذين جبلوا على الصراحة وفطروا على البوح بما تجيش به صدورهم فذاقوا من اجل ذلك عذاباً اليما .

والنطع الذى اضجع عليه صالح بن عبدالقدوس ، والسياط التى الهبت جسدالحكيم الشهيد بشار بن برد الشاعر ، والجذع الذى صلب عليه الصوفى الشهير ابو منصور الحلاج ، والسيف الذى بتر عنق الفيلسوف السهروردى وغيرهم من الفطاحل الافذاذ الى غيرذلك من الفجائع والوقائع الأليمة — كانت عبراً ودروساً .

التناسخ

التناسخ مذهب قديم عرف بين الهنود وشاع بين عرب الجاهلية فقد زعموا ان الانسان اذا مات او قتل اجتمع دم الدماغ واجزاء بنيته وانتصب هامة فيرجع الى رأس القبر على رأس كل مائة سنة . وقد دمغهم الرسول (ص) ورد زعمهم فقال (لاهامة ولا عدوى ولا صفر) ثم كثر علم العرب بهذا المذهب فى صدر الاسلام وذلك منذ اواخر القرن الاول وكانت بعض الفرق من غلاة الشيعة تدين به كاصحاب عبدالله بن سبا (١) الذى قال لعلى عليه السلام (أنت أنت) اى انت الاله فنفاه الى المدائن فادعى بتناسخ الجزء الالهى فى الائمة بعد على . ومثل هؤلاء اصحاب ابى كامل (٢) الذى كان يدعى ان الامامة نور يتناسخ متنقلا من

(١) وتسمى هذه الفرقة السبئية .(٢) وتسمى هذه الفرقة الكاملية راجع ١٢٢ و١٢٢ من كتاب الملل والنحل .

شخص الى شخص وذلك النور يكون فى شخص نبوة وفى شخص يكون امامة وربما تناسخت الامامة فصارت نبوة وقال بتناسخ الارواح وقت الموت . والغلاة على اصنافهم متفقون على التناسخ والحلول ولقد كان التناسخ مقالة لفرقة فى كل امة تلقوها من المجوس المزدكية والهند البرهمية ومن الفلاسفة والصابئة . ومذهبهم ان الله تعالى قائم بكل مكان ناطق بكل لسان ظاهر بشخص من اشخاص البشر وذلك هو معنى الحلول وقد يكون الحلول بجزء كاشراق الشمس فى كوة او كاشراقها على البلور واما الحلول بالكل فهو كظهور ملك بشخص او كشيطان بحيوان ومراتب التناسخ اربع النسخ والمسخ والفسخ والرسخ .

وقد اتخذ بعض الدعاة هذا المذهب وسيلة لنشر الدعاية لآل البيت ومن اولئك الشاعر السيد الحميرى الذى اعماه التعصب فاخرجه عن طريق الصواب وليس بين المطلعين على الاداب العربية من ينكر ما كان من ترهات الحميرى وسخافاته .

وقد عثر المستشرق (Zokovski) زوقوفسكى فى تاريخ الالفى على حكاية استدل بها بعض الباحثين على رسوخ عقيدة التناسخ فى نفس عمر الخيام فقد ذكروا انه كان أستاذاً فى مدرسة (نيسابور) وكانت المدرسة فى حاجة الى ترميم واصلاح فكان سرب من الحمير يحمل الاجر الى المدرسة وبينما كان عمر الخيام يتمشى مع جماعة من التلاميذ شاهد حماراً وقف عند باب المدرسة ولم يشأ الدخول اليها فجاء عمر الخيام وتقرب من الحمار وقرأ فى أذنه هذه الرباعية :

ای رفته وباز آمده بل هم گشته
نامت زمیان نامها گم گشته
ناخن همه جمع آمـــده وسم گشته
ریش از بس کون در آمده دم گشته

یا ایها الذی ذهب وعاد مرة أخری وصار كالانعام قد ضاع اسمك بين الاسماء لقد اجتمعت اضافيرك وصارت ظلفاً وظهرت لحيتك فى عجزك فصارت ذيلا .

فدخل الحمار المدرسة فسأله تلاميذه عن سر ذلك فاجابهم ان الروح التى حلت فى جسد هذا الحمار كانت روح تلميذ عاش وتعلم فيها لذلك لم يرغب الحمار فى الدخول اليها غير انه لما شـــاهد اصحابه الاقدمين رضى بالدخول .

والذى ينعم النظر فى هذه الحكاية المضحكة لا يتردد طويلا ان يعتقد انها من القصص الملفقة المصطنعة وانها من نوع الاحاديث التى يختلقها العوام لان هذا الرجل الذى دلت حياته وآراؤه الفلسفية ومؤلفاته الجليلة ومكانته العالية بين ملوك عصره — على رجاحة عقله وسعة علمه لا يمكن ان يسف هذا الاسفاف وان يتفوه بهذا الرأى المبتذل المأفون هذا من جهة ومن جهة أخرى ان رباعياته التى اشتهر بها والتى اودعها آراءه الفلسفية تكاد تسوق الباحث الى الاعتقاد بالحاده ونكرانه البعث والحشر والنشر ويقينه بالعدم المحض . لذلك يغلب على الظن براءة هذا الحكيم الكامل من هذه العقيدة .

وقد كان ابو العلاء المعرى ممن ذم هذا الرأى وهزىء به وشنعه فى رسالة الغفران وفى لزومياته فقال :

يقولون ان الجسم ينقل روحه الى غيره حتى يهذبه النقل
فلا تقبلن ما يخبرونك ضلة اذا لم يؤيد ما اتوك به العقل

تشاؤمهما

ان سيرة المعرى والخيام وشعرهما وارائهما فى الكون تدل على انهما كانا (متشائمين) متألمين ماقتين للحياة لما فيها من شرور وآثام معتقدين ان كل ما فيها خطب وبلاء فالوجود خطب والحياة خطب والموت خطب والناس اشرار ذوو غدر وخبث وطباع فاسدة وان كل شىء فى الكون خبيث ردىء وان جملة الشرور فيه تفوق جملة الخيرات وان الام الحياة وبؤسها وشقاءها اكثر من مسرائها وافراحها .

والتشاؤم (مرض روحى) ابتلى به كثير من الفلاسفة والمفكرين من ذوى الامزجة العصبية وهو مذهب قديم نشأ فى ديانة البوذيين وشاع فى الشرق ودان به كثير من الحكماء فكان خالق آلامهم وعلة ارجاءهم بهذا المرض يتغلغل غالباً فى نفوس سكان البلاد الحارة الموبوءة القليلة الارزاق الفقيرة التى ما فيها عمل ولا كسب وكثيراً ما يحصل من الوراثة هذا عند عوام الناس وهو وقتى لا يلبث ان ينقلب الى تفاؤل وفرح وسرور ان تحسنت الحالة فهو اذاً عند عامة الجمهور ضرب من الشكوى الوقتية المتولدة من (الحاجة) ومتى زالت

الحاجة زال التشاؤم سريعاً

اما عند الحكماء المفكرين فامره عظيم شأنه كبير فانه يتولد فى نفوسهم من سلسلة المفكرات العميقة والتأملات الطويلة فى شؤون غامضة وامور مبهمة لم يتوصل العقل البشرى الى حل معضلاتها كالوجود والواجب وسر الوجود والخليقة وعلتها ووضعها ونواميسها والكون وهل هو حادث او قديم وهل هو محدود ومتناه او غير محدود وغير متناه والازلية والسببية والمبدأ والمنتهى والمعاد والروح والخلود الى غير ذلك من الاسرار والالغاز التى ما تأمل فيها احد الا رجعت تأملاته على اعقابها وتسرب اليه الريب ومال الى الشك قسراً لا اختياراً والشك الذى هو نتيجة عدم ادراك هذه المعميات هو الذى يولد (التشاؤم) ويورث الالم واليأس . وفى الحقيقة اذ فكر الانسان فى علة وجود هذا الكون وفى سبب هذه الخليقة والايجاد والبقاء والانتقال الى جهة لا تعرف غايتها وعاقبتها وفى موته الذى يتخلى به عن رجائه وامله وامانيه يشعر ولاريب بهزات عنيفة فى وجدانه وصدمات قوية فى شعوره واحساسه واستيلاء يأس مظلم مخيف وخيالات مريعة واحلام محزنة والانسان مفطور على حب البقاء فى الحياة على ما فيها من وجع وكدر وافة البقاء العدم وفكرة العدم والفناء والاضمحلال هى التى تورث التشاؤم الذى لا مندوحة عنه ما دام موقناً بها .

وقد اعدت الراحة الكبرى لمن كان معتقداً بكون له ابتداء وانتهاء اوجده خالق قدير من العدم وسيورده العدم كما اوجده . وان هناك

حشراً ونشراً وحساباً وعقابا وان هناك جنة عرضها السموات والارض فيها حور عين واباريق وكأس من معين وفاكهة ولحم طير مما يشتهون اعدت للمؤمنين الصالحين وان هناك ناراً ملتهبة فيها الوان من العذاب اعدت للمجرمين الاثمين .

فهذا الامل الرائع يمنح المعتقدين راحة وسلاماً واماناً فى الحيـــاة فطوبى للمعتقد المؤمن وويل للشاك المرتاب .

وان ابا العلاء المعرى الذى تدل كلماته واقواله على انه كان عنادياً بحتاً مرتاباً فى وجود خالق صانع مدبر ، حائراً فى سبب الخليقة والايجاد والفناء ، شاكاً فى العقائد التى من ضمنها الحشر والمعاد والخلود ـــ يجب ان يكون بطبيعة الحال (متشائماً) وهذا هو الواقع . وانك لتجد عند قراءة (لزومياته) صيحاته الاليمة وصرخاته الحزينة ، وكأنك تكاد تلمس يأسه وقنوطه فى شعره من اسئلته الدالة على تحيره الكثير وارتيابه العظيم .

وهذه الاراء التى ضاق بها صدر هذا الحكيم والمصائب والنكبات التى المت به بفقدان بصره وموت ابيه وامه وفقره ووهنه هى التى اشعلت فى قلب الشيخ جذوة اليأس والألم فراح يكيل للاديان السباب وللانبياء الشتم وللناس القذع ، ماقتاً الحياة وسكانها مرسلا خراطيم من نار غضبه على طبائعهم وسجاياهم ، معتزلا عن الناس ، قابعاً فى كسر داره تتقاذفه أمواج الشكوك حتى صيرته حليف الضنى واليأس والبؤس وهل هناك برهان اقوى على مقته الحياة من ايصائه ان يكتب على قبره :

هـــذا جناه ابى عـــــلى وما جنيت على احد

وقوله:

اراني فى الثلاثة من سجوني فلا تسال عن الخبر النبيث
لفقدى ناظرى ولزوم بيتى وكون النفس فى الجسد الخبيث

وقوله:

* * *

تعب كلها الحياة فما اع جب الا من راغب فى ازدياد

وقوله وهو دليل على مقته الناس:

مسخ المعاشر فالغضنفر ثعلب فى لؤمه والناس كالنسناس
وتفكرت نفس اللبيب وقد رأت أشخوص حزن أم شخوص أناس
عرب وعجم داثلون وكلنا فى الظلم اهل تشابه وجناس

وقوله:

* * *

والشر طبع وقد بثت غريزته مقسومة بين انواع واجناس

* * *

سجايا كلها غــدر وخبث توارثها أناس عن أناس

وقد تزاحمت هذه الافكار فى رأس عمر الخيام كما تزاحمت فى رأس صاحبه المعرى وكان الشؤم واليأس ملازمين لروحه مسيطرين على احساسه وشعوره حتى بلغ من كراهيته للحياة وتشاؤمه منها انه تمنى انه لولم يكن مخلوقاً فى الدنيا .

گر آمـد نم بمن بدی نامدی
ورنیز شدن بمن بدی کی شدمی

به زآن نبدى كه اندرين عالم خاك
نه اەـــدى نه شـــدمى نه بدمى

لو كان مجيئ باختياري لما جئت ولو كانت خلقتي بيدي لما رغبت ان اخلق . الافضل انى لم أكن فى هذا العالم ولم أجئ اليه ولم أخلق ولم ابق فيه .

لقد علمنا مما تقدم ذكره ان كلا الحكيمين اتفقا على ان الحياة خطب وبلاء فقد اتحدا واتفقا على تشخيص الداء الا انهما اختلفا فى الدواء :

الخمرة — المنية

كان عمر الخيام يرى ان الوسيلة الوحيدة الى النجاة من آلام الحياة السلافة وكان المعرى يرى ان المنية هى الوسيلة الى ذلك وقد وصف الخيام الخمر بما وصف به ابو العلاء الموت . وفى طاقتنا ان نقول ان نفس المعاني التى ذكرها المعرى فى الموت جعلها الخيام فى الخمر فقد ذهب فى المغالاة بمدحها والاسراف فى حبها والولوع بها وحث الناس على شربها ما جعل بعض الباحثين ان يسيئوا به الظنون ويعتبروا اقواله ضرباً من الجنون ونزعة من السفه وقد ذهب الخيام فى الخمرة مذهب اكثر الشعراء والحكماء الذين كانوا يرون ان فيها راحة للنفوس وتسكيناً للاوجاع وتخفيفا للالام والاكدار ومما ينسب الى الحكيم الفارابى فى هذا المعنى قوله :

بزجاجتين قطعت عمرى وعليها عولت امرى
فزجاجة ملئت بحبر وزجاجة ملئت بخمر
فبذى أدون حكمتى وبذى أزيل هموم صدرى

وتدل رباعياته على انه لم يشرب لمجرد اللهو والعبث وانما اتخذها دواء كما يتخذ المريض الدواء لمرضه وانه كان يرى السلافة هى الوسيلة الوحيدة الى تبديد الهموم وتفريج الكروب عن الصدور فمن ذلك قوله:

مي خوردن من نه از براى طرب است
ني بهر فساد وترك دين وادب است
خواهم كه ببيخورى بر آرم نفسى
مي خوردن ومست بودنم زين سبب است

ليس شرب الخمرة من اجل الطرب والفساد وترك الدين والأدب ·
انما اريد ان اتنفس الصعداء وانا ذاهل عن نفسى فشربي الخمرة وسكرى لهذا السبب ·

از امدن بهار واز رفتن دى
اوراق وجود ماهمى كردد طى
مي خور مخور اندوه كه لفتست حكيم
غمهاى جهان جوز هرو ترياكش مى

بين مجيء الربيع وذهابه تنطوي اوراق وجودنا . اشرب الخمرة ولا تتألم فقد قال الحكيم ان الام الحياة سم ودرياقها الخمر .

وقد ظن بعض الباحثين ان السلافة التي يتغنى بها الخيام في رباعياته هي (سلافة الحب) او (خمرة الحقيقية) او (السكر المقدس) وهي الخمرة الخيالية التي ينشدها شعراء الصوفية في قصائدهم مثل ابن الفارض وجلال الدين الرومي وغيرهم وفي الحقيقة ان هذا الظن باطل غير صحيح فان عمر الخيام لم يتغزل بخمرة وهمية وانما تغزل بالمشعشة الحمراء بنت الكروم لابادة الألم الرابض في صدره والرباعيتان اللتان تقدم ذكرهما كافيتان في دحض هذا الزعم.

وقد وصف الخيام المدامة باوصاف دقيقة بديعة تدل على انه كان ممن دارس الخمرة ومارس شربها دهراً طويلا فهو في وصفه الرائع اشبه بابي نؤاس في وصفه لها حتى لقد سن للسكارى قانوناً في كيفية تعاطيها قال :

گرباده خوری توبا خرد مندان خور
يابا صنمی لاله رخی خندان خور
بسيار مخور ورد مکن فاش مساز
اندك خور وگه گاه خور وپنهان خور

اذا شئت شرب الخمرة فاشربها مع العقلاء اومع مليح ضحوك ذي محيا منير ولا تشرب كثيراً ولا تفحش في الكلام اشرب قليلا وبين آونة واخرى وفي الخفاء :

اما شيخ المعرة فقد خالف صاحبه فى هذا المعنى وا كثر من ذم الخمرة وقبحها ونددد بشار بها و زعم انها سالبة العقول هاتكة الوقار مفرقة الاحباب وقد اجهز على السلافة فى لزومياته فمن ذلك قوله .

وحاذر من الصهباء فهى عدوة من الصهب مشت فى مفاصلك السكرا

وقوله :

* * *

البابليـــة باب كل بلية فتوقين هجوم ذاك الباب

جرت ملاحاة الصديق وهجره واذى النديم وفرقة الاحباب

أم الحباب وان أميت لهيبها بمزاجها وافت كأم حباب

هتكت حجاب المحصنات وجشمت مهن العبيد تهضم الارباب

وتوهم الشيب المدالف انهم لبسوا على كبر برود شباب

واذا تأملت الحوادث ألفيت صهب الدنان اعادى الالباب

وقوله :

* * *

دبيب نمال من عقار تخالها بجسمك شر من دبيب العقارب

ولو انها كالماء طاق لاوجبت قلاها اصيلات والنهى والتجارب

* * *

تجرع موت لا تجرع لذة من الخمر فى كاساتهم والاباريق

* * *

قلنا غير مرة ان الخيام والمعرى كانا يريان الحياة خطباً وشراً يجب التخلص منها اما الخيام فقد رأى ان احسن وسيلة تنجيه منها هى (الخمرة) واما المعرى فقد ذمها و كان يرى ان الموت هو الدواء الشافى وكان يتطلب الفرج على يد المنية وقد نمناها فى كثير من شعره فمن قوله :

اما حياتي فمالى عندها فرج فليت شعرى عن موتى اذا قدما
صحبت عيشاً اعانيه ويغلبنى مثل الوليد يقود المصعب السدما
وقد مللت زمـــاناً شره لهب اذا دنا لخبو عاد فاحتـدما
من باعنى بحيـاتى ميتـة سرحا بايعته واهـان الله من ندما

وقوله :

* * *

رب متى ارحل عن هذه الـ دنيا فاني قد اطلت المقام
لم ادر ما نجمى ولـكنه فى النحس مذكان جرى واستقام
فلا صديقى يترجى يدى ولا عدوى يتخشى انتقام
والعيش سقم للفتى منصب والموت يأتي بشفاء السقام
والقرب مثواى ومثواهم وما رأينا احداً منه قام

وقوله :

* * *

مللت عيشى فعوجى يا منية بى وذقت فنين من بؤس ومن رغد
غدى سيوجد امسى لا ينازعنى فى ذاك خلق وامسى لا يصير غدى

مصير الجسم بعد الموت

وقد اختلف الحكماء ايضاً فى قضية مصير الجسم بعد موته فكان ابو العلاء تارة يحفل بجسم الانسان بعد موته وتارة لا يرغب فى تكريمه ولا يهتم بما يفعل به لانه لا يحس ولا يتألم فمن قوله فى تكريم الجسم :

خفف الوطأ ما اظن اديم الـ أرض الا من هذه الاجساد
سر ان اسطعت فى الهواء رويداً لا اختيالا على رفات العبـــاد

ومن قوله في عدم تكريمه:

تكرم اوصال الفتى بعد موته وهن اذا طال الزمان هباء

وقد غالى المعرى في عدم الاعتناء بالجسد حتى استحسن من عادات الهنود حرق اموتهم.

فاعجب لتحريق اهل الهند ميتهم وذاك اريح من طول التباريح
ان احرقوه فما يخشوه من ضبع تسرى اليه ولا خفى وتطريح
والنار اطيب من كافور ميتنا غباً واذهب للتكراه والريح

وقد خالف الخيام شيخ المعرة في هذا لمعنى فكان مبالغا في تكريم الجسد موصياً الخزاف بالرفق عند جبله الطين قائلا انها اجسام بشرية يجب ان تعامل بالحسنى.

ای کوزه گران نکوش اگر هشیاری
تا جند کنی بر گل آدم خواری
انگشت فریدون وکف کیخسرو
بر جرخ نهاده جه می بنداری

ايها الخزافون اسمعوني ان كنتم منتبهين: حتى م تظلمون طينة ابن آدم. انكم قد وضعتم اصبع فريدون و كف كيخسرو على الدولاب فماذا تظنون؟.

دی کوزه گری بدیدم اندر بازار
برباره گلی لگد می زد بسیار

وآن كل بريان حال باوى ميكفت
من هجو توبوده ام مرانيكو دار

رأيت امس خزافا فى السوق وكان بركل قطعة من الطين وكان لسان حالها يقول الخزاف لقد كنت ياهذا مثلك فعاملني بالحسنى.

وقد عاش الشيخين عزبين ولم يتزوجا وكان رأى المعرى فى المرأة سيئاً وكان يكره النسل ويرى الزواج اثما وجرماً عظيمين فلم يشأ ان يجنى على غيره كما جنى ابوه وفى ذلك يقول :

وارحت اولادي فهم فى نعمة العـ دم التى فضلت نعيم العاجل
ولو انهم ظهروا لعانوا شـــدة ترمي بهم فى موبقات الآجـل

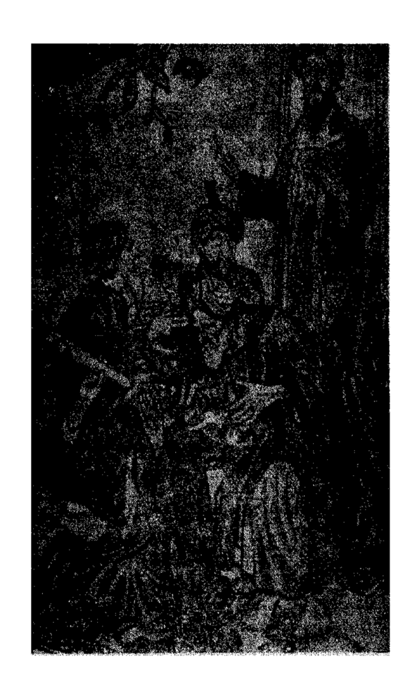
* * *

فالبث وحيداً لا وصيـــ فة فى ذراك ولا وصيف

ومع ان الخيام عاش بلا ريب اعزب فلم نطلع على رأيه فى الزواج والمرأة والنسل ...

القســـــــــم الثاني

رباعيات



— ١ —

قومى متفكرند در مذهب ودين
جمعى متحيرند درشك ويقين
ناگاه منادئ در آيد زكمين
كاى بيخبران راه نه آنست ونه اين

قوم يتفكرون فى المذهب والدين ، وآخرون محتارون بين الشك واليقين
واذا بمناد يهتف بهم من عالم الغيب ، ايها الغافلون الطريق لاهذا ولاذاك .

—٢—

ای مفتیٔ شهر ازتو پرکار تریم
با این همـه مستی زتو هشیار تریم
ماخون رزان خوریم وتوخون کسان
انصاف بده کدام خونخوارتریم؟

نحن یامفتی المدینة اصلح منك عملا ، ومع كل هذا السكر اصحى منك ، انا نشرب دم العنب ، وانت تشرب دما الناس فانصف ! اينا اشد سفكا للدماء ؟

—٣—

شیخی بزن فاحشه گفتا مستی
هر لحظـه بدام دگری پابستی
گفتا شیخا هر آنچه گویی هستم
اما تو چنانچـه منمائی هستی؟

قال شيخ لفاحشة انت سكرى وفى كل لحظة متعلقة بشخص فقالت ايها الشيخ ! ان الذى قلته صحيح لكنك ءانت انت كما تظهر للناس ؟.

آنانکه به کار عقل در میکوشند
هیهات که جمله گاو نر میدوشند
آن به که لباس ابلهی درپوشند
کامروز به عقل تره می نفروشند

اولئك الذين همتهم الجهد من طريق العقل ، هيهات انهم يحلبون ثوراً ، الاجدر بهم ان يتقمصوا البلاهة ، اذ لايشترى اليوم بالعقل باقة من حشيش .

— ٥ —

ایکاش که جای آرمیدن بودی
یا این ره دوررا رسیدن بودی
کاش ازپی صد هزار سال از دل خاك
چون سبزه امید بردمیدن بودی

ياحبذا لو كان للراحة محل ، وياحبذا لو بلغنا آخر هذا الطريق الطويل ، وياحبذا لو كان هناك امل فى العودة الى الحياة بعد مآت الألوف من السنين ، كما يعود العشب من قلب التراب .

— ٦ —

دل سر حیات اگر کما هی دانست
در مرگ هم اسرار آلهی دانست
امروز که باخودی ندانستی هیچ
فردا که زخود روی چه خواهی دانست ؟

لو عرف القلب سر الحياة كما هي ، لعرف ايضاً في الموت الاسرار الآلهية ، انت لاتعلم شيئاً اليوم وانت مع نفسك ، فماذا تعلم غداً اذا تجردت عنها ؟

— ٧ —

قومی متفکرند در مذهب ودین
جمعی متحیرند درشك ویقین
ناگاه منادیٔ در آید زکمین
کای بیخبران راه نه آنست ونه این

قوم يتفكرون في المذهب والدين ، وأخرون محتارون بين الشك واليقين ، واذا بمناد يهتف بهم من عالم الغيب ، ايها الغافلون ، الطريق لاهذا ولاذاك .

— ٨ —

چون مردن تو مردن یکبارگی است
یکبار بمیر این چه بیچارگی است
خونی ونجاستی ومشتی رگ وپوست
انگار نبود این چه غمخوارگی است

لما كان موتك مرة واحدة ، مت مرة واحدة ! ما هذه المسكنة ؟ دمٌ ونجاسة وصم من عظم وجلد ، فما هذه المحنة من اجل شيء تافه حقير .

— ٩ —

گر بر فلکم دست بدی چون یزدان
بر داشتمی من این فلکرا زمیان
از نو فلك دگر چنان ساختمی
کآزاده به کام دل رسیدی آسان

لو كنت مهيمناً على الفلك ، هيمنة خالق ، لقضيت على هذا الفلك ، ولخلقت فلكا غيره ، على ان يبلغ المرء فيه مرامه بدون عناء .

— ١٠ —

آورد باضطرارم اول بوجود
جز حيرتم از جهان چيزی نفزود
رفتيم باکراه رندانيم چه بود
زين آمدن وماندن ورفتن مقصود

جاء بى على الرغم منى الى الوجود ، ولم ازدد غير الحيرة فى هذه الحياة ، ذهبا مكرهين ، ولم نعلم الغرض من مجيئنا وبقائنا وذهابنا .

— ١١ —

يزدان جو گل وجو دما مى‌آراست
دانست زفعل‌ماچه بر خواهد خواست
بى حکمش نيست هر گناهى که مراست
پس سوختن قيامت از بهرچه خواست ؟

لما كوّن الله وجودنا من الطين ، كان يعلم بالافعال التى ستصدر منا ، ليس خارجا من حكمه كل ذنب نقترفه ؛ اذاً فلماذا يصلينا فى السعير يوم القيامة ؟

— ١٢ —

در رهگذرم هزار جا دام نهی
گویی که بگیرمت اگر گام نهی
یك ذره زحکم توجهان خالی نیست
حکم تو کنی وعاصیم نام نهی ؟

تضع الاشراك فى الف مكان فى سبيلى ، وتقول اذا وقعت فيها فانى مبيدك ، لا تخلو ذرة فى العالم من سلطانك ، انت تقدر علىّ الحكم وانت تنعتنى بالعاصى ؟ .

— ١٣ —

از آب وگلم سرشتهٔ من چه کنم
وین پشم مرا تورشتهٔ من چه کنم
هر نیك وبدی که از من آید بوجود
تو بر سر من نوشتهٔ من چه کنم ؟

ماذا اصنع يا الهى وانت الذى جبلتنى من ماء وطين ، وانت الذى غزلت صوفتى ، انت كتبت علىّ كل مايصدر منى من خير وشر فى هذا الوجود ، فماذا اصنع ؟

— ١٤ —

عمرت تا کی بخود پرستی گذرد؟
یا در پی نیستی وهستی گذرد؟
می نوش که عمری که اجل در پی اوست
آن به که بخواب یا بمستی گذرد

حتى مَ يمرّ عمرك فى عبادة نفسك ، او فى الافتكار فى الوجود والعدم ، اشرب الخمر فان العمر الذى يعقبه الموت يحسن ان ينقضى فى النوم او السُكر .

— ١٥ —

تازهره ومه در آسمان گشت پدید
بهتر زمی ناب کسی هیچ ندید
من در عجبم زمی فروشان کایشان
به زانچه فروشند چه خواهند خرید

منذ ظهرت الزهرة والقمر فى السماء ، ما رأى احد احسن من الخمرة الصافية ، يا عجبى من بائعى الخمر اى شيء سيشترون احسن مما يبيعون !

— ١٦ —

گر من زمی مغانه مستم ، مستم ؛
گر کافر وگبر وبتپرستم هستم
هر طایفهٔ بمن گمانی دارند ؛
من زان خودم ، چنانکه هستم ، هستم

انا ان كنت ثملاً بخمرة المجوس فانا ذاك ، وان كنت كافراً او مجوسياً او وثنياً فانا ذاك ، لكن لطائفة ظنّ فيّ ، اما انا فملك نفسي اكون كما اريد

— ١٧ —

این قافلهٔ عمر عجب میگذرد
در یاب دمی که باطرب میگذرد
ساقی غم فردای قیامت چه خوری ؟
پیش آر پیالهٔ که شب میگذرد

تسير قافلة العمر سيراً عجيباً ، فاغتنم وقتاً تطرب فيه ، ايها الساقي ! مالك مهموماً من القيامة في غد ؟ هات الزجاجة فان الليل على وشك الفناء .

— ۱۸ —

روزی که گذشته است ازو یاد مکن
فردا که نیامـده است فریاد مکن
برنا مـده و گذشته فریاد مـنه
حالی خوش باش وعمر برباد مکن

لا تذكر اليوم الذى مضى ، ولا تجزع من غدٍ لم يأت بعـد ، ولا تفزع مما لم يأت ومما مضى ، طب نفساً ولا تنغص عيشك .

— ۱۹ —

مائیم دراو فتاده چون مرغ بدام
دلخستهٔ روزگار وآشفته مـدام
سرگشته درین دائرهٔ بی در وبام
نا آمـده بر مراد ونارفته به کام

وقعنا فى هذه الحياة وقوع الطير فى الفخ ، مفؤدين من الدهر ، طائشين على الدوام . تائهين فى هذه الدائرة التى لاسطح لها ولاباب ، لاجئنا باختيارنا ولا ذهبنا بارادتنا .

— ٢٠ —

تا هُشیارم طرب زمن پنهانست
چون مست شوم در خردم نقصانست
حالیست میان مستی وهُشیاری
من شادم از آن که زندگانی آنست

ما دمتُ صاحياً فالطرب خاف عني ، واذا ثملت نقص عقلي ، انما بين الصحو والسكر ، حالة هي وحدها لذة الحياة .

— ٢١ —

گویند بمن بهشت باحور خوشست
من میگویم که آب انگور خوشست
این نقد بگیر ودست ار ان نسیه بدار
کاواز دهل شنیدن از دور خوشست

يقولون لي الجنة طيبة بالحور وانا اقول ماء العنب — الخمر — هو الطيب ، خذ هذا النقد وذر ذلك الوعد ، فان صوت الطبل من البعيد حسن .

— ٢٢ —

گر باده بکوه در دمی رقص کند
ناقص بود آنکه باده‌را نقص کند
از باده مرا توبه چه میفرمایی ؟
روحیست که او تربیت شخص کند

انسقيت الجبلَ خمراً رقص الجبل ، ناقص من ينتقص من قدرها ـ يذمها ـ اتطلب اليّ ان اتوب من شرب الخمرة ، وهي تلك الروح التي تربي الانسان .

— ٢٣ —

می نوش که عمر جاودانی اینست
خود خاصیت دور جهانی اینست
هنگام گل و مل است و یاران سرمست
خوش باش دمی که زندگانی اینست

اشرب الخمرة لانها الحياة الدائمة ، وهي وحدها مزيّة الدنيا ، الوقت وقت ورد وطرب ، والاخلاّء سكارى ، اسعد لحظة ! هذه هي الحياة .

— ٢٤ —

زان پیش که غمهات شبیخون آرند
فرمای که تا بادهٔ گلگون آرند
تو زر نهٔ ای غافل نادان که ترا
در خاك نهند وباز بیرون آرند

قبل ان تهلكك همومك ، مرهم ان يأتوك بمدامة وردية . ايها الجاهل الغر ! انت لست ذهباً ليدفنوك فى التراب ثم يخرجوك .

— ٢٥ —

من بندهٔ عاصیم رضای تو کجاست
تاریك دلم نور وصفای تو کجاست
مارا تو بهشت اگر بطاعت بخشی
آن بیع بود لطف وعطای تو کجاست

انا عبدك العاصي ، فاين رضاؤك ، انا المظلم قلبه فاين نورك وصفاؤك ، ان كنت تهبنا الجنة بالطاعة لك كان ذلك بيعاً ، فاين لطفك وعطاؤك ؟

—٢٦—

این چرخ چو طاسیست نگون افتاده
دروی همه زیرکان زبون افتاده
بر دوستیء شیشه وساغر نگرید
لب بر لب ودر میانه خون افتاده

ان هذه السماء كطاس مقلوبة وفيها كل الاذكياء إذلاّء . انظروا الى الصداقة بين الابريق والكأس ، الشفاه فوق الشفاه وبينهما الدم .

—٢٧—

تاچند اسیر رنك وبو خواهی شُد
چند از پی هر زشت ونکو خواهی شد
گر چشمهٔ زمزمی وگر آب حیات
آخر بدل خاك فرو خواهی شد

الى كم انت تصبو الى اللون والرائحة ، وتركض وراء كل طيب وخبيث ، ستغور فى باطن الارض ، حتى لو كنت ماء زمزم او ماء الحياة .

—۲۸—

چون میگذرد عمر چه شیرین وچه تلخ
پیمانه چو پر شود چه بغداد چه بلخ
می نوش که بعد از من وتو ماه بسی
از سلخ بغره آید از غره بسلخ

مادام العمر ينقضي ، فسيان عندي حُلوه ومرّه ، واذا امتلأت الكأس « مت » فسيان عندي امت في بغداد ام في بلخ ، احس ياصاح كئوس الحميا ، فان القمر سينتقل من بعدي وبعدك من السلخ الى الغرّة ومن الغرّة الى السلخ كثيراً

—۲۹—

دشمن بغلط گفت که من فلسفیم
ایزد داند که آنچه او گفت نیم
لیکن چو در این غم آشیان آمده ام
آخر کم از آنکه من بدانم که کیم ؟

اخطأ العدوّ بقوله انى فلسفى ، وقد علم الله انى لست كما قال ، ولكنى اذ وجدت نفسي في دار الغم « الدنيا » فلا اقلّ ان اعرف من انا ؟



جز راه قلندران میخانه مپوی ،
جز باده وجز سماع وجز یار مجوی ،
بر کف قدح باده وبر دوش سبوی ؛
می نوش کن ای نگار وبیهوده مگوی .

لا تسلك غير سبيل قلندرية الحانة ، ولا تتطلب غير الخمرة والسماع والحبيب ، ضع القدح على كفك والدن على متنك واشرب ايها الجميل ولا تقل هجرا .

— ٣١ —

سیم ارچه نه مایهٔ خرد مندانست ،
بی سیمان را باغ جهان زندانست ؛
ازدست تهی بنفشه سر بر زانوست ؛
در کیسهٔ زر دهان گل خندانست .

ولو ان الفضة لا تكون ذخيرة العقلاء ، لكن روض الحياة سجن المفلسين ها هي البنفسجة نكست رأسها لخلو يديها ، وها هي الوردة باسمة الثغر في كيسها الذهبي

— ٣٢ —

در چشم محققان چه زیبا وچه زشت ،
منزلگه عاشقان چه دوزخ چه بهشت ؛
پوشیدن بیدلان چه اطلس چه پلاس ،
زیر سر عاشقان چه بالین وچه خشت ،

سواء في نظر المحققين — العقلاء — الجميل والقبيح وسواء في نظر العاشقين مثوى الجنة والنار ، وسواء لدى المسلوب قلبه ، الحرير والمنسوج الخشن ، وسواء لدى العاشقين توسد الريش والحجارة .

— ٣٣ —

دنیا نه مقام تست نه جای نشست ،
فر زانه در او خراب، او لیتر ومست ؛
بر آتش غم زباده آبی میزن ،
زآن پیشس که درخاک روی باد بدست .

ليست الدنيا بدار قرار ودار اقامة ، افضل للحكيم فيها ان يكون ثملاً ومصروعاً ، اسكب ماء الخمرة على نار الغموم ، قبل ان تذهب الى القبر صفر اليدين .

— ٣٤ —

دنیا بمراد رانده گیر آخر چه ؟
وین نامهٔ عمر خوانده گیر آخر چه ؟
گیرم که بکام دل بماندی صد سال ،
صد سال دگر بمانده گیر آخر چه ؟

ما العقبى اذا بلغ المرء من الدنيا المراد ؟ وما الغاية اذا قرأ الانسان كتاب اعماله ؟ فلنفرض انك نلت مرامك مائة عام ، وعش بعدها مائة عام فما هي النتيجة ؟ !

— ٣٥ —

از تن چو رفت جان پاك من وتو ،
خشتی دو نهند بر مغاك من وتو ؛
وآنگه زبرای خشت گور دگران ،
درکالبدی کشند خاك پاك من وتو .

حين تخرج من الجسد روحي وروحك الطاهرة يضعون لبنتين على لحدي ولحدك ، ثم لاجل لبنتين لقبر آخر يضعون ترابي وترابك في القالب

— ٣٦ —

دریاب ! كه از روح جدا خواهی شد ،
در پردهٔ اسرار فنا خواهی شد ؛
می نوش ! ندانی زکجا آمدهٔ ،
خوش باش ! ندانی بکجا خواهی شد .

انتبه — اعلم — ! انك ستفترق عن روحك وستفنى وراء ستار الاسرار ، اشرب الخمرة ! انك لا تدري من اين اتيت ، واسعد ! انك لا تعلم الى اين تذهب .

— ۳۷ —

سیر آمدم ای خدای از هستی خویش ،
از تنك دلی و از تهی دستی خویش ؛
از نیست چو هست میکنی بیرون آر ،
زین نیستیم بحرمت هستی خویش .

مللت یا الٓهی وجودی وضیق صدری وفراغ یدی ، یامن یجعل من العدم وجوداً اخرجنی من عدمی بحرمة وجودك .

— ۳۸ —

خیام که خیمه های حکمت میدوخت ،
در کورهٔ غم فتاد وناگاه بسوخت ؛
مقراض اجل طناب عمرش ببرید ،
دَلاّل امل برایگانش بفروخت .

وقع الخیام الذی کان یخیط خیم الحکمة فی کور الغم واحترق ، وقد قطع مقراض الاجل طناب عمره ، وباعه دلاّل الأمل رخیصا .

گر باده خوری تو با خرد مندان خور ،
یا با صنمی لاله رخ وخنـدان خور ؛
بسیار مخور ، فاش مکن ، ورد مساز ،
اندك خور ، وگه گاه خور ، وپنهان خور.

ان تشرب الخمرة . فاشربها مع العقلاء اومع جميلة باسمة موردة الخدين ، لاتشرب كثيراً ، لاتفشي شربك لاحد ، لا تلهج بها ، اشرب قليلا ، وبين آونة واخرى ، وفى الخفا — سراً — .

— ٤٠ —

گرمی نوشد گدا به میری برسد ،
ور زیرکی خورد به شیری برسـد ،
ور پیر خورد جوانی از سر گیرد ،
ور زآنکه جوان خورد به پیری برسد.

اذا شرب الفقير الخمرة رأى الأمارة فى نفسه ، واذا شربها الثعلب رأى السبعية فى نفسه ، واذا شربها الشيخ جدد لنفسه عهد الشباب ، واذا شربها الفتى رأى عهد الشيخوخة — طال عمره — .

— ٤١ —

سر دفتر عالم معانی عشق است،
سر بیت قصیدهٔ جوانی عشق است؛
ای آنکه خبر نداری از عالم عشق،
این نکته بدان که زندگانی عشق است.

العشق عنوان عالم المعانی، ومطلع قصيدة الشباب فاعلم ايها الغافل عن عالم العشق هذه النكتة، ان الحياة هي العشق

— ٤٢ —

یك نان به دو روز گر شود حاصل مرد،
وز کوزهٔ اشکسته دمی آبی سرد،
مأمور کسی دگر چرا باید بود؟
یاخدمت چون خودی چرا باید کرد؟

اذا وجد المرء رغيفاً في يوميه او وجد في بعض الاحيان في كوز مكسور جرعة ماء بارد، فلماذا يكون تحت امرة غيره، او في خدمة من يضاهيه؟

— ٤٣ —

ابریق می مرا شکستی ربیّ !
برمن در عیش راببستی ربی ،
بر خاك فکندی می گلگون مرا ،
خاکم بدهن مکر تومستی ربی ؟

یا الـهی حطمت ابریق مدامی ، واوصدت باب الأنس فی وجهی ، سکبت علی الارض خمرتی الوردیة ، تراب بفمی هل انت سکران یاربی ؟ !

— ٤٤ —

نا کرده گناه در جهان کیست بگو !
وانکس که گنه نکرد چون زیست بگو !
من بد کنم وتو بد مکافات دهی ؟
پس فرق میان من وتوچیست بگو ؟ !

یا الـهی قل من الذی لم یأثم فی الدنیا ، وکیف یلبث فیها من لا یأثم فاذا کنت تقابلنی علی سیئنی بسیئة مثلها اذاً فما الفرق بینی وبینك ؟ !

— ٤٥ —

نازم به خرابات که اهلش اهلست ،
چون نیك نظر کنی بدش هم سهلست ؛
از مدرسه بر نخاست یك اهل دلی ،
ویران شود این خرابه دار الجهلست .

اتباهى بحانات الخمر فان اهلها اكفاء واذا انعمت النظر فى طالحهم وجدته لا بأس به ، لم ينبغ احد من المدرسة من ذوى القلوب النيّرة لتنهدم هذه الخرابة فانها دار الجهل

— ٤٦ —

خیام تنت بخیمهٔ ماند راست ،
جان سلطانیکه منزلش دار بقاست ؛
فراش ازل زبهر دیگر منزل
نه خیمه بیفکند چو سلطان برخاست .

اى خيام ! ان جسدك يماثل الخيمة حقاً والروح التى منزلها دار البقاء تشبه السلطان . فاذا ارتحل السلطان الا يقوض الخيمة فراش الازل .

— ٤٧ —

می خور که مدام راحت روح تو اوست،
آسایش جان ودل مجروح تو اوست؛
طوفان غم ار در آید از پیش وپست
در باده گریز، کشتیٔ نوح تو اوست.

اشرب الصهباء فانها راحة روحك وامان لنفسك وقلبك المجروحين، واذا داهمك طوفان الغم من ورائك وامامك فالجأ ولذ بالخمرة فانها سفينة النجاة.

— ٤٨ —

خورشید کمند صبح بربام افکند؛
کیخسرو روز باده در جام افکند،
می خور که منادیٔ سحرگه خیزان؛
آوازهٔ « اشربوا » در ایام افکند.

ارسلت الشمس اشعتها الذهبية على السطح وقد صب ملك النهار صهبائه في الجام، اشرب المدامة فقد نادى مؤذن السحر ان « اشربوا »

— ٤٩ —

یارب خردم در خور اثبات تو نیست،
واندیشهٔ من بجز مناجات تو نیست؛
من ذات ترا بواجبی کی دانم،
دانندهٔ ذات تو بجز ذات تو نیست.

ربی! ليس لعقلی من السعة لاثباتك، انا لا افتكر الا فی مناجاتك انا لا اعرف ذاتك حق المعرفة ولا يعرف ذاتك الا ذاتك.

— ٥٠ —

بر مفرش خاك خفتگان می بینم؛
در زیر زمین نهفتگان می بینم؛
چندانکه به صحرای عدم می نگرم،
ناآمدگان ورفتگان می بینم.

اری فوق فراش الارض أناساً غارقين فی سباتهم واری تحت اطباق الثری اناساً مختفين، انا كلما انظر الی بيداء العدم. اری اناساً لم يأتوا بعد ولم يذهبوا.

— ٥١ —

کس خلد وجحیم را ندیدست ای دل ؛
کو آن که از آن جهان رسیدست ای دل؟
امید وهراس ما بچیزیست کز آن ،
خود نام ونشانی نه پدیدست ای دل .

یاقلب ! لم یر احد الخلد والجحیم ، یاقلب این الذی جاء من ذلك العالم ؟ ان رجائنا وخوفنا من شي لم نجد اسمه ولا رسمه .

— ٥٢ —

از آمدن ورفتن ما سودی کو ؟
وزتار امید عمر ماپودی کو ؟
در چنبر چرخ جان چندین پاکان .
میسوزد وخاك میشود ، دودی کو ؟

ای نفع من مجیئنا وذهابنا ، لم نجد سدی لحمة الأمل من عمرنا . فی دائرة الفلك تشتمل ارواح الکثیرین من الطیبین وتصیر رماداً فاین دخانها ؟

— ٥٣ —

گویند بهشت وحور وکوثر باشد،
جوی می وشیر وشهد وشکر باشد،
یك جام بده بیاد آن ای ساقی!
نقدی زهزار نسیه بهتر باشد.

يقولون هناك — في الآخرة — جنّة وحور وكوثر وانهار من خمر ولبن وعسل مصفى، ناولني ايها الساقي كأساً على ذكرها! فان النقد الواحد افضل من الف نسيئة.

— ٥٤ —

برگیر زخود حساب اگر باخبری؛
کاول توچه آوردی وآخر چه بری؛
گویی نخورم باده که میباید مرد.
میباید مرد اگر خوری یا نخوری.

حاسب نفسك ان كنت واعياً اديباً. ماذا جئت به وماذا ستأخذ معك؟ تقول لا اشرب الخمر لاني سأموت. ياهذا سوف تموت شربتها او لم تشربها.

— ٥٥ —

اين صورت كون جمله نقشست وخيال،
عارف نبود هركه نداند اين حال ؛
بنشين قدحى باده بنوش، وخوش باش ،
فارغ شو ازين نقش خيالات محال ،

ان صورة هـذا الكون نقش وخيال . ليس عارفاً من يجهل هذا الحال . اجلس واحس قدحاً من الخمرة واسعد ولا تشغل نفسك بهذه النقوش والخيالات .

— ٥٦ —

ماخرقهٔ زهد برسر خم كرديم؟
وزخاك خرابات تيمم كرديم؛
شايد بدر ميكدها دريا بيم،
آن عمر كه در مدرسه ها گم كرديم .

نحن وضعنا رداء الزهد على دن الخمر وتيممنا بتراب الحانات لعلنا نجد فى ابوابها ذلك العمر الذى اضعناه فى المدارس .

— ٥٧ —

من بی می ناب زیستن نتوانم ،
بی باده کشید بار تن نتوانم ؛
من بندهٔ آن دمم که ساقی گوید ،
یك جام دگر بگیر ومن نتوانم .

لا استطيع العيش بدون خمرة صافية ولا اقدر ان احمل عبء جسدي بدونها . انا عبد تلك اللحظة التي يقول فيها الساقي «خذ كأساً اخرى» وانا لا اقدر من شدة سكري .

— ٥٨ —

پیری دیدم بخانهٔ خماری ؛
گفتم نکنی ز رفتگان اخباری ؟
گفتا می خور که همچو ما بسیاری
رفتند وکسی باز نیامد باری .

رأيت شيخاً في دار خمار ، فقلت له الا تخبرني عن الذاهبين . قال اشرب المدامة ! فان كثيرين من امثالنا ذهبوا وما عاد منهم احد مرّة .

— ٥٩ —

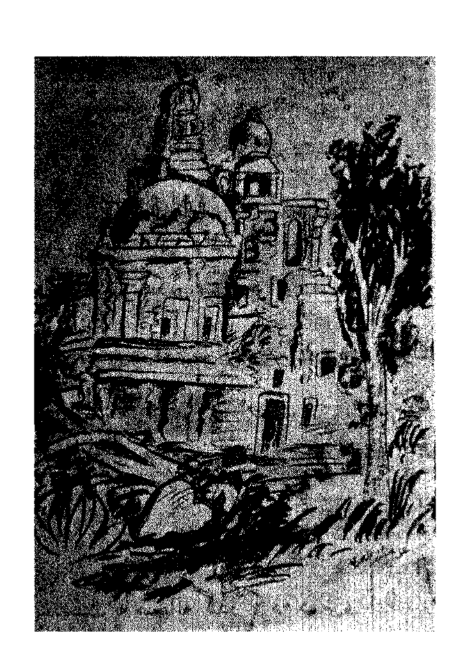
بر دار پیاله وسبو ای دلجو !
برگرد بگرد سبزه زار ولب جو !
کین چرخ بسی قد بتان مهرو ؛
صد بار پیاله کرد وصد بار سبو .

ایها الحبیب ! خذ كأساً وابريقاً ودر حول الروض الاخضر فی جانب النهر فان هذا الفلك قد جعل من قدود الفاتنات ماءة مرة كؤوساً وماءة مرة اباريق .

— ٦٠ —

از گردش روزگار بهری برگیر !
بر تخت طرب نشین بکف ساغر گیر!
از طاعت ومعصیت خدا مستغنیست ،
باری تو مراد خود زعالم برگیر .

خذ نصيبك من توالى الايام واجلس على سرير الطرب وخذ كأساً بيدك . ان الله غنى عن الطاعة والمعصية فخذ على الاقل لذتك من الحياة .



— ٦١ —

آن قصر که بر چرخ همی زد پهلو،
بر درگه او شهان نهادندی رو؛
دیدیم که بر کنکره‌اش فاخته‌ٔ،
بنشسته همی گفت که کو کو کو کو؟

ان القصر الذي كان يتسامى مع الفلك كتفاً الى كتفٍ والذي كان الملوك يضعون على اعتابه الجباه، قد رأينا الفاختة على شرفاته تسجع قائلة «كو كو كو كو» اى «اين اين اين».

— ٦٢ —

گر از پی شهوت وهوا خواهی رفت ؛
از من خبرت که بی نوا خواهی رفت ؛
بنگر چه کسی واز کجا آمده‌ ! ؟
میدان که چه میکنی ، کجا خواهی رفت !

اذا كنت تجري وراء شهوتك وهواك ، فاني مخبرك انك ستذهب بائساً يائساً ، انظر من انت ومن اين اتيت ! ؟ وماذا تعمل والى اين تذهب ؟

— ٦٣ —

سرمست به میخانه گذر کردم دوش ،
پیری دیدم مست وسبویی بردوش ؛
گفتم : زخدا شرم نداری ، ای پیر !
گفتا کرم از خداست ، می نوش وخموش !

مررت بالحانة ثملاً ليلة امس فرأيت **شيخاً سكران** حاملاً دنّ خمر على متنه فلت له **ألا تستحي من الله ياشيخ !** فاجاب « الله كريم » فاشرب واسكت !.

هین ، صبح دمید ودامن شب شدچاك؛
برخیز وصبوح کن ، چرایی غمناك ،
می نوش دلا ، که صبح بسیار دمـد
او روی به ما کرده وما روی بخاك !

انظر ! لقد طلع الصباح وتمزّق جلباب الليل فقم با كر صبوحك . مالك مغموماً ! اشرب الخمر ياقلبي ! فان الصبح سيطلع كثيراً علينا وهو يولي وجهه نحونا ونحن نولي وجوهنا نحو التراب .

— ٦٥ —

من می خورم وهرکه چو من اهل بود ،
می خوردن او نزد خرد سهل بود ؛
می خوردن من حق زازل میدانست ،
گرمی نخورم علم خـدا جهل بود

انا أشرب الخمرة ويشربها كل من هو مثلي اهل لها . فان شربه لها ليس بصعب في نظر العقل ، لأن الله كان يعلم منذ الازل بانی سأشربها فانا ان لم اشربها فعلمه اذاً يكون جهلا .

— ٦٦ —

گویند که ماه روزه نزدیک رسید ،
من بعد بگرد باده نتوان گردید ؛
در آخر شعبان بخورم چندان می ،
کاندر رمضان مست بیفتم تا عید

يقولون قد اتى شهر رمضان ، وليس لأحد بعد هذا ان يحوم حول المدام ، اما انا فسأشرب منها فى آخر شعبان ما ابقى به سكران طوال شهر رمضان حتى يوم العيد .

— ٦٧ —

گر آمدنم بمن بدی نامدمی ،
وز نیز شدن بمن بدی کی شدمی ؛
به زان نبدی که اندراین دیر خراب ،
نه آمدمی ، نه شدمی ، نه بدمی .

لو كان مجيئى باختيارى لما جئت ، ولو كانت حلقتى بيدى لما رغبت ان احلق . الافضل انى لم اكن فى هذا الدير الخرب ولم اجئ اليه ولم ابق فيه .

—٦٨—

جامی ومی وساقی برلب کشت ،
بهتر زبهشتی که خبر بودش رشت ؛
مشنو سخن بهشت ودوزخ ازکس ،
که رفته بدوزخ وکه آمد زبهشت .

كأس وخمرة وساق فى جنب روضة . خير من الجنّة التى وعدتها ، لا تسمعنّ من احد حديث الجنّة والنار من ذا ذهب الى الجحيم ومن ذا جاء من الجنّة ؟

—٦٩—

مالعبتکانیم وفلك لعبتباز ،
از روی حقیقتی نه از روی مجاز ؛
بازیچه کنان بدیم بر نطع وجود ،
رفتیم بصندوق عدم یك یك باز

نحن ألاعيب اطفال والفلك هو اللاعب بنا . ذاك امر حقيقى غير مجازى ، لقد لعبنا مدة فى ساحة الوجود ثم ذهبنا الى صندوق العدم واحداً بعد واحد .

— ٧٠ —

یك جام شراب صد دل ودین ارزد ،
یك جرعهٔ می مملکت چین ارزد ؛
جز بادهٔ ناب نیست در روی زمین ،
تلخی که هزار بار شیرین ارزد .

ان كأساً من الخمرة تعدل الف قلب ودين ، وانجرعة من المشعشعة تساوى مملكة الصين ، ليس على وجه الارض غير الخمرة الصافية وهى المرّة التى تفضل الحلو الف مرّة .

— ٧١ —

ای دل تو باسرار معمی نرسي ،
در نکتهٔ زیرکان دانا نرسي ؛
اینجا بمی وجام بهشتی میساز ،
کاینجا که بهشت است رسي یا نرسی .

أيها القلب ! انت لاتصل الأسرار المعماة ، ولا تفقه نكات الاذكياء ، اجعل لنفسك فى هذه الدنيا جنّة من الخمر والكأس ، فانك لاتعلم أتنالها فى تلك ام لا ؟

— ٧٢ —

روزی که دومهلتست می خور می ناب!
کاین عمر دو روزه بر نگردد در یاب!
دانی که جهان رو بخرابی دارد.
تونیز شب وروز همی باش خراب!

اشرب الخمرة الصافية مرّتين كل يوم، فان هذا العمر القصير لا يعود اليك مرّة اخرى، انت تعلم ان الكون متوجه الى الخراب فكن انت ايضاً خراباً ليلاً ونهاراً.

— ٧٣ —

ای آنکه نتیجهٔ چهار وهفتی!
در هفت وچهار دائم اندر تفتی؛
می خور که هزار بار پیشت گفتم،
بار آمدنت نیست چو رفتی رفتی.

يامن هو نتيجه اربعة عناصر وسبع سموات. الى متى انت تتألم بالفكر فيها؟ اشرب الخمرة! فقد قلت لك الف مرّة. مالك من أوبةٍ فاذا ذهبت ذهبت

— ٧٤ —

اجرام که ساکنان این ایوانند ،
اسباب تردد خردمندانند ؛
هان تاسر رشتهٔ خرد گم نکنی ،
کآنان که مدبرند سرگردانند .

ان هذه الاجرام السماوية قد تركت العقلاء حيارى مترددين ، فاحذر ! ان تضيّع رشدك ، فان المدبّرين هذا العالم حيارى وفى تردد وذهول .

— ٧٥ —

چون حاصل آدمی دراین جای دو در ،
جز درد دل و دادن جان نیست دگر ؛
خرّم دل آنکه یك نفس زنده بود ،
وآسوده کسیکه خود نزاد از مادر

لما لم يكن محصول الأنسان من هذه الدنيا ذات البابين غير الم القلب وزهوق الروح ، فالمسرور من عاش لحظة ، والمرتاح هو الذى لم يولد من امّه .

— ٧٦ —

این کهنه سرا که عالم اورا نامست ،
وآرامگه ابلق صبح وشام است ؛
بزمیست که وامانده صد جمشید ست ،
قصریست که تکیه گاه صد بهرام است .

هـذا البلاط القديم المسمى بالعالم ومستقرّ الصباح الوضّاء والليل الدامس ، مجلس فتح بابه لمئة جمشيد وقصر اتكأ على الارائك فيه مائة بهرام .

— ٧٧ —

گفتی که ترا عذاب خواهم فرمود ،
هرگز من ازین خبر هراسم نفزود ؛
جايي كه توئی عـذاب نبود آنجا ،
وانجا که تونیستی کجا خواهد بود ؟

تفضّلتَ قائلاً : انی سوف اعذبك وانا لم اخش قط هذا الخبر . المكان الذى انت فيه لا يكون فيه عذاب واين المكان الذى انت لست فيه ؟

— ٧٨ —

آن به که زجام باده دل شاد کنی ،
وزنا مده وکیذ شته کم یاد کنی ؛
وین عاریتی روان زندانی را ،
یك لحظه زبند عقل آزاد کنی .

الأحسن ان تسرّ قلبك بكأس المدامة وان لاتتذكر كثيراً ما كان وما يكون ـ الماضي والآتي ـ وان تطلق ساعة مهجتك المستعارة السجينة من قيد العقل .

— ٧٩ —

تايار شراب جانفزايم ندهد ،
صد بوسه فلك بدست وپايم ندهد ؛
گويند كه توبه كن كه وقتش آمد ،
چون توبه كنم تا كه خدايم ندهد .

ان الفلك لايقبّل يدىَّ وقدمىَّ مائة مرة مالم يسقني الحبيب صهباء مفرحة . يقولون لى تب من شربها فقد سلف وقت التوبة ، وكيف اتوب اذا لم يشأ الله ان اتوب ؟ .

— ٨٠ —

تاخاك مرا به قالب آميخته اند ،
بس فتنه كه زين خاك بر انگيخته اند ؛
من بهتر ازاين نمى توانم بودن ،
كزبوته مرا چنين برون ريخته اند .

كم من فتنة اثاروا فى طينتى لما وضعوها فى القالب
فلا استطيع ان اكون خيراً مما انا عليه ، فانهم هكذا
افرغونى من الكور .

— ٨١ —

در دائرهٔ كامدن ورفتن ماست ،
آنرا نه بدايت نه نهايت پيداست ؛
كس مى نزند دمى درين عالم راست ،
كاين آمدن از كجا ورفتن بكجاست .

لابداءة ولا نهاية للدائرة التى جئنا منها والتى نذهب
اليها . لا يستطيع احد ان يقول من اين هذا المجئ والى
اين هذا الذهاب

— ۸۲ —

تا بتوانی رنجه مگردان کسرا،
بر آتش خشم خویش منشان کسرا،
گر راحت جاودان طمع میداری؛
میرنج همیشه ومرنجان کسرا.

لا تؤذ احداً ما استطعت، ولا تجلس احداً على نار غضبك، واذا كنت تطمع في راحة دائمة، فاقبل اذى نفسك ولا تؤذ احداً .

— ۸۳ —

نیکی وبدی که در نهاد بشرست،
شادی وغمی که در قضا وقدرست،
با چرخ مکن حواله کاندر ره عقل؛
چرخ از تو هزار بار بیچاره ترست.

لا تعزون الى الفلك الخير والشر اللذين هما من غريزة البشر، والفرح والغم اللذين هما من القضاء والقدر، لان الفلك ـ من طريق العقل ـ اعجز منك الف مرة .

— ٨٤ —

چون حاصل آدمی در این شورستان ،
جزخوردن غصّه نیست یا کندن جان؛
خرّم دل آنکه از جهان بیرون شد ،
آسوده کسیکه خود نیامد بجهان . .

لما لم يكن ما يجتنيه الانسان فى هده الحياة ذات الفتن غير الألم وعذاب النفس ، فطوبى لمن خرج منها او لم يجئ اليها .

— ٨٥ —

بنگر ز صبا دامن گل چاك شده ،
بلبل ز جمال گل طربناك شده ؛
در سايهٔ گل نشين كه بسيار اين گل ،
از خاك بر آمدست ودر خاك شده

انظر كيف تمزق جلباب الورد بهبوب الصبا ، وكيف طرب العندليب بجماله . اجلس فى ظل الورد فطالما نبت هذا الورد فى التراب وعاد اليه .

— ٨٦ —

امشب می جام یکمنی خواهم کرد ؛
خودرا بهدو جام می غنی خواهم کرد ؛
اول سه طلاق عقل ودین خواهم گفت ،
پس دختر رزرا به زنی خواهم کرد .

سأشرب في هذه الليلة مدامة في جام يستوعب « رطلاً » ، واكون غنياً بجامين من الخمر ، وقبل كل شيء اطلّق عقلي وديني ثلاثاً ثم انكح بنت الكرم .

— ٨٧ —

تا بتوانی خدمت رندان میکن ،
بنیاد نماز وروزه ویران میکن ،
بشنو سخن راست ز « خیام عمر » !
می میخور ، ره میزن ، واحسان میکن.

اخدم الندامى — اخوان الشرب — ما استطعت ، واهدم اركان الصلوة والصيام ، اسمع القول الصحيح من « عمر الخيام » اشرب الخمر ، واقطع الطرق ، واحسن الى الغير.

توبه مکن از می اگرت می باشد ،
صد توبهٔ تا دمانه درپی باشد ؛
گل جامه دران و بلبلان نعره زنان
در وقت چنین توبه روا کی باشد .

اذا كنت تملك خمراً فلا تتب من شربها ، ان لك متسعاً من الوقت لتتوب مائة مرة توبة الندم . صاح ! لقد تفتحت اكمام الورد وصاحت العنادل فهل تجوز التوبة فى مثل هذا الوقت ؟ .

— ٨٩ —

ای دل چو زمانه میکند غمناکت ،
ناگه برود زتن روان پاکت ،
برسبزه نشین وخوش بزی روزی چند ،
زان پیش که سبزه بردمد از خاکت .

ايها القلب قد غمك الدهر ، وسيفارق جسدك روحك الطيب ، فاجلس على العشب الاخضر وعش رغداً بضعة ايام قبل ان ينبت العشب من ترابك

— ٩٠ —

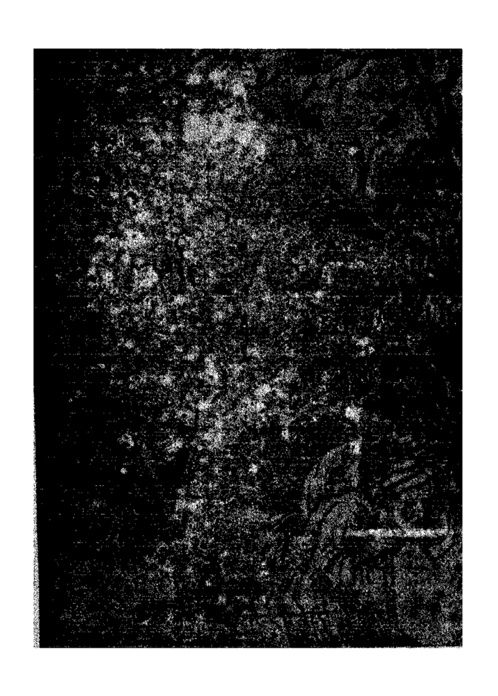
چون مرده شوم به باده شو یید مرا ،
تلقین ز شراب وجام گو یید مرا ؛
خواهید به روز حشر یا بید مرا ،
از خاك در میکده جو یید مرا ،

اغسلونی إن مت بالصهباء ، ولقنونی بالخمرة والجام ،
واذا شئتم ان تجدونی یوم الحشر تحرونی فی تراب
حانة الخمر .

— ٩١ —

تا چند ز مسجد ونماز وروزه ؟
در میکدها مست شو ار دریوزه ؛
خیام ، بخور باده که این خاك ترا
گه جام کنند وگه سبو ، گه کوزه .

حتیَمَ تتحدث عن المسجد والصلاة والصیام ، اسکر
فی حانات الخمر ولو بالشحاذة ، یا خیام ! اشرب المدامة
فسیصنعون من ترابك مرةً جاماً ، وطوراً دنّاً ، واخری
کوزاً



افسوس که نامهٔ جوانی طی شُد ،
وین تازه بهار شادمانی طی شـد ؛
آن مرغ طرب که نام او بود شباب
فریاد ! ندانم که کی آمد ، کی شد .

یا أسفا ! قد انطوى كتاب الشباب ، وانطوى ربيع السرور الغض . اواه ! لا ادرى متى جاء الشباب — ذلك الطائر الطروب — ومتى ذهب ؟!

— ۹۳ —

ای همنفسان مرا به می قوت کنید ،
وین چهرهٔ کهربا چو یاقوت کنید ؛
چون مرده شوم بهمی بشو یید مرا ،
و ز چوب رزم تختهٔ تابوت کنید

یارفقتی ! اقیتونی بالخمرة واجعلوا وجهی المصفر کالورس احمرَ کالیاقوت ، واذا مت فاغسلوني بالمدامة وانحتوا تابوتی من أعواد الکرم .

— ۹٤ —

آنم که پدید گشتم از قدرت تو ،
پرورده شدم بناز در نعمت تو ؛
صد سال بامتحان گنه خواهم کرد ،
تا جرم منست بیش یا رحمت تو .

انا ذلك الذی ظهرتُ الی عالم الوجود بقدرتك وربیت بدلال فی نعمتك ، سوف اکثر من الذنوب مائة عام لأعلم ایهما اعظم ذنوبی أم رحمتك ؟.

— ٩٥ —

آنها كه ز پيش رفته اند اى ساقى ،
در خاك غرور خفتـه اند اى ساقى ؛
روباده خور وحقيقت از من بشنو :
بادست هر آنچه كفته اند اى ساقى

اى ساقى المدام ! اولئك الذين رحلوا قبلنا قد ناموا فى تراب الغرور ، اذهب واشرب الخمر واسمع منى الحقيقة : هوآء كل ما قالوا .

— ٩٦ —

تا چند كنم عرضهٔ نادانىٔ خويش ،
بكرفت دل من از پريشانىٔ خويش ؟
زنّار مغانه برميان خواهم بست ،
دانى زچه ؟ از ننك مسلمانى خويش .

الى متى اعرض جهالة نفسي ، ضاق قلبى من هـذا الشتات . اريد ان اشد فى وسطى زنّاراً مجوسية . أ تعلم لماذا ؟ من خزى اسلامى

— ٩٧ —

افسوس که سرمایه زکف بیرون شد ،
وزدست اجل بسی جگرها خون شد ؛
کس نامد از آن جهان که پرسم ازوی ،
کاحوال مسافران عالم چون شد .

وا أسفاه ! فقد ذهب رأس المال من ايدينا ، وكم من اكباد صارت دامية من يد الموت ، لم يرجع أحد من الآخرة . لأسأله عن حال الذين سافروا من الدنيا اليها

— ٩٨ —

ای چرخ ز گردش تو خو رسند نیم ،
آزادم کن که لایق بند نیم ؛
گر میل تو با بیخرد ونا اهلست ،
من نیز چنان اهل وخرد مند نیم .

ايها الفلك ! انا غير مسرور بدورانك ، أطلق سراحي فاني غير قمين بان اقيد وان كنت تميل الى الحمقى والذين ليسوا اهلاً للفضل . فانا ايضاً لست ذلك العاقل الكفء .

— ٩٩ —

آن قصر كه جمشيد در او جام گرفت ،
آهو بچه كرد وروبه آرام گرفت ؛
بهرام كه گور ميگرفتى همه عمر ،
ديدى كه چه گونه گور بهرام گرفت ؟

ان القصر الذى كان « جمشيد » يتعاطى فيه الأقداح . قد ولدت فيه الظبية واطمأن فيه الثعلب . و « بهرام » الذى كان يصيد حمار الوحش طول عمره ، أرأيت كيف صاد القبر بهراماً ؟

— ١٠٠ —

از حادثهٔ جهان زاينده مترس ؛
وز هرچه رسد چو نيست پاينده مترس ؛
اين يكدمه عمرا غنيمت ميدان ،
از رفته مينديش وز آينده مترس .

لاتخش من حادث الدنيا ومن كل مايصيبك منه لانه لايدوم ، انتهز هذا العمر القصير . ولا تفكّر فيما مضى ولا تخف من الآتى !

— ١٠١ —

هر چند که رنك وبوى زيباست مرا ،
چون لاله رخ وچو سرو بالاست مرا ،
معلوم نشدكه در طربخانهٔ خاك ؛
نقاش ازل بهر چه آراست مرا .

مهما كان لونى بديعاً . وعرفى ذكياً . ومحيّاى كالشقيق . وقامتى كالدانة ، لا اعرف لماذا زانني النقاش الأزليّ في هذه الارض دار السرور « ؟ » .

— ١٠٢ —

گل گفت : به ازلقاى من رويى نيست،
چندين ستم گلا بگر بارى چيست ،
بلبل بزبان حال با او ميگفت ؛
يك روز كه خنديد كه سالى نگريست ؟

قال الزهر : لا وجه انضر من وجهى . يا عجباً لم يجور على كل هذا الجور ـ عاصر الزهر ـ فاجابه البلبل بلسان الحال قائلاً : من ذا ضحك يوماً واحداً ولم يبك عاماً !؟

— ١٠٣ —

رفتیم وزما زمانه آشفته بماند،
با آنکی ز صد گهر یکی سفته بماند؛
افسوس که صد هزار معنئ دقیق،
از بیخردی خلق ناگفته بماند.

ذهبنا. و بقى الزمان بعدنا مضطرباً ولم تثقب الا جوهرة واحدة من مائة، وا أسفا! فقد بقيت مئآت الألوف من المعانى الدقيقة لم تذكر. حذراً من حمق الناس

— ١٠٤ —

مهتاب به نور دامن شب بشکافت،
می خور که چنین دمی دگر نتوان یافت؛
خوش باش و بر اندیش که مهتاب بسی
اندر سر خاك یك بیك خواهد یافت

قد فلق القمر بنوره أهداب الليل، فاشربه اذ ليس فى الوسع ان تحظى بعدها بمثل هذه اللحظة، طب نفساً فان القمر سيسطع كثيراً على حافة قبر كل واحد منا،

— ١٠٥ —

باباده تهین که ملك محمود اینست ؛
وزچنك شنو ، که لحن داود اینست ؛
از آمده ورفتــه دگر یاد مکن ،
حالی خوش باش زآنــکه مقصود اینست .

عاشر الخمر، فانها ملك محمود ، واسمع القيثارة فانها لحن داود ، لا تذكرنّ الآتى والماضى ، وطب نفساً فى ساعتك التى انت فيها ، فذلك هو المقصود .

— ١٠٦ —

این چرخ که با کسی نمیگوید راز ،
کشته به ستم هزار محمود وایاز ،
می خور که به کس عمر دو باره ندهند ؛
هر کس که شد از جهان نمی آید باز .

ان هذا الفلك الذى لم يطلع احداً على اسراره . قد قتل الف «محمود وأيار» عدواً وعمداً . اشرب الصهباء ! انك لا تُعطَى العمر مرّتين. والذى يفارق الحياة لا يعود اليها تارة اخرى .

—١٠٧—

گرمى نخورى طعنـه مزن مستانرا ،
گردست دهـد توبه كنم يزدانرا ؛
تو فخر بدين كنى كه من مى نخورم ،
صد كار كنى كه مى غلامست آنرا .

ان كنت لا تشرب الخمر . فلا تطعن فى السكارى ،
لو اتيح لى لتبت الى الله ، انت تفتخر بانك لا تشرب الحميّا
وانت تعمل مئات من الأعمال اشنع منها

—١٠٨—

در سر مگذار هيچ سوداى محال ،
مى خور همه سال ساغر مالا مال ؛
با دختر رز نشين وعيشى ميكن ،
دختر بحرام به زما در بحلال .

لا تضع فى رأسك حب المحال واشرب الصهباء كل
العام باكواب مترعة ، عش رغداً مع ابنة العنقود . فان
لقاء الأبنة بحرام . خير من لقاء الام بحلال .

— ١٠٩ —

امروز که نوبت جوانیٔ منست ،
می نوشم از انکه کامرانیٔ منست ؛
عیبش مکنید اگرچه تلخست خوشت ،
تلخست از انکه زندگانیٔ منست .

فی هذا اليوم الذی هو عهد صِباى . اشرب الخمرة لأن فيها نيل مرامى ، لا تنتقصوها فهى لذيذة على مرارتها ، اجل ! هى مرّة لانها حياتى .

— ١١٠ —

آمد سحری ندا ز میخانهٔ ما ،
کی رند خراباتیٔ دیوانهٔ ما ؛
برخیز که پر کنیم پیمانه زمی ،
زان پیش که پر کنند پیمانهٔ ما .

سمعت هاتفاً فى السحر من حانتنا يقول : اى يا أخا الشرب المفتون . قم لنملأ الكأس بالخمرة قبل ان يملأوا كأسنا ـ قبل ان تداهمنا المنيّة ـ .

آن جسم پياله بين بجان آبستن ،
همچون سمنى با رغوان آبستن ؛
نى نى غلطم كه باده از غايت لطف ،
آبيست بآتش روان آبستن .

انظر الى الكأس فانها حبلى بالروح ، اوانها كياسمين حبل بالأرجوان . لا ، لا ، فقد اخطأت القول . بل انها من شدة لطفها . ماء حبل بنار مائعة .

— ١١٢ —

در ميكده جز بمى وضو نتوان كرد ،
وين نام كه زشت شد نكو نتوان كرد ؛
مى ده كه كنون پردهٔ مستورى ما ،
بدريده چنان شد كه رفو نتوان كرد .

لا يمكن الوضوء فى الحانة الا بالمدامة ، وهذه السمعة التى تشوهت فلا يتيسر تحسينها ، عاطنيها فان ستار عفافنا قد تمزّق . حتى لقد استحال ترقيعه .

— ۱۱۳ —

از آمدنم نبود گردون را سود ،
وز رفتن من جمال وجاهش نفزود ؛
وز هیچ کسی نیز دوگوشم نشنود ،
کاین آمدن ورفتنم از بهرچه بود .

ماکان للکون نفع من مجيء . ولم يزدد من ذهابي جماله وجاهه ، ولم تسمع اذناي ايضاً من احد عن الغاية من مجيء وذهابي .

— ۱۱٤ —

بر خیز وبیا بتا برای دل ما ،
حل کن به جمال خویشتن مشکل ما ؛
یك کوزهٔ می بیار تانوش کنم ،
زآن پیش که کوزه‌ها کنند از گل ما .

قم وتعال ايها الصنم . رعاية لقلبنا . وحلّ بجمالك مشكلنا ، هات كوزاً من الخمرة لنحسوها قبل ان يصنعوا اكوازاً من طينتنا .

— ١١٥ —

بس خون کسان که چرخ بیباك بریخت ،
بس گل که بر آمد ز گل و پاك بریخت ؛
بر حسن وشباب ای جوان غرّه شو ،
بس غنچهٔ ناشکفته بر خاك بریخت .

یاما هـدر الفلك دماء النـاس ، ویاما نبت الورد وتناثرت اوراقه على الثرى ، ایها الفتى ! لا تغتر بحسنك وشبابك . یاما تساقط الورد على التراب قبل ان تتفتح اكمامه

— ١١٦ —

تاباز شناختم من این پای ز دست ،
این چرخ فرومایه مرا دست ببست ؛
افسوس که در حساب خواهند نهاد ،
عمری که مرا بی می ومعشوقه گذشت .

غلّ هذا الفلك النذل يدىّ . منذ صرت افرّق بين رجلى ويدى . واغمتاه ! فسيحسبون من عمرى زمانا مرّ لى بغير مدامة ومعشوقة .

— ١١٧ —

ابر آمد وبار برسر سبزه گریست ،
بی بادهٔ ارغوان نمیباید زیست ؛
امروز که این سبزه تما شا گه ماست ،
تاسبزهٔ خاك ما تماشا گه کیست .

جاء السحاب وبكى ثانية فوق العشب ، فلا يجوز ان نعيش بدون مدامة ارجوانيّة . ان هذا العشب مسرح لانظارنا اليوم ، ياترى لمن سيصبح عشب ترابنامسرحاً ؟ .

— ١١٨ —

از درس علوم جمله بگریزی به ،
واندر سر زلف یار آویزی به ؛
زان پیش که روزگار خونت ریزد ،
توخون صراحی بقدح ریزی به .

الأحسن ان تهرب من درس العلوم كلها . وان تتعلق بطرّة الحبيب ، وقبل ان يسفح الدهر دمك . اسفح دمِ الأبريق فى القدح .

— ١١٩ —

چون عهده نمی شود کسی فردارا ،
خوش دار دمی این دل پرسو دارا ؛
می نوش به ماهتاب ای ماه که ماه ،
بسیار بتابد ونیابد مارا .

لما لم يكن الغد مضموناً . فافرح قلبك المشغوف
واشرب الخمر على ضوء القمر ، لأن القمر يا ايها القمر !
سيطلع كثيراً ولا يجدنا .

— ١٢٠ —

پیش از من وتو لیل ونهاری بودست ،
گردنده فلك زبهر کاری بودست ؛
زنهار قدم بخاك آهسته نهی ،
کآن مردمك چشم نگاری بودست .

كان قبلي وقبلك ليل ونهار . وكان الفلك يدور لأجل
غاية ، احذر وخفف الوطء على التراب فانه كان حدقة
عين لحبيب ! .

— ١٢١ —

ای چرخ فلك خرابی از کینهٔ تست ،
بیـداد گری عادت دیرینهٔ تست ؛
ار خاك اگر سینهٔ تو بشکافند ،
بس گوهر قیمتی که در سینهٔ تست .

ايها الفلك الدوّار ! الخراب من اثر حقدك والظلم عادتك القديمة ، ايتها الأرض ! ان فتحوا صدرك . وجدوا فيه كثيراً من الجواهر الثمينة .

— ١٢٢ —

من باده خورم ولیك مستی نـکنم ،
الا بقدح دراز دستی نکنم ؛
دانی غرضم زمی پرستی چه بود ؟
تا همچو تو خویشتن پرستی نکنم .

انا اشرب المدامة . ولـكنى لا اعربد ، والى غير الـكاس لا اطيل يدى ، أتعلم ماهو غرضي من عبادة الخمر ؟ ذلك لئلا اعبد نفسي مثلك .

— ١٢٣ —

حکمی که از و محال باشد پرهیز ،
فرموده از و کناره گیر و بگریز ،
من مانده میان امر و نهیش عاجز ،
این قصد چنان بود که کج دار ومریز .

امرني: ان اتجنّب وافرّ من الأحكام التي لامحيص لي منها وقد بقيت عاجزاً محتاراً بين امره ونهيه ، فهو كمن يقول اقلب الكأس ولا تسكب مافيها !.

— ١٢٤ —

این کوزه چو من عاشق زاری بودست،
در بند سر زلف نگاری بودست ؛
این دسته که در گردن او میبینی ،
دستیست که در گردن یاری بودست .

كان هذا الكوز مثلي صباً كئيباً مفتوناً بفرع مليحة هيفاء ، وهذه العروة التي تراها في جيده . كانت يداً تعتنق احدى الحسان .

— ١٢٥ —

بر خیز و مخور غم جهان گذران ،
خوش باش ودمی به شادمانی گذران ؛
در طبع جهان اگر وفایی بودی ،
نوبت بتو خود نیامدی از دگران .

انهض ! ولا تحزن على الدنيا الفانية . وطب نفساً واقض وقتك بسرور ، لو كان الوفاء من شيمة الدنيا . لما انتقلت اليك من الآخرين .

— ١٢٦ —

دارنده چو ترکیب طبائع آراست ،
از بهر چه اوفکندش اندر کم وکاست ؛
کرز آنکه بد آمد صورعیب کراست ،
ور نیك آمد خرابی ازبهر چه خواست .

لما ركّب الخالق الطبائع . لِماذا جعلها بين النقص والزيادة ؟ فاذا جاءت رديئة . فالعيب عليه . واذا جاءت جيدة فلماذا يخربها ؟ !

— ۱۲۷ —

آنها که بفکرت درّ معنی سفتند ،
در ذات خداوند سخنها گفتند ؛
سر رشتهٔ اسرار ندانست کسی ،
اول زنخی زدند وآخر خفتند .

اولئك الذين ثقبوا درر المعانى بافكارهم تكلموا كثيراً فى ذات البارى . لم يعرف احد منهم مبدأ الأسرار ، انما هرفوا اولاً وناموا اخيراً .

— ۱۲۸ —

آغاز روان گشتن این زرّین طاس ،
وانجام خرابیٔ چنین نیك أساس ؛
دانسته نمی شود بمعیار عقول ،
سنجیده نمی شود بمقیاس قیاس .

لايعرف بمعيار العقل . ولايقاس بالمقاييس . مبدأ دوران هذا الكأس ـ الفلك ـ المذهّب ومنتهى خراب هذا الأساس الجيّد .

— ۱۲۹ —

ما بیم خریدار میٔ کهنه ونو ،
وانگاه فروشندهٔ جنت بدوجو ؛
گفتی که پس از مرك کجا خواهم رفت ،
می پیش من آر وهر کجا خواهی رو .

انا نحن نشتری کلتا المدامتين المعتقة والحديدة ، ونحن الذين نبيع الفردوس بشميرتين ، قلت لی : الى اين اذهب بعد الموت ، هات لی الصهباء واذهب الى حيث تشاء .

— ۱۳۰ —

این عقل که در راه سعادت پوید ،
روزی صد بار خود ترا میگوید ؛
در یاب تو این یکدمه فرصت که نهٔ ،
آن تره که بدروند ودیگر روید .

هذا العقل الذی یسیر فی طریق السعادة ، یقول لك كل يوم مائة مرة : انتهز هذه الفرصة . فلست ذلك «الكراث» الذی اذا حصدوه نبت مرة اخری .



از جرم حضیض خاك تا اوج زحل ،
کردم همه مشکلات گردون را حل ؛
بیرون جستم زبند هر مکر وحیل ،
هر بند کشاده شد مگر بند اجل .

لقد حللت جميع مشاكل الكائنات الموجودة بين الارض وزحل ، ونجوت من عقدة كل مكر وحيلة ، وقد انحلّت كل عقدة فى الحياة . سوى عقدة الأجل .

— ۱۳۲ —

ای گل تو بروی دلربا میمانی ،
ای مل تو بلعل جانفزا میمانی ؛
ای بخت ستیزه کار هردم بامن ،
بیگانه تری وآشنا میمانی .

یاورد ! انت تحاکی محیا الحسناء ، ویا خمر ! انت کیاقوتة تبهج الروح ، ویا أيتها الحظ المعاکس ، انت فی کل وقت خصم لی . وتظهر بمظهر الصدیق .

— ۱۳۳ —

پیرانه سرم عشق تو در دام کشید ،
ورنه زکجا دست من وجام نبید ؛
آن توبه که عقل داد جانان بشکست .
وآن جامه که صبر دوخت ایام درید .

اصطادنی عشقك فی شرکه ، ورأسي مشتعل بالشیب والاّ فمن انا وکأس الحمیا ، لقد عبث الحبیب بالتوبة التی وهبنی ایاها العقل ، ومزقت الأیام . ذلك القمیص الذی خاطه الصبر .

— ١٣٤ —

صيّاد ازل كه دا نه در دام نهاد ،
صيدى بگرفت وآدمش نام نهاد ؛
هرنيك وبدى كه ميرود در عالم ،
او ميكند وبهانه بر عام نهاد .

وضع صيادالأزل حبّة فى الشرك واصطاد . وسمّى صيده آدم ، انه هو الذى يعمل كل قبيح وحسن فى العالم . ويحمل الناس تبعة ذلك .

— ١٣٥ —

فردا علم نفاق طى خواهم كرد ،
باموى سفيد قصد مى خواهم كرد ؛
پيمانهٔ عمر من به هفتاد رسيد ،
اين دم نكنم نشاط ، كى خواهم كرد .

سأطوى غداً علم النفاق . وسأقصد الخمرة ورأسي مشتعل بالشيب ، بلغت من العمر سبعين عاماً ، فاذا لم انشط الآن للطرب ، فمتى اعمل ذلك ؟ .

— ۱۳٦ —

هر ذره که در روی زمینی بودست ،
خورشید رخی زهره جبینی بودست ؛
گرد از رخ آستین با آزرم فشان ،
کان هم رخ وزلف نازنینی بودست .

ان كل ذرة على وجه الثرى ، هى وجه حسناء زهراء الجبين ، ياهذا انفض الغبار من اردانك بلطف ، فانه كان ايضاً وجه حسناء اخرى .

— ۱۳۷ —

برجه ، برجه ، زجامه خواب ای ساقی ،
درده ، درده ، شراب ناب ای ساقی ؛
زآن پیش که از کاسهٔ سر کوزه کنند ،
از کوزه به کاسه کن شراب ، ای ساقی

ياساقى ! قم من فراش النوم واعطنى خمرة صافية وقبل ان يصنعوا من جماجمنا اكوازاً اسكب الخمرة من الكوز فى الكأس واسقنا ياساقى !

— ۱۳۸ —

تا ظن نبری که از جهان میترسم ،
وزمردن وزرفتن جان میترسم ؛
مردن چوحقیقتیست زان باکم نیست ،
چون نیك نزیستم از ان میترسم .

لاتظنن انني اخاف الكائنات او اخشى الموت وفراق الروح ، الموت حقيقة فلا أعبأ به . ولكنني اخشى ان لا اعيش سعيداً .

— ۱۳۹ —

عالم همه محنتست وایام غم است ،
گردون همه آفتست وگیتی ستم است ؛
فی الجمله ، چو درکار جهان مینگرم ،
آسوده کسی نیست وگرهست کم است .

العالم كله محنة ، والأيام غم ، والفلك كله آفة ، والدنيا ظلم ، اني انظر الى اعمال الحياة . فلا اجد فيها مرتاحاً سعيداً واذا وجد . فنزر قليل .

— ١٤٠ —

طبعم به نماز وروزه چون مایل شد ،
گفتم که مراد کلّیم حاصل شد ؛
افسوس که آن وضوء به گوزی بشکست ،
وین روزه بنیم جرعه می باطل شد .

عندما مال طبعي الى الصلاة والصوم . قلت لنفسي لقد حصل مرادي ، لكن أسفاً لقد بطل ذلك الوضوء بضرطة وبطل الصوم بنصف جرعة من الخمر .

— ١٤١ —

خوش باش که عالم گذران خواهد بود ،
جان در پی تن نعره زنان خواهد بود ؛
این کاسهٔ سرها که تو بینی ، فردا ،
زیر لکد کوزه گران خواهد بود .

اسعد ! فان الدنيا ستنقضي وسوف تنوح الروح خلف الجسد ، وهذه الجماجم التي تراها الآن . ستطأها أقدام الكوازين غداً .

— ١٤٢ —

چندین غم مال وحسرت دنیا چیست ،
هرگز دیدی کسی که جاوید بزیست ؛
این یك دو نفس در تن تو عاریتیست ،
با عاریتی عاریتی باید زیست .

لِمَ هذا الغم من أجل المال و لِمَ هذه الحسرات من أجل الدنيا . أرأيت أحداً خلدت له الحياة ! هذه انفاسك فى جسمك عارية . فعش مع الحياة العارية كالعارية .

— ١٤٣ —

گاویست در آسمان ونامش پروین ،
یك گاو دگر نهفته در زیر زمین ؛
چشم خردت گشای کز اهل یقین ،
زیر وزبر دو گاو چندین خربین .

ثور فى السماء واسمه « الثريا » وثور آخر مخفى تحت الأرض ، فافتح بصيرة عقلك ان كنت من اهل اليقين ، وانظر الى مابين الثورين من الحمير .

— ١٤٤ —

ساقی ، قدحی که کار عالم نفسیست ،
کر شادی ازویك نفس آن نیز بسیست ؛
خوش باش بهر چه پیشت آید که جهان ،
هرکز نشود چنانکه دلخواه کسیست .

أيها الساقى ! عاطنى كأساً فالعالم « نفس » وحسب الانسان من السرور نفس واحد أيضاً ، طب نفساً من كل ما نلاقيه فى الحياة ، لأن الحياة لن تكون وفق رغبة أحد .

— ١٤٥ —

آبادیٔ میخانه زمی خوردن ماست ،
خون دو هزار توبه در گردن ماست ؛
گر من نکنم گناه رحمت چه کند ،
آرایش رحمت از گنه کردن ماست .

نعمرُ الحانة بشربنا الخمرة ، وفى اعناقنا دم الفى توبة . انا ان لم اذنب . فما تصنع الرحمة ؟ انما الرحمة تزدان بآثامنا .

— ١٤٦ —

هر گه که طلوع صبح ازرق باشد ،
باید که بکف جام مروّق باشد ؛
گویند بافواه که می تلخ بود ،
باید به همه حال که می حق باشد .

كلما ينفلق الصباح . يجب ان يكون فى الكف كأس خمرة مروّقة ، يقولون ان الخمرة مُرّة فى الفم ، فاذاً على كل حال يجب ان تكون الخمرة هى الحق .

— ١٤٧ —

آنان که در آمدند ودر جوش شدند ،
آشفتهٔ ناز وطرب ونوش شدند ؛
خوردند پیالهٔ ومدهوش شدند ،
در خواب عدم جمله هم آغوش شدند .

اولئك الذين ظهروا الى الوجود وفاروا . قد شغفوا بالشرب والغنج والدلال ، وقد حسوا كأساً ودهشوا واحتضن بعضهم بعضاً فى نوم العدم .

— ١٤٨ —

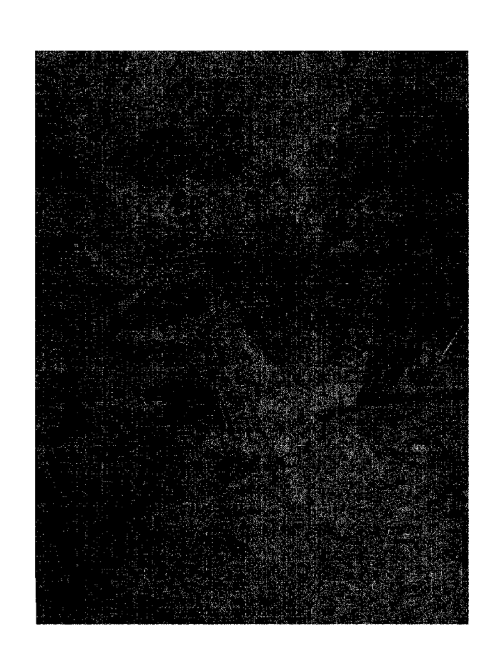
می‌خور که بزیر گل بسی خواهی خفت ،
بی مونس وبی حریف وبی همدم وجفت ؛
زنهار به کس مگو تواین راز نهفت ،
هر لاله که پژمرده نخواهد بشکفت .

اشرب الحميّا انك سترقد طويلا تحت الثرى حيث لا انيس ولا صديق ولا رفيق ولا زوج ، احذر لا تفش هذا السر لأحد : الوردة الذابلة لا تتفتح اى ـ لا يعود اليها زهوها وروتقها ـ .

— ١٤٩ —

در دهر هر آنکه نیم نانی دارد ،
وزبهر نشست آشیانی دارد ؛
نه خادم کس بود نه مخدوم کسی ،
گوشاد بزی که خوش جهانی دارد .

من كان يملك من دنياه نصف رغيف ، وعشاً حقيراً لسكناه ، لايكون خادماً ولا مخدوما ، فليعش سعيداً فان عيشه رغيد .



زآن پیش که از زمانه تابی بخوریم ،
با یکدگر امروز شرابی بخوریم ؛
کاین چرخ فلك به وقت رفتن ما ،
چندان ندهد امان که آبی بخوریم .

قبل ان یصیبنا من الزمان التواء ، تعالوا نشرب الخمرة معاً ، فان هذا الفلك الدوار عند ارتحالنا لا يمهلنا ان نشرب جرعة من الماء .

— ١٥١ —

ساقی گل وسبزه بس طربناك شدست ،
دریاب که هفتهٔ دگر خاك شدست ؛
می نوش وگلی بچین که تا در نگری ،
گل خاك شده است وسبزه خاشاك شدست

ايها الساقى ! ان الورد والعشب فى طرب كثير ، انتبه فسيكونان تراباً بعد اسبوع ؛ اشرب الصهباء واقطف الورد : ففى طرفة عين يستحيل الورد تراباً والعشب غثاء أحوى

— ١٥٢ —

چندین غم بیهوده مخور شاد بزی ،
واندر ره بیداد تو باداد بزی ؛
چون آخر کار این جهان نیستی است ،
انگار که نیستی وآزاد بزی .

لا تحزن فالحزن عبث ، وعش فرحاً ، وفى طريق الظلم كن عادلاً ، مادامت نهاية الحياة هى العدم . فافرض انك لم تكن . وعش حراً .

این یك دو سه روزه نوبت عمر گذشت ،
چون آب بجو یبار وچون باد بدشت ؛
هرگز غم دو روزه مرا یاد نگشت ،
روزی که نیامدست و روزی که گذشت .

ذهبت ايام العمر القليلة كالماء في الوادي او الريح في البيدآء . انا لا أغتمّ ليومين من الأيام . اليوم الذي لم يأت واليوم الذي مضى .

نشرنا في هذا الكتاب ١٥٣ رباعية مع ترجمتها وقد اعتمدنا نسخة الدكتور فردريخ روزن . ونسخة الأديب حسين دانش وقد عرضنا الترجمة على علامة العراق الاستاذ فهمي بك المدرس الذي يعد في طليعة المتوغلين في الأدب الفارسي .فوافق على الترجمة واستحسنها .

تم بحمد الله وعونه

فهرس الكتاب

القسم الاول

* * *

من هو عمر الخيام ؟

* * * *

تحقيق ما جاء فى هذه الوثائق

.. م الخيام فى الاداب الحديثة

* * *

عصر الخيام

* * *

حياته وسيرته

ادبــه وعلمــه

* * *

فلسفتــه

* * *

موضوع فلسفته

مذهبـــه الفلسفى

* * *

نظـــراؤه

* * *

القسم الثانى

الصفحة رباعياته



جدول الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤	٢	واخوانها	واخوتها
١١	٢	اظلم	مظالم
١١	٤	خرى	اخرى
٣٨	١٣	ينى	من بنى
٤٣	١٦	حاوان	حلوان
٤٤	٧	طالب	طلب
٤٦	١٠	يقال	قال
٤٩	٥	بقطع من	بقطع يد من
٦٣	٧	وولاتهم	ودلائلهم
٦٣	٩	اشهر	شهر
٦٦	١	تحول	يحول
٦٧	١٤	يعينه	يعنيه
٧٣	١٠	فتا كا	الفتاك
٨١	٢	ابن السمعان	ابن السمعانى
٨٥	١٠	طناب	اطناب
٨٦	٩	يؤدبون	يؤيدون
٨٧	٦	البياضه	البياض
٩٦	١٩	كانت منزلة	كانت له منزلة
١٠١	٩	عريان	عريانا

الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
١٠٤	١٠	غاية	عناية
١٠٨	٧	ابو المعشر	ابو معشر
١١٠	٣	لزبدة	زبدة
١١٠	٥	القديم	التقديم
١١٠	١٦	رأييه	رأيته
١١٠	١٧	سراه	برئ
١١٣	١٦	يشبهوه	يشبهونه
١١٧	٨	يوصمونه	يصمونه
١١٨	١٥	بطاليتموس	بطليموس
١١٩	١	والرواقين	والرواقيين
١٢٠	٤	وهذا	وهذه
١٢٠	٧	واوائهم	وآراؤهم
١٢٥	٦	القود	القول
٣	١٢	لا يناقض	فلا يناقض
١٣٨	٩	ضالفاً	ظالفاً
١٦٨	١٨	والايدى	ولا يدى
١٧٠	٢٠	بزملائهم وانسبائهم	بزملائهما وانسبائهما
١٨١	١٤	طلق	طلقاً
١٨٤	٥	الشيخين	الشيخان
٢٠٩	٥	اتباهى	اباهى